

رسالة القلم

إسلامية ثقافية شاملة

ملف خاص
بالعلامة الشيخ الجمري

السنة الثالثة . العدد العاشر . ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ . مايو ٢٠٠٧ م

١٠

أ ج ر ا ب ك ي ف ز [Alqalam]

- ♦ الفقيد الراحل قدس في كلام أحد مريديه
- ♦ العلامة المجاهد الجمري وإنجاز الانتفاضة المباركة
- ♦ الكلام في فهم القرآن الكريم
- ♦ بصمات الشيعة في حفظ القرآن الكريم
- ♦ العالم الرباني الشيخ ميثم البحرياني
- ♦ معالم النهج
- ♦ فصل الإسلام عن علمائه فصل للرأس عن جسده

رسالة القمر

إسلامية ثقافية شاملة

فصلية تصدر عن

طلاب البحرين في الحوزة العلمية
بمدينة قم المقدسة

برعاية

مكتب البيان للمراجعات الدينية



- المشرف العام والمدير المسؤول:
عبد الله علي الدقاق
- رئيس التحرير:
علي أحمد الكريباudi
- مدير التحرير:
علي أحمد الجفيري
- هيئة التحرير:
جعفر عبد المهدي شهاب
سعید حسن المادح
غازي عبد الحسن إبراهيم
فاضل عبد الجليل الزاكي



كتابات

١٠

- الفقيد الراحل تَدُّشُ في كلام أحد مریديه ٥
حوار مع سماحة الشيخ على فاضل الصدري
- العلامة المجاهد الجمري وإنجاز الانفاضة المباركة ١٢
سعید میرزا التوری
- الشيخ الجمري رجل الكلمة وال موقف ٢٧
السيد مرتضى السيد مجید السندي
- وداعاً أيها الجمري ٣٥
علي أحمد الكربابادي
- الكلام في فهم القرآن (القسم الأول) ٣٧
سعید جعفر حماد
- بصمات الشيعة في حفظ القرآن الكريم ٦٢
غازی عبد الحسن إبراهیم
- العالم الربانی الشیخ میثم البحراني (القسم الأول) ٨٨
فاضل عبد الجليل الزکی
- ضبط تاريخ واقعة الطف ١٢٨
محمد علي العربي
- معالم النهج ١٣٤
علي جعفر الماحوزي
- السحر .. حقيقته وشرعيته (القسم الأول) ١٤٢
قصي الشیخ علي العربي
- فصل الإسلام عن علمائه فصل للرأس عن جسده ١٦٩
عبد الله أحمد الدقاد
- تعريف بمؤسسة علمية ١٧٥
جامعة آل البيت عليهما السلام



هُكُمَا تَكُونُ الْعَظَمَةُ

المتأمل في شخصية رجال كل عصر من العصور يرى من صنوفهم صنفين بارزين، الصنف الأول هم الرجال الرجال، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، هم العظماء، وهم الملوك الذين أسرروا قلوب الناس طوعاً، وماجت قلوب الناس بحبهم، فقد أخلصوا لشعوبهم وخدموهم، وقدّموا لهم الغالي والنفيض، وضحوا بأنفسهم في سبيل الناس طاعةً لله عز وجل، ونحن في هذا العدد من مجلة (رسالة القلم) نتناول ملفاً خاصاً حول شخصية من هذه الشخصيات.

وأما الصنف الآخر فإنه وإن كان بارزاً إلا أنه لا يمكن القول بأن كل بروز وارتفاع فهو عظمة، فكم من بروز لا يشكل سوى ورم! وكم من عظمة لا تشكل سوى جنون وكثيراً ينزع الله رداءه محققاً ولا يبالي - كما في الأثر..

أما معالم هذا الصنف فهي الدونية والشذوذ، ولهذا كان بارزاً - على طريقة خالق ثُعرف - دون غيره من أصناف الرجال الذين يقبعون في وسط الطريق. ولم تزل الأيام ولا تزال تحدثنا بمواقف هذه الطائفة من مجون وعهر وبعد وسير بلا هدف.

ألا تذوب القلوب وتحترق ألا حينما ترى الصعاليك يديرون دفة الثقافة بلا

ثقافة؟! وأراذل الأمة يفجرون ويمسّون الأعراض بما حرم الله ورسوله ﷺ.

هذه هي حالة بعض بلداننا الإسلامية، تُبذل فيها الأموال وتبدر على لا شيء،
يُباح فيها العهر باسم الفن، ويهدى بيت مال المسلمين على قنوات الفرقة والانحطاط
والشتمة والخبل، ولقد كرّمت بعض القنوات الإعلامية فناناً على إبداعاته الفنية
الراقية، وأجرت معه مقابلةً يوضح فيها شيئاً من فنه الباهر، فقال: حينما أردت
الغناء، لم يكن لدي موضوع محدد للأغنية، وكان على الطاولة قوطى (علبة)
حليب، فصارت الفكرة أن أغني على هذه العلبة، قائلاً: قوطى.. قوطى..

لك أن تندى ما شئت أيها الجبين!! لا على بيت مال المسلمين، ولكن على
الألاف من الناس ممن يتربى على هذا الفن وعلى هذه الثقافة التي ذيد عن
صياغتها مفكرو الأمة وعظامها.

رئيس التحرير

الفقيه الرائع قديس في كلام أبا مريميه

حوار مع سماحة الشيخ علي فاضل الصدفي (سلمه الله تعالى)

حاوره: علي أحمد الجفيري

لقد أنجب رحم الموقف على مر التاريخ رجالات صنعت هذا التاريخ ونسجت فصوّله حسب ما تريده لا حسب ما يريد، فكانت نجوماً مضيئةً متفرقةً في فضاء التاريخ الأسود، وأصبحت نبراساً يحدو حذوه الناس الذين يتفطنون لأهمية ملاحظة التجربة والاعتراف من معينها.

وشخصيتنا التي نقصد التحدث عنها في هذا الحوار كانت من أبرز تلك الرجالات، وألمع تلك النجوم، شخصيةً عاشت للناس فَفَدَّها الناس بالأرواح، شخصيةً أحبَّت الناس فأحْبَبَها الناس، شخصيةً نذرت وجودها للناس وأخلصت لهم فأخلص لها الناس، العالمة المجاهد في سبيل الله تعالى، سماحة العالمة الشيخ عبد الأمير الجمري قديس، رجلٌ حمل لواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلم يعد يفرق عنده بعدُ أن يعيشَ بين أهله وأحبه أو أن يعيشَ بين جدران رهينَ القيود والأغلال، ولقد كان له في رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهما أسوةٌ حسنةٌ، عرف نهجهم فلم يرضَ عنه بدلًا.

ال الحديث حول هذا الرجل طويلاً طويلاً، وتناول جميع أبعاد هذه الشخصية عسيرٌ، لكن - وكما يُقال - لا يترك الميسور بالمعسور، فنتكلم - بالمقدور - مع أحد من عاشره في مرحلة هي من أصعب المراحل، مما أتاح له معرفة الكثير من الكوامن الشمينة التي أظهرتها هذه الظروف من هذا الرجل الفذ، نتكلّم مع سماحة

الشيخ علي فاضل الصدقي حفظه الله تعالى - مدير حوزة الإمام زين العابدين ع

سابقاً..

✿ سماحة الشيخ، هل لكم أن تطلعونا على أهم الأبعاد الرئيسية التي حملتها - وتميزت بها - شخصية فقيدنا الراحل د

❖ بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على محمد وآلـه الطيبين الطاهرين، ولـلنـعـنـ الدـائـمـ علىـ أـعـدـائـهـمـ أـجـمـعـيـنـ إـلـىـ قـيـامـ يـوـمـ الدـيـنـ، رـبـ أـدـخـلـنـيـ مـدـخـلـ صـدـقـ، وـأـخـرـجـنـيـ مـخـرـجـ صـدـقـ، وـاجـعـلـ لـيـ مـنـ لـدـنـكـ سـلـطـانـاـ نـصـيرـاـ، شـخـصـيـةـ سـمـاحـةـ الشـيـخـ الجـمـريـ(ـطـابـ ثـراهـ)ـ توـفـرـ عـلـىـ مـجـمـوعـةـ أـبعـادـ تـعـاـضـدـتـ لـتـشـكـلـ مـنـهـ شـخـصـيـةـ فـدـةـ وـمـلـفـةـ، مـنـ هـذـهـ الـأـبـعـادـ الـبـعـدـ الـأـخـلـاقـيـ وـالـبـعـدـ الـعـبـادـيـ، وـثـمـةـ بـعـدـ مـهـمـ يـسـعـنـيـ أـنـ أـسـمـيـهـ بـعـدـ الـمـسـؤـولـيـةـ، فـفـيـ مـاـ يـرـتـبـطـ بـالـبـعـدـ الـأـخـلـاقـيـ شـهـدـنـاـ مـنـهـ - وـشـهـدـ كـلـ مـنـ لـقـيـهـ وـلـوـ لـمـرـةـ وـاحـدـةـ - خـلـقـ التـواـضـعـ غـيـرـ المـتـكـلـفـ، هـذـاـ مـنـ جـهـةـ، وـمـنـ جـهـةـ أـخـرـىـ آـمـنـتـ بـأـنـهـ يـتـواـضـعـ حـيـنـ يـتـواـضـعـ لـاـ لـيـكـسـبـ مـنـ تـواـضـعـ لـهـ بـتـواـضـعـهـ، بـلـ يـرـىـ التـواـضـعـ دـيـنـاـ لـاـ يـسـعـهـ تـرـكـهـ، وـيـرـىـ تـخـطـيـهـ خـطـيـئـةـ فـيـ حـقـ نـفـسـهـ وـلـوـ مـعـ إـلـحـاحـ الـمـتـوـاضـعـ لـهـ عـلـىـ تـرـكـهـ، بـلـ رـأـيـتـ مـنـهـ حـيـنـ يـحـالـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ أـنـ يـأـتـيـ بـسـنـةـ التـواـضـعـ - الـمـأـلـوـفـ لـهـ وـبـتـلـقـائـيـةـ - تـأـثـرـاـ بـيـنـاـ، كـيـفـ لـ؟ـ!ـ وـهـوـ يـجـنـحـ لـيـعـكـسـ صـورـةـ مـثـلـىـ لـلـنـاسـ عـنـ تـعـاـلـمـ الـعـالـمـ.

ويسترجعي انتباحك منه إلـحـافـهـ فـيـ سـؤـالـ مـنـ يـلـقـاهـ عـنـ أـحـوالـهـ وـشـؤـونـهـ وـمـتـعـلـقـيـهـ وإنـ كانـ غـيـرـ مـعـرـوفـ لـدـيـهـ بـحـيـثـ لـاـ يـحـسـ الـجـدـيـدـ فـيـ عـلـاقـتـهـ بـهـ بـغـرـبـةـ بـمـحـضـ مـنـ كـانـ مـعـ سـمـاحـةـ الشـيـخـ، وـيـحـسـ باـهـتـمـامـهـ بـهـ، وـيـحـسـ الـحـاضـرـ عـنـدـهـ أـنـ سـمـاحـةـ الشـيـخـ يـعـرـفـ هـذـاـ الـقـادـمـ وـيـعـرـفـ جـمـلـةـ مـنـ شـؤـونـهـ، وـيـتـضـحـ أـنـهـ لـاـ يـعـرـفـ الـبـتـةـ، بـلـ

لأول مرة يراه، وإن أنسى فلا أنسى تفَقُّده لمن غاب والتفاته لمن حضر، فلا يتشغل بحضوره عن بعضهم، وإن حاول الداخل أن يأخذ مكاناً من المجلس فإنه يلتفت إليه ويقوم لدخوله ويبادله التحايا، ولا يترك سماحته أن يمشي خطواتٍ في وداعِ أهل الفضل والشرف.

وفي ما يتعلق بالبعد العبادي المشهود لنا والمعاش من قبلنا، فإن صلواته الخمس كانت في المسجد جماعةً، لا يلويه عن ذلك شيءٌ رغم مهامه الاجتماعية المتكررة، وقد تَعَوَّدَ منه مأموروه في الصلاة على مواظبته، لذا يتظرون مجئه لسكنونهم إلى أنه لا يختلف عن صلاة الجماعة، فقلَّ ما يعتذر عن حضوره لصلاة الجماعة. وقد شهدت الليالي القصيرة والطويلة سُبحنته فيها وتهجده وبكاءه ونياحتة. وفي ما يتعلق ببعد المسؤولية وهم التكليف الشرعي، فقد كان مُفْزِعاً له، فتراه لا ينفك عن القيام بدور الرعاية والتكفل لحوائج المؤمنين ماديةً أو غيرها، شخصيةً أو اجتماعيةً وعامةً، فلا يوصد بابه دونهم، بل عمد إلى تخصيص ليالٍ للقيام والنظر في أمورهم، لو تغيب عن حضورهما فلمرات محدودة جداً، وقد تسبب بعض مسؤولياته في إثقال حاله أو تغييه عن بيته وعائلته لساعاتٍ غير قليلة بحيث لا يقرُّ له مع عائلته قرارٌ، فكان حقاً موئلاً ومعتصماً لهم.

✿ ما هي الشخصيات التي تأثر بها سماحة الشيخ فَلَيَسْ؟

❖ يتأثر الفرد منا بالشخصيات التي تطول علاقته بها فتنطبع بسمات تلك الشخصيات عليه، وشخصية سماحة الشيخ الجمري فَلَيَسْ لأن طالت مع أحدٍ فإنه لم تصفعه شخصية واحدة، بل كانت صياغة شخصيته بتعملٍ منه وانتقاء، فكان يأخذ من كل شخصية امتيازها، وكان فَلَيَسْ دُؤوباً على قراءة تجارب العلماء وما مرروا به

مستفيداً منها لا على مستوى المعلومة بل التطبيق للصحيح والتحاشي عن النشاز منها، نعم، ذكر الشيخ رحمه الله أنه قد تأثر بعادة وتقوى أحد رجالات قريته، وهو المرحوم الملا جاسم الجمري.

✿ ما هي أهم البصمات المميزة التي تركها سماحة الشيخ رحمه الله في الناس بنظركم؟

❖ إن الشخصية قد تختلف عديداً من الحسنات، وبعض تلك الحسنات تصل إلى حد البصمة المؤذن بكونها كالمnar، إلا أن بصمة منها قد تستطيل بتعملق لعيون الناظر، وما أكثر ما يحصيه غيري لسماحة الشيخ من بصمات إصلاحٍ أسريٍّ أو اجتماعيٍّ، وبصمات عطف ترفع فاقةً أو تدفع ضرًا، وبصمات وبصمات. ولا ينسى مجتمعه كله بصمته التاريخية في الحركة المطلبية العادلة، إذ لم يخلد إلى الأرض وهو النفس والمطامع وإن لوح بها ولاح بريتها.

✿ سماحة الشيخ، من الملاحظ جداً تلك العلاقة الوثيقة التي ربطت الناس بفقيدها العزيز سماحة العلامة الشيخ الجمري فلاش، فما هي حقيقة هذه العلاقة؟

❖ كانت أبوته رحمه الله شاخصةً للناس، وكانت يتحدثون بها قبل تغييشه عنهم فضلاً عما بعد تغييشه فقدده، وكانت كلمة (ابني) أو (ابنتي) لا تستاذن منه في مهمة النصح واستدعاء اللين في الموقف، وقد تجلّت بوضوح عندما عُرضت عليه بعض التنازلات لقاء إطلاق سراح ابنه، فراح يقول: (كل السجناء أبنائي فأطلقوهم). إلى جانب ذلك كان يرى الناس في العالم المؤمن على دينهم ودنياهם.

✿ كثيرة هي تلك النشاطات والأعمال التي قام بها الفقيد الراحل في

سبيل خدمة الدين والمذهب، فما هي أهم المؤسسات التي قام الشيخ رحمه الله
بتأسيسها أو شارك في بنائها؟

❖ إن أبرز مؤسسة غرس الشيخ بذرتها وسقاها حتى أورقت وأثمرت هي حوزته المتميزة التي سماها (حوزة الإمام زين العابدين عليه السلام)، وكان يعدها ثمرة حياته. ومن قبل ذلك أسس جامع الإمام زين العابدين عليه السلام محراب جماعته ومقر حوزته. وقد شاطر رحمه الله سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم خنفشه في تأسيس جمعية التوعية الإسلامية ذات البصمات الطيبة. كما أنه رحمه الله بارك خطوة جعل مكتبه ذا لجان متخصصة في خطوة غير مسبوقة - فيما أظن - .

❖ متى أسست حوزة الإمام زين العابدين عليه السلام المعروفة بحوزة الشيخ الجمري؟ وما هي أهم أهدافها؟

❖ أسس سماحة الشيخ رحمه الله حوزته المباركة قبل ما يزيد على عقدين، وتحديداً سنة (١٤٠٥ هـ) الموافقة لسنة (١٩٨٥ م)، وكان أهم ما يهدف رحمه الله إليه من تأسيسها ما يلي:

- ١) نشر الفقه الإسلامي وما يرافقه من علوم.
- ٢) صنع الطالب الوعي العامل في الحقل الإسلامي.
- ٣) ضبط الدراسة الحوزوية للطالب.
- ٤) تسلیح الطالب بالخلق الإسلامي الرفيع.

❖ سماحة الشيخ، باعتباركم قد عايشتم سماحة الشيخ الجمري رحمه الله في حوزته بصفة مدير للحوزة وأستاذ فيها، هلا بینتم لنا على أي أساس كان

يتعامل الشيخ رحمه الله مع الكادر الإداري لحوزته وطلابها؟

❖ كان تعامله رحمه الله معنا ككادر إداري للحوزة تعاملًا ملؤه الاحترام والود لشخوصنا وآرائنا، فإن إبداء الرأي مقابل رأيه كان متاحاً ويتلقاه بصدر رحب، وما كانت نفسه الطاهرة لتسمح له أن يستبد برأيه، وكانت له رعاية خاصةً ومتميزةً لطلاب حوزته، وأحسب أن كل واحد منهم قد احتفظ بذكرى طيبة له معه.

❖ من الواضح أن من أهم فصول حياة الفقيد السعيد رحمه الله هو فصل انتفاضة الكرامة، وكان الدور القيادي للشيخ رحمه الله في هذه الانتفاضة واضحًا جدًا، وقد تميزت شخصيته القيادية بسمات عديدة، مما هي أبرز تلك السمات التي كان يتحلى بها سماحة الشيخ رحمه الله؟

أرى أن أمير المؤمنين عليه السلام يأذن لي في أن أشخص أن سماحة الشيخ واحد من الذين تنطبق عليهم منطوق الكلمة المأثورة عنه عليه السلام في نهج البلاغة: (لا يقيم أمر الله إلا من لا يصانع، ولا يضارع، ولا يتبع المطامع)، وهي مقومات لشخصية القائد، فهو (رضوان الله عليه) قائد لم يجامِل على حساب الحق وحساب القيم وحساب حقوق الناس، وكان قد أهدى صورة شخصية له إلى أحد أصدقائه كتب في ظهرها ستة أبيات رسم فيها منهجه، منها:

صدِيقِي العزيز أُروي إليك
تطَّلُعَاتِي وشجوني الغضاب
لا لن أعيش الدهر إلا العناد

المائلة الصورة عبر هنا
قائلة محجري في ويقطة الغضاب
الجائحة الفاسقة للفئة العناد إلا الدهر

نعم (لا يصانع)، وهو (رضوان الله عليه) قائد لم يتسلل للوصول إلى أهدافه

النيلة من تحقيق الأمن وبسط العدل والحرية لمجتمعه إلا بالوسائل السامة، لا
بالأسباب الدنيئة كما هو صنيع أولاد الدنيا، نعم (لا يضارع)، وهو (رضوان الله عليه)
قائدٌ لم تشتَرِ المطامع منه نفسه، ولم يصرعه بريقها، فما أكثراها وما أنسى بريقها، وما
أعتاه عنها وما أزهدَ فيها، نعم (لا يتبع المطامع).

﴿سماحةُ الشَّيْخِ، إِنْ يَوْمَ الْجُمْرِيْ أَقْرَحَ جَفُونَنَا، وَأَسْبَلَ عَيْنَنَا، فَمَاذَا

يُعْنِي فَقْدُ الشَّيْخِ فَلَمَّا لَكُمْ؟

❖ كان ﷺ ظلاً ظليلاً لم أجد فقده أيام مرضه وتوحده بنفسه وبائرها سبحانه،
ولكني وجدت فقده يوم أسلم نفسه إليه سبحانه، مختلفاً فراغاً يحس به بوضوح
وبلوعةٍ منْ كان يتعانق نَفْسُه مع نَفْسِه في تفان منه ﷺ في رفد ديوان حسناته
بالحسنات، وقصير الكلمة عن طولها أن لا قدرةً لكلماتي على ترجمة إحساسي
بفقده (رضوان الله عليه)، فليكن سرّ نفسي.

لَا يَقِيمُ أَمْرَ اللَّهِ إِلَّا مَنْ لَا يَصَانُ ،
وَلَا يَضَارُعُ ، وَلَا يَتَّبِعُ الْمَطَامِعَ .

عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ

(نهج البلاغة - قصار الحكم - ح ١١٠)

العلامة الملاّم الجمري .. وإنجاز الانتفاضة المباركة

سعيد ميرزا النوري

من أجل الوفاء لعالم رباني ورجل كبير وشجاع ومضحٍ، جسّد شعبه بآلامه
وآماله ثم رحل فخلف جرحاً غائراً في القلوب، وفُجعَت الجماهير لفقدِه، وبكاه
شعبه طويلاً.

من أجل الوفاء لسماحة العلامة المجاهد الشيخ الجمري رحمه الله أحببت أن أكتب
هذه السطور المتواضعة، محاولاً تجاوز العاطفة المجرورة لفقد الشيـخ المجاهـد؛
لتلمس الدروس والعبر والدلـالـات من دور المجاهـد الجـمـري في قيـادـة الـانـتفـاضـة
المبارـكـة. وسوف أتناول الموضوع ضمن محـاور محدـدة.

العلامة الجمري وانطلاق الانتفاضة المباركة:

يمثل انطلاق الانتفاضة المباركة في البحرين في عام (١٩٩٤م) حدثاً نوعياً
وتاريخياً، هذه الانتفاضة التي انطلقت على خلفية العريضة الدستورية والتي بدأت
نحويةً في عام (١٩٩٢م)، حيث وقَع ما يقارب ٣٠٠ شخصية إسلامية ووطنية شيعيةٌ
وسنية عريضةٌ تطالب حاكم البلاد بإعادة العمل بدستور عام (١٩٧٣م) وتفعيل الحياة
البرلمانية.

ثم بعد عامين وفي عام (١٩٩٤م) تحولت لعريضة شعبية، حيث وقَع عليها ٢٣
ألف شخص تقريباً. ومن المعروف أن العلامة الجمري مثل دوراً أساسياً في قيادة

مشروع العريضة وتعزيز تفاصيلها الشعبية والوطنية باعتبار ثقله الشعبي ومقبوليته الوطنية العامة، وهذا ما يدفعنا للقول بأن العلامة الجمرى يُعد أحد الرواد والصناع الأساسيين للتأسيس لمرحلة ثقافية واجتماعية وسياسية في تاريخ البحرين الحديث، هي مرحلة الحركة الدستورية والانتفاضة المباركة. ولذلك - ومن أجل تسليط الضوء على الأهمية الاستثنائية للدور السياسي للعلامة الجمرى - من الضروري تأمل ظاهرة الانتفاضة الدستورية في إطار الفكر الإسلامي السياسي العام.

نصوص الإسلام والإصلاح السياسي:

على طول التاريخ البشري ظلّ الإنسان يتطلع لبناء أفضل العلاقات في إطار مجتمع تسوده الوحدة والتقدم والعدالة والاستقرار. وقد عاشت البشرية مخاضاتٌ عسيرة من أجل التأسيس لإطار سياسي يحفظ الاستقرار والعدالة والوحدة للمجتمع الإنساني، وكما يذكر العلامة الطباطبائي والسيد الشهيد الصدر، فإن الأنبياء عليهما السلام - وبعد تجاوز البشرية لمرحلة الفطرة وبروز الاختلافات والتفاوتات - كانوا هم رواد للسعى لبناء مجتمع سياسي متجانس وعادل.

يقول العلامة الطباطبائي فـ^{فَلَمَّا} في الميزان بهذا الشأن: (وبعبارة أخرى: العلة في الدعوة الدينية، هو أن الإنسان بحسب طبعه وفطرته سائرٌ نحو الاختلاف كما أنه سالكٌ نحو الاجتماع المدني، وإذا كانت الفطرة هي الهادية إلى الاختلاف لم يتمكن من رفع الاختلاف، وكيف يدفع شيء ما يجذبه إليه نفسه؟ فرفع الله سبحانه هذا الاختلاف بالنبوة والتشريع بهداية النوع إلى كماله اللائق بحالهم المصلحة لشأنهم) (١). وقد ذكر ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحُكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا

اَخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ^(١). فالعلامة الطاطبائي يشير لقضية قرآنية هامة، وهي أن الدين هو المؤسس الأول للجتماع السياسي البشري، وأنَّ وظيفة الدين وهدفه توحيد المجتمع وإقامة القسط والعدل ورفع الاختلاف. وإلى ذات المعنى - وعند تفسير ذات الآية - يشير السيد الشهيد الصدر فقيل بقوله: (إن الدولة ظاهرة اجتماعية أصلية في حياة الإنسان، وقد نشأت هذه الظاهرة على يد الأنبياء ورسالات السماء).

إذن يمكن تقرير هذه الحقيقة: وهي أن الدين الإلهي ومنذ فجر البشرية هو صاحب راية السبق والريادة في السعي لتأسيس مجتمع وحكومة التوحيد والعدل، والبشرية بعد ذلك قلدت الأديان في هذا المسعى، وهذا ينبع حقيقة أخرى، وهي أن العمل السياسي والحقوقي هو من صميم الرسالة الإلهية، بل إن الرسائلات الإلهية هي السباقة في هذا المجال.

ولنحاول الآن تعميق المضمون السياسي والحقوقي الذي بشّرت به رسالات السماء من خلال التوقف عند النصوص التالية. فنجد القرآن الكريم يؤكّد على مسألة إقامة القسط والعدل باعتباره هدفاً محورياً لرسالات السماء. يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْكُمْ مَّا أَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنَّزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ﴾^(٢). ولكن المؤسف حقاً وما يبعث على التألم والتعجب في نفس الوقت، هي تلك الحالة الغريبة التي هيمنت على واقع الأمة الإسلامية على امتداد تاريخنا! حيث سادت الأمة الإسلامية حالة الاستسلام للأجهزة الطاغوتية، وانبعثت ثقافة هجينة تضخم الحاكم وتعظم شأنه لمجرد كونه حاكماً، وتستهتر بقيمة العدل وحقوق العامة، وعندها فقد غابت عن الواقع

الإسلامي وتلاشت - بصورة شبه كاملة - مفاهيم العدل والحقوق والإصلاح، وترسخ بدليلاً عنها مفاهيم أولى الأمر والطاعة والبيعة ودراً الفتنة وحرمة الثورة وغيرها. ثم ازدادت هذه المفاهيم الهجينة رسوحاً وعمقاً حتى تحولت لمبانٍ كلامية عقائدية عملت على تحطيم الشخصية الإسلامية الحرة المقnderة فرداً وجماعةً تحت شعاراتٍ براقةٍ تُنسب زوراً للقرآن الكريم، من قبيل نفي الحسن الذاتي للعدل والظلم، واعتبار حسن العدل وقبح الظلم شرعاً اعتبارياً وليس عقلياً ذاتياً!

ثم استكملت دائرة البناء الكلامي بنفي حرية الإنسان وإرادته، وإثبات الجبر التكويني لكل أفعال الإنسان، فالإنسان تسيّره الإرادة الإلهية والقضاء والقدر! وبمعية هذه المبني الكلامية سارت مبانٍ فقهيةٍ قشريةٍ كانت تعمل على تحطيم الإنسان المسلم، وتدمير وعيه الحقوقي السياسي، وتذويب إرادته وعزيمته على الإصلاح والنهوض، فأصبحت الشخصية المسلمة بلا وعي ولا إرادة!

الإمام الخميني والثورة الثقافية:

وفي العصر الحديث - وتحديداً في إيران - وفي سياق مسيرة الإصلاح العقائدي التي جذرّها أهل البيت عليهما السلام وواصلها عظماء الأمة، كان هناك رجلٌ كبيرٌ هو الإمام الخميني قدّس سره، حيث انبرى هو وأنصاره للقيام بعملية واسعة وجذرية لتصحّح المفاهيم، والتأسيس لثورة ثقافية إسلامية تمثل القاعدة المتينة للثورة السياسية، وقد كانت المعركة الثقافية أصعب وأقسى بمراتب من المعركة السياسية؛ لأن المعركة الثقافية إطارها الصف الإسلامي ذاته، وهدفها إزالة المفاهيم الزائفة التي علقت بالوعي الإسلامي بسبب سنوات طوال من الجمود والركود. يقول السيد

أحمد نجل الإمام الخميني قَدَّسَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عِلْمُهُ وَصَفَّاً أهمية المعركة الثقافية: (إن الانتصار السياسي الساحق في الثاني والعشرين من بهمن استند إلى عدة انتصارات سبقته حققها الإمام بجهاده الطويل في ميادين الجهاد المريض المختلفة أمام أولئك المتحجرين والقشريين الحمقى ومن باعوا دينهم بدنياهم. فقد كان لابد من وقوع ثورة أكثر تعقيداً بكثير من الثورة السياسية لإبطال مفعول طلاسم التحجر ونسف التحليلات والاستنتاجات المنحرفة عن الإسلام والتي ضربت بأطبابها، وتنقية الأجواء من الغبار الذي تراكم نتيجة حملات الأجانب على مدى القرون، وإزالة الزخارف والشكليات والزينة الكاذبة التي أحيط بها الإسلام الحقيقي لإيصال الجيل المعاصر المتعطش المتعب إلى النبع الزلال الرائق الصافي للأفكار والمبادئ التي تستند إلى الإسلام المحمدي الأصيل) ^(٤).

ثم يوضح السيد أحمد عدة مقولات وشعارات ثقافية رُفعت لمواجهة الثقافة الأصلية التي قدمها الإمام الخميني قَدَّسَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عِلْمُهُ وَصَفَّاً فيقول: (يقول الإمام - واصفاً هذا التيار وصفاً حاداً - إن ترويج الفكرة القائلة بأن الشاه هو ظل الله في الأرض، أو ترويج الكلام القائل بأننا لا يمكننا أن نواجه المدافع والدبابات بقبضات خالية، أو إننا غير مكلفين بالجهاد، أو من الذي سيقدم الإجابات عن دماء هؤلاء المقتولين؟ والأكثر إيلاماً من كل ذلك، رفع شعار كل راية ترفع قبل ظهور صاحب الأمر - أرواحنا فداء - فهي راية ضلال، وآلاف المقولات الأخرى التي كانت تمثل مشاكل كبرى لا تُطاق، والتي لم يكن ينفع معها النصح أو المواجهة السلبية أو التبليغ) ^(٥). (حينما راح شعار فصل الدين عن السياسة، وصار الفقه في نظر الجهلة مجرد الخوض في الأحكام الفردية والعبادية طوق الفقيه ولم يسمح له بالخروج على دائرة الحصار

المفروض ذاك، والتدخل في السياسة أو شؤون الحكومة. وأضحى جهل الروحاني وبساطة تفكيره عند معاشرته الناس فضيلةً - كما كان يزعم البعض - فإن الروحانية ستكون موضعًا للتقدير والتكرير فقط حينما يكون الروحاني ساذجًا إلى أبعد الحدود^(٦).

الإسلام والتضحية الحقوقية:

والنصوص الإسلامية قرآنًا وسنةً - وفي الوقت الذي أكدت فيه على محورية الأهداف الحقوقية والسياسية في إطار أهداف الإسلام - لم تقدم هذه القضية كمجرد شعار نظري تربوي وثقافي، بل اعتبرت العمل على تحقيق العدالة وإقرار الحقوق في المجتمع البشري، هو الوظيفة الأساسية التوأم لتحقيق التوحيد وإقامة الأحكام الإلهية، فنجد أن العناوين المشيرة لمسألة الحقوقية متلازمةً مساراً وقيمةً مع المسألة التوحيدية التشريعية.

يقول تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقُرْبَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾^(٧). فالجهاد في سبيل الله هو جهاد لإعلاء كلمة الله تعالى، وإنقاذ المستضعفين من الظلم والقهر بصوره المختلفة، والآية الكريمة تتضمن دعوةً أكيدةً للجهاد التوحيدية والحقوقية.

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٨). وهذه الآية الكريمة تشير لنوعين من الشهداء، شهداء يسقطون لأجل القيم التوحيدية ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، وشهداء يسقطون لأجل قيم العدل والقسط ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾

الذين يأْمُرُونَ بِالْقُسْطِ مِنَ النَّاسِ.

وهذا التقسيم القرآني للشهداء يشير لكون القيم التوحيدية والحقوقية متراودين ومتلازمين، كما يشير لاستحقاق القيم التوحيدية والحقوقية للتضحية وتقديم النفس لأجلها.

وفي نصوص المعصومين عليهما السلام هناك كلماتٌ تشير لنفس المضامين القرآنية. يقول الإمام علي عليه السلام: (أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو لا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألا يقارروا على كفة ظالم ولا سغب مظلوم) (٩).

فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام يشير لعهدٍ وميثاقٍ أخذ على العلماء بعدم طاعة الظالمين وخذلان المظلومين. ويقول سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام: (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لترى المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك، ويؤمن المظلومون من عبادك ويعمل بفرائضك وستنك وأحكامك) (١٠). ومن الملاحظ كذلك أن الروايات المبشرة بظهور الإمام الحجة المنتظر عليه السلام ترکز بصورة خاصة على قضية القسط والعدل، فعن رسول الله عليه السلام: (أبشركم بالمهدي يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلزال، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضي عنه ساكن السماء وساكن الأرض) (١١).

وفي دعاء العهد وردت العبارة التالية: (واجعله الله مفزواً لمظلوم عبادك، وناصرًا لمن لا يجد له ناصراً غيرك، ومجدداً لما عُطل من أحكام كتابك، ومشيداً لما ورد من أعلام دينك وسنن نبيك) (١٢).

فلاحظ أن الدعاء المبارك جعل الإمام الحجة عليه السلام محققاً لهدفين متلازمين ومترادفين، الأول (مفزعاً لمظلوم عبادك)، الثاني (ومجدداً لما عُطِّل من أحكام كتابك).

فالهدف التوحيدى والهدف الحقوقى - وبحسب الفكر الإسلامى الأصيل - يسيران متلازمين قيمةً وأهميةً وتكتيفاً. وفي الواقع فإنه - وبحسب النصوص الإسلامية - فإن القيم التوحيدية والشرعية تهدف لتحقيق العدالة، كما أن العدالة تقتضي تحقيق الحقوق الإلهية والاجتماعية على السواء، ومنها إقامة التوحيد والشريعة المقدسة؛ ولذلك نجد أن عنوان (الظلم) قرآنًا يشمل انتهاك الحقوق الإلهية والاجتماعية. يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لَقَمَانٌ لَّابْنِهِ وَهُوَ يَعْظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١٣).

العلامة الجمري وانطلاق الانتفاضة المباركة:

حاولت في السطور السابقة توضيح موقعية المسألة الحقوقية في الفكر والنصوص الإسلامية؛ وذلك لإزالة الالتباس والإبهام الذي ربما يكتنف أهداف الانتفاضة المباركة وعلاقتها بالمسار الإسلامي، وكذلك لأجل تسلیط الضوء على الدور التاريخي للشيخ الجمري رحمه الله للاقتراب بالمجتمع البحريني من الأهداف الإسلامية. فالمجتمع البحريني وبعد ما يقرب من ٢٠ عاماً من الحياة اللادستورية - ورغم الجهود المباركة وغير المنكورة للمبلغين الإسلاميين في سبيل نشر الوعي الإسلامي - أصبح بحالة عامة من الجمود الفكري والمعنوي والاجتماعي، وهو ما ظهر بصورة غياب للمشروع السياسي المستلهم من نصوص الإسلام والمتوسيع لآلام وآمال المستضعفين. من الطبيعي أن غياب المشروع السياسي هو نتيجةً منطقيةٌ

لغياب الوعي السياسي أو ضعفه وغياب الإرادة السياسية أو ضعفها. وأن ذكر تماماً أن الحس الاجتماعي العام كان بعيداً - بصورة شبه كاملة - عن المسائل الحقوقية والسياسية، ففي مستوى الوعي لم تكن هناك أهمية واضحةً لمسألة الحقوقية في تفكيرنا الإسلامي، كما أنها لم نكن مستعدين معنوياً للمبادرة والتضحيه لأجل المسألة الحقوقية. بل حتى الاهتمام والاعتناء بالمسائل السياسية والحقوقية كان ضعيفاً جداً.

نعم، لم يخل المجتمع من شخصيات ذات توجه سياسي ثوري، والتي كانت تقوم ببعض المبادرات والمواقف الإصلاحية، إلا أن تجاوب المجتمع معها إن لم يكن سليماً أو لا مبالياً فهو محدود. من الطبيعي أن المشروع السياسي الحقوقي لم يكن غائباً عن الرموز الإسلامية، والقضية كانت مرتبطةً بتشخيص الظروف الموضوعية التي تهيئ لنجاح المشروع الحقوقي شعرياً وسياسياً. ولكن من الطبيعي أيضاً أن غياب المشروع السياسي الإسلامي عن وعي ومعنوية وحياة المجتمع البحريني - ولمدة طويلة - سبب مصاعفات كثيرةً شكلت فيما بعد أحد العقبات المهمة في طريق الانتفاضة المباركة.

إن عملية انقلاب المعايير والمفاهيم، والانفصال المفاهيمي والاجتماعي عن فكر الإسلام ونطاقه الأصيل هي آفةٌ ومرضٌ لم يسلم منه أي مجتمع إسلامي، وقد عرضنا لنموذج من ذلك للتجربة الإسلامية الإيرانية. فالسكتوت والرضا يصبح هو القاعدة والوضع الطبيعي، فالوعي لا يفهم الإسلام إلا تكاليف فردية أخلاقية! والإرادة والمعنوية ليست مستعدةً للتضحيه والتعرض للأذى، والوضع الاجتماعي مصاب بالركود التام! ومن يرفع الصوت بنداء العدالة والحقوق فهو أحمق ومرافق!

ومن يظهر عزماً وإرادةً للتضحية في سبيل العدالة والحقوق فهو متھور وغير متشرع! ومن يحاول ترسیخ الوعي الحقوقی اجتماعیاً فهو داعٍ للفتنۃ والفرقۃ! فغياب المشرع السياسي والحقوقی - ورغم وجود مقتضیاته العقائدیة والشرعیة والموضوعیة السياسية - یسبب غالباً مرض (غياب الوعي الحقوقی) و(غایب الإرادة الحقوقیة) و(غایب المجتمع الحقوقی).

وفي ظروف تاريخیة مناسبة ینبی جماعة من الطلیعة المؤمنة بمشروع ومبادرة سیاسیة حقوقیة تسعى أولاً لتحقيق إصلاح اجتماعی مفاهیمی ومعنى وعلاقاتی، وتسعى ثانياً لإصلاح سیاسي حقوقی دستوری. وطبعی أن هذه الطلیعة المؤمنة - وفي مرحلة الإصلاح اجتماعی - تحمل كل الأذى والتجريح والهتك والتھجم الذي یوجه لها والناتج عن انفصال المجتمع في حركته الواقعیة عن مضامین النصوص الإسلامیة الأصلیة. یقول الإمام الخمینی ؑ واصفاً الضغوط الموجھة لرواد الثورة الإسلامیة: (لم تكن الأوضاع كحالها اليوم، من كان ينقصه الاعتقاد التام بالجهاد كان ینسحب من المیدان تحت الضغوط القاسیة والتهديدات التي یمارسها أولئک القشرون) (۱۴).

وقد مثلت النخبة الطلیعة وقادتها العلامة الجمری ؑ تلك الطلیعة التي حققت ذلك الانتقال النوعی التاریخي للمجتمع البحرینی بعمومه، من مجتمع راکد جامد سیاسیاً وحقوقیاً إلى مجتمع يحمل وعيًّا وإرادةً وأخلاقیةً مشبعةً بفكر الإسلام الحقوقی وقيمہ المبدئیة التضھویة وفقھه النھضوی. وبذلك فإن (الحركة الدستوریة) أزالت الغبار والتراب عن وعي وإرادة المجتمع البحرینی، واقتربت به نحو وعيه ومبدئیته الإسلامیة الأصلیة المترسخة أصلًا في لاویه الإسلامی

التاريخي.

وإن من إنجازات الحركة الدستورية كذلك أنها وحدت الصفة القيادي والعلمائي - إلا النادر - في إطار حركة مطلبية حقوقية مشتركة، وأنها صهرت المجتمع البحريني بمناطقه وشرائطه المختلفة ضمن مشروع موحد، كما استطاعت إيجاد إطار مشترك جامع للرموز والقيادات الوطنية والإسلامية سنيةً وشيعيةً، وأحيتَ الإنجاز التاريخي القديم الذي حققه هيئة الاتحاد الوطني من قبل.

المجاهد الجمري واحتضان الانتفاضة المباركة:

بعد تقديم العريضة للناس للتوقیع عليها، ورفض الحكم لمطالب العريضة، تم ضرب المسيرات فسقط الشهداء واعتلّق المئات ونُفيت بعض القيادات. وفي هذه المرحلة بالذات يمكن للحركة الدستورية أن تولد ميتةً فتقبر في مهدها، فالصادمة لم تكن اعتياديةً وكانت الحركة الدستورية - ولأجل تحقيق التجاوب الجماهيري الواسع والعميق برغم الدماء والتضحيات - بحاجة لتبينٍ واحتضان رمزيٍ وعلمائيٍ مرموقٍ يمثل محوراً شعبياً ومعنىً وشعرياً لحركة الانتفاضة الوليدة، وهذا ما جسّده المجاهد الجمري رحمه الله حين قاد حركة العريضة الشعبية، وحين رعى وتبني واحتضن الانتفاضة المباركة. فاحتضان الانتفاضة - وبعد سقوط الشهداء وتضرر الآلاف - لم يكن موقفاً عادياً وعابراً للمجاهد الجمري، فال موقف البطولي للشيخ الجمري كان يحمل بطياته تحملًا لمسؤولية تنوع بثقلها الجبال. وإن أول مظاهر المسؤولية هي المسؤولية الشرعية، فنحن نعلم القدسية الاستثنائية للدماء والأموال والأعراض إسلامياً، وهو ما كان يمكن أن يمثل باباً للتشكك بحقانية الانتفاضة. كما أن للمسؤولية مظهراً اجتماعياً، فمن يتحمل

اجتماعياً مسؤولة الأضرار المترتبة؟ فالمجتمع - سواء منه من يتخوف من التضحيه أو من هو مستعد لها - يتطلع لمن يبادر لتبرير الاستمرار وحقانية الموقف والتضحيه. وهكذا الأمر على المستوى السياسي، فإن الحكم يبحث عن جهة يحملها المسؤلية فيصب عليها العقاب نتيجة التمرد والاضطراب الحاصل! وهو ما يعني أن المجاهد الجمري رحمه الله - وباحتضانه للانتفاضة والشهداء والمعتقلين والمطالب الدستورية - قد جعل وجوده ومستقبله وحياته كلها على كف عفريت ومرهونة بالخطر الشديد! علماً بأن الشيخ الجمري رحمه الله - وفي قبالة موقفه وتضحيته التاريخية الشجاعة - لم يكن يتوقع وينتظر أي مكاسب مادية أو معنوية، ولم يكن في الأفق إلا الضرر والخطر والأذى! وقد كان الشيخ الجمري يستطع لو أراد - وهو عالم الدين المرموق - أن يعيش مستقراً مادياً ومعنوياً بعيداً عن الأذى والمتاعب له ولعائلته، إن المجاهد الجمري رحمه الله - وبموقفه واحتضانه البطولي الشجاع - قد أثبت شجاعته وإخلاصه وتفانيه، وأسس للانتفاضة في وجдан الشعب البحريني وثقافته وحياته، كما عمّق موقف الجمري رحمه الله مفاهيم العزة والعدالة والتضحيه وقيادة العلماء. وهو ما تلقاه الشعب بكل صدق وإخلاص، فكمما صحي الجمري لأجل الناس فقد صدق الناس مع الجمري، فاعتبرته المسجد الأول لشخصيتها وأصالتها وآلامها، فرهنت مستقبلها بمستقبله وعيدها بعيده، وحزنها وفرحها بحزنه وفرحه، حتى تردد وما زال شعار (لا عيد والجمري بعيد).

المجاهد الجمري وإدارة الانتفاضة:

لقد استطاع العلامة الجمري - وبمعية الشخصيات المؤمنة بالمجاهدة المعروفة - تشكيل ما يمكن تسميته بـ(قيادة الانتفاضة)، كما استطاعت قيادة الانتفاضة أن تقود

حركة الانتفاضة بصورة جيدة ومقبولة.

على مستوى الإدارة الإعلامية استطاعت الانتفاضة أن تقدم مطالبها للإعلام العالمي بصورة قوية ومقبولة شكلت ضغطاً قوياً على الحكم، فالفعاليات الإعلامية بكثافتها وقوتها وخطابها كانت موفقةً بصورة كبيرة، وكذلك فإن الإدارة الشعبية والاجتماعية للانتفاضة واستيعاب الموج الجماهيري، وتقديم خطاب جماهيري مقبول، وتنظيم حركة الجمهور، وتعزيز علاقة القيادة بالجمهور، وغيرها من الأمور تشكل نجاحاً لقيادة الانتفاضة.

وكذلك الأمر بالنسبة لـ(إدارة المنهج)، فقد قدمت قيادة الانتفاضة نموذجاً جيداً للمبدئية والثبات والتضحية لأجل الأهداف المقدسة، ورغم المرونة التي ظهرت أحياناً، إلا أن الصورة الإجمالية الرئيسية التي ترسخت أن قيادة الانتفاضة تنتهج نهجاً مبدئياً واضحاً. وأيضاً فقد ظهرت صورةً جيدةً لإدارة القرار بالعمل الجماعي، فرغم الرمزية الخاصة للعلامة الجمري، إلا أن العمل الجماعي والشوري ظل هو الصفة الغالبة.

عطاء الانتفاضة والتأصيل للمستقبل:

لقد حققت الانتفاضة المباركة الكثير للشعب البحريني والحركة الإسلامية، وإننا نقيس قيمة الانتفاضة المباركة ومطالبها بالنظر للنصوص الإسلامية وحركة الأنبياء والأئمة عليهما السلام، وليس للأضرار الجانبية المترتبة عليها، والتي هي أمر طبيعي لا يمثل معياراً لحركة المجتمعات. فالانتفاضة المباركة عمقت وعَيَّناً ومعنىَتنا السياسية الإسلامية، وأوجدت مجتمعاً سياسياً حقيقياً يمتلك طموحاً وآمالاً وإرادةً

وعزيمةً ومشروعًا ومبdeaً. والمطلوب هو أن نتمسك بكل وجودنا بمكاسب الانتفاضة المباركة، فإن عطاء الانتفاضة إنما تتحقق بتضحيات كبيرة، والتنازل عنها يمثل خسارةً كبرى. والمطلوب هو استيعاب عطاء الانتفاضة المباركة وترسيخه والبناء عليه. وإننا نحتاج للتركيز على عملية (تأصيل سياسي وإسلامي) عميق للوصول للأهداف الإسلامية والسياسية.

وتتمثل عملية التأصيل - اختصاراً - بالأمور التالية:

أولاً: تأصيل الفكر والمنهج: فقد ورثنا إرثاً ثميناً من حركة الانتفاضة وتضحياتها، ويمكن تعميق مفاهيم التوحيد والحقوق والعدالة والنهي عن المنكر والمبدأ والتضحية والثبات، وتدخل الغيب الإلهي لتأييد المستضعفين وقيادة العلماء لحركة المستضعفين وغيرها.

ثانياً: تأصيل المشروع السياسي: فنحن لسنا مجتمعًا بدون مشروع سياسي، وينبغي أن يتم بلوره المشروع إسلامياً وشعبياً ونخبوياً بحيث يصبح عميقاً ضرورةً وقيمةً ووضوحاً.

ثالثاً: تأصيل الإدارة السياسية الموضوعية: فالعمل السياسي خاصةً يحتاج لموضوعية الإدارة، وهي الإدارة التي تمارس التخطيط والتنظيم والمحاسبة والتقييم بعيداً عن الفردية والذاتية والتأثير بالعوامل غير الموضوعية، وهو ما يتضمن سعة الأفق واحترام الاختلاف وال الحوار والشورى، وإلا فإن القرار والعمل السياسي القائم على الذاتية والفردية والارتجال لا يمكن أن ينجح مهما كان الإخلاص.

رابعاً: تأصيل الشخصية السياسية الملزمة: فنحن نحتاج لبناء شخصيات سياسية تمتلك عمقاً عقائدياً أصيلاً، وروحًا متقدمةً مبدئيةً مضحيةً، وبصيرةً سياسيةً وإداريةً عاليةً. فالشعارات لا تتحرك إلا برجال على قدرها ومستواها.

والحمد لله رب العالمين.

المواهش:

- (١) الميزان: ج: ٢، ص ١٣٠.
- (٢) البقرة، الآية ٢١٣.
- (٣) الحديد، الآية ٢٥.
- (٤) أبته يا حامل راية الإسلام ص ١٠.
- (٥) نفس المصدر ص ١٦.
- (٦) نفس المصدر ص ١٢.
- (٧) النساء، الآية ٧٥.
- (٨) آل عمران، الآية ٢١.
- (٩) المعجم الموضوعي لنهج البلاغة: ص ٣٨٠-٣٨١.
- (١٠) تحف العقول: الحراثي: ص ١٧٠-١٧١.
- (١١) الغيبة: الشيخ أبو جعفر الطوسي: ص ١٢٤.
- (١٢) مفاتيح الجنان: الشيخ عباس القمي: ص ٦٦٢.
- (١٣) لقمان، الآية ١٣.
- (١٤) لقمان، الآية ١٣.

الشيخ الجمري في زيارة لـ رجل الكلمة والموقف

السيد مرتضى السيد مجيد السندي

في أول زيارة لنا للشيخ الجمري رحمه الله بعد مرضه عندما كان يرقد في مستشفى مدينة الأمير سلطان بن عبد العزيز للخدمات الإنسانية في الرياض، كنا كلنا اشتياق لذلك الرجل التاريخي بكل معنى الكلمة، كنا في الطريق إليه نتذكرة وهو يطل علينا من تلك الشرفة ويحيي الجماهير الغفيرة التي جاءت لتعلن وقوفها معه هو وأصحاب المبادرة آنذاك، وبعد خمس ساعات قضيناها في الطريق إليه وصلنا إلى المستشفى الذي يرقد فيه الشيخ الجمري. استقبلنا الحارس بقوله: إلى الشيخ الجمري طبعاً؟ أجنباء بنعم. فقال: في المكان الفلاني. ووصف لنا المكان الذي يرقد فيه الشيخ، فذهبنا مسرعين نتسابق لرؤيه الأب الحنون الذي فارقنا وترك فراغاً كبيراً في الساحة، ولكن عندما وصلنا إلى باب الغرفة التي يرقد فيها الشيخ لم يجرؤ أحدٌ منا على طرق الباب وبدأ كلُّ منا يطلب من الآخر أن يتقدم هو لذلك، وبينما نحن كذلك خرج صادق - ابن الشيخ الجمري - وقال لنا: تفضلوا. فدخلنا بخطى حياءً وخجلٍ ممترجٍ بشوق لا يسعه هذا الكون.

دخلنا وكنا نظن أنَّ الشيخ الجمري موجودٌ في الغرفة، ولكنَّ تبين لنا أنه لم يكن هناك وإنما كان في غرفة العلاج الطبيعي، فانتظرناه إلى أن يأتي من غرفة العلاج. وبعد ما يقارب الثلث ساعة تقريباً من الانتظار فتح الباب، وإذا بكرسي متحرك يدخل من الباب، لم نكن نتوقع من الجالس على هذا الكرسي ولم نكن نعرف حالة الشيخ الصحية قبل أن نذهب إليه؛ لذلك سبب لنا هذا الجالس على الكرسي صدمةً كبيرةً مما دفع بعضاً إلى أن يجهش بالبكاء بينما البعض الآخر

يُبكي بدون صوت محاولةً منه لتخفيف الألم والمعاناة عن الشيخ وأهله. حينها تقدم ابنه صادق بالكرسي الذي كان يدفعه وتوقف أمامنا. كلُّ منا كان يريد أن يتكلم، يريد أن يعبر عن مشاعره، ولكن العبرة والدموع كانت تخنقنا فلم نستطع الكلام، وبعد لحظات كسر أحد أصحابي هذا الصمت وقال - وهو يبكي بصوت مرتفع نسبياً - يا شيخ متى تعود لنا؟ نحن في أمس الحاجة إليك. متى تعود للبحرين؟ لأنائك؟ لشعبك؟ ولم يستطع صاحبي أن يكمل حديثه وواصل بكاءه. وفي هذه اللحظات حصل مالم نكن نتوقع حصوله، حيث إن الشيخ الجمري آنذاك كان نحيفاً جداً ووجنته قد ذهبتا وعيناه تبدو وكأنها غائرة، ظننا أنه لا يستطيع الكلام وإذا به يفاجئنا بقوله: أريد أن أعود للبحرين لكي أدافع عن المظلومين ولكي أساهم في إخراج المعتقلين من السجون وإلى لم الشمل والوفاق الوطني ولكي أواصل مسيرة العمل الإسلامي. إلى هنا انتهى كلام الشيخ الذي هو الآخر أجهش بالبكاء.

بالنسبة لي أستطيع أن أعتبر أن هذه الكلمات التي أطلقها الشيخ الأب الجمري وهو في حالته هذه بالوصية التي يوصي بها كل محبيه وكل الذين يدعون أنهم يسيرون على نهجه وعلى خطاه. وعندما نقرأ أو نسمع ما قاله الشيخ يمكننا أن نتذكر مواقفه المؤيدة والداعمة لما قال. وإذا أردنا أن نلخص وصية الشيخ الجمري أو أمنيته فنستطيع أن نجعلها في خمس نقاط، وأظن أن هناك أمور لم يستطع الشيخ الجمري البوح بها بسبب بكائه.

النقطات هي كالتالي:

١- الدفاع عن المظلومين.

٢- المساهمة في إخراج المعتقلين من السجون.

٣- لم الشمل.

٤- الوفاق الوطني.

٥- مواصلة مسيرة العمل الإسلامي.

إن الشيخ الجمري رجل كلمة و موقف، فهو عندما نطق بهذه الأمور لم ينطقها اعتباطاً، بل لأنّه كان يعيشها همّاً في حياته العملية؛ لذلك خرجت منه هذه الكلمات، وتدعى ملماً لما أقول فإني أذكر بعض المواقف للشيخ الجمري والتي تجسد ما قاله في وصيته.

١- الدفاع عن المظلومين:

لقد كان دفاعه صلوة عن المظلومين قديماً جداً، ولم يكن في فترة التسعينيات فحسب فقد كان منذ صغره وهو يهتم بالقضايا السياسية التي تمس بشكل مباشر قضايا المظلومين والمستضعفين^(١)، واستمر هذا الاهتمام حتى دعاه أبناء منطقته في عام (١٩٧٣م) إلى أن يعود ليرشح نفسه في الانتخابات النيابية وذلك لمواصلة هذا الطريق الذي اختاره لنفسه، فقد كان كل همه أن يخدم الناس وكان آخر شيء يفكر فيه هو نفسه.^(٢) وقد تجلّى ذلك بوضوح في فترة التسعينيات والانتفاضة المباركة، فقد ضحى صلوة بكل ما لديه، فقد اعتقل ابنه الأكبر وقاموا بمساومته بأن اترك الناس وقضياهم ونفرج عن ابنك وزوج ابنته ولكنه كان يرفض ذلك، وكان السبب الرئيسي في فصله من القضاء هو اهتمامه بقضايا الناس وطرح مظلوميتهم، وقد تم اعتقاله في بداية الانتفاضة وتم تقديم الإغراءات المالية له لكي يتخلّى عن الناس، وحُوصر واعتقل ثم حُوصر مرة ثانية واعتقل واعتقلت ابنته وزوجة ابنه، وتم تهجير أبنائه وسحب البعثات الدراسية عنهم والمضايقة له ولعائلته ولكل من له صلة

به لكي يتخلى عن المظلومين من الناس، ولكنه رفض ذلك، بل لم يقتصر دفاعه عن المظلومين من أبناء البحرين فحسب، بل كان يدافع عن كل المظلومين في العالم، فقد كان اهتمامه كبيراً بقضية فلسطين التي كان يسميها بالقضية الأم^(٣)، وكان يدافع عن شعب لبنان وشعب العراق وكل شعوب العالم المستضعفه.

٢- المساهمة في إخراج المعتقلين من السجون:

لا يخفى على أحد دور الشيخ الجمري في إخراج المعتقلين من السجون، فهو من اليوم الأول الذي حصلت فيه الاعتقالات كان دائمأً في مقدمة المطالبين بالإفراج عن المعتقلين بدءاً من اعتقال الشيخ علي سلمان وانتهاءً إلى بقية المعتقلين. يذكر الأستاذ عبد الوهاب في مقالته (تجربتي مع الجمري): (وقد قررنا استناداً إلى الاستراتيجية أن نشكل مجموعةً لزيارة وزارة الداخلية والاحتجاج على الاعتقال، وكان ذهابنا في يوم الأحد الذي يصادف اجتماع مجلس الوزراء، وكانت المجموعة بقيادة الشيخ الجمري وكانت تتألف من ثمانية أشخاص ضمت فضيلة الأستاذ حسن مشيمع وفضيلة الشيخ حسن سلطان وعبد الوهاب حسين وآخرين من ضمنهم مشايخ اقترحهم سماحة الشيخ الجمري رحمه الله... وبعد الإجراءات المعتادة عند بوابة القلعة سمح لنا بالدخول وأخذنا إلى مكتب سعادة وزير الداخلية وقابلنا هناك الضباط في المكتب وأخبرناهم بالغاية من حضورنا إلى الوزارة، وأخبرونا بأن سعاده الوزير في اجتماع مجلس الوزراء، وطلبنا منهم الاتصال به وإخباره بحضورنا والغاية التي جئنا من أجلها وأننا نرفض الخروج قبل الإفراج عن فضيلة الشيخ علي سلمان، وحدثت مشادات كلامية أعتقد أنها هي الأولى من نوعها في ذلك المكتب، ثم طلبَ منا الذهاب إلى مركز الخميس وسوف نحصل هناك على الجواب من المسؤولين فيه، وأصر بعض أفراد المجموعة على عدم الخروج قبل

الحصول على جواب محدد بشأن الإفراج عن فضيلة الشيخ علي سلمان... فسألوا الأفراد الأكثر إصراراً عن أسمائهم ومكان سكنهم ومكان عملهم وكانت تأتيهم الإجابات بتلقائية وبدون تردد، إلا أن بعض المشايخ - خاصةً الذين كانوا من خارج الفريق - لم يكن لهم نفس العزم، وكانوا يرون الاستجابة والذهاب إلى مركز الخميس، فقبلنا الخروج وقبل أن نصل إلى مركز الخميس وصلنا الخبر السعيد بأن فضيلة الشيخ علي سلمان قد أفرج عنه).

وتنقل حادثة أخرى حصلت في فترة التسعينات، وهي أن الشيخ الجمري كانت له مشاركة في منطقة النعيم فهجمت قوات الشغب على المأتم الذي يشارك فيه الشيخ الجمري وأطلقت غازات مسيل الدموع مما سبب الاختناق للحاضرين، فنقل بعض الشباب الشيخ الجمري لأحد المنازل القريبة من المأتم وحدثت اشتباكات بين الناس وقوات الشغب وتم اعتقال عدد من الشباب، وعندما أراد الشباب إخراج الشيخ الجمري من المنطقة رفض الشيخ ذلك وأجرى اتصالات مع المسؤولين في الدولة وقال لهم: لا أخرج من النعيم إلا بعد الإفراج عن المعتقلين. وفعلاً بعد عدة اتصالات تم الإفراج عن المعتقلين وخرج الشيخ الجمري بعدها من منطقة النعيم. ولقد كان من أهم مطالبه في فترة المبادرة هو الإفراج عن المعتقلين، وكان هذا مطلبـه أيضاً عندما بدأت السلطة بالحوار معه بشأن موضوع التصويت على الميثاق.

٣- لم الشمل:

لقد كان يؤرق الشيخ الجمري الاختلافات والفرقة بين الناس، لذلك كانت حركته في اتجاه الإصلاح بين المختلفين على جميع الأصعدة بدءاً من الخلافات الزوجية مروراً بالخلافات في القرى على إدارات المآتم والحسينيات وما شابه،

ودوره في حل الخلافات في قريتي السنابس والهملة وغيرهما لا ينساه أهالي تلك المناطق، بل لا ينساه كل أبناء الشعب. ورغم اختلافه الكبير مع الشيخ سليمان المدني حول عدالة القضية وضرورة المطالب إلا أن الشيخ الجمري كان سباقاً إلى أن يلم الشمل بعد خصام وتشنجات حصلت بين الطرفين، وذلك بدعوته للشيخ سليمان لزيارة منزله ثم رد إليه الزيارة في منزله لاحقاً، حصل ذلك رغم الانتقادات اللاذعة التي حصل عليها الشيخ الجمري من قبل بعض الأطراف التي كانت رافضةً لمثل هذا التقارب، ولكن الشيخ الجمري لم يعتن بهذه الانتقادات وكانت نظرته دائماً للمستقبل، حيث لو أن الشيفيين رحلا عن الدنيا ولم يحصل هذا اللقاء لاستمر ذلك الخلاف بين أتباع الشيفيين إلى ما لا يعلم نهايته إلا الله.

٤- الوفاق الوطني:

لقد كانت مسألة الوفاق الوطني من الأمور المهمة والحساسة بالنسبة إلى الشيخ رحمه الله؛ لذلك تجد أكثر المشاريع التي يشارك فيها يكون الحس الوطني واضحاً فيها، فعندما كانت العريضة النبوية في عام (١٩٩٢م) تلاحظ أن هناك مشاركةً من قبل جميع الأطراف في البحرين، بل حتى الذين لم يشاركون في العريضة تم عرضها عليهم وتم شرح مطالبهما إليهم، ولكن البعض قد اعتذر عن المشاركة في هذه العريضة لأسباب خاصة بهم، ولكن مع ذلك تلاحظ أن هذه العريضة قد جمعت الكثير من الأطياف في مشروع واحد.

جاءت من بعد العريضة النبوية بعامين العريضة الشعبية، والتي حملت - هي الأخرى - نفس المطالب ونفذت إلى أكثر الأطياف في البحرين، وكانت تسعى لمشاركة جميع الأطياف كمشروع وطني جامع.

إن قبول فكرة المبادرة وإعطاء فرصة للحوار مع الحكومة التي لم تتوانَ في سفك الدماء وهتك الأعراض لهو دليلٌ كبيرٌ على أن أصحاب المبادرة - ومن بينهم الشيخ الجمري رحمه الله - كان همهم أن يكون هناك وفاق وطني بين الجميع حكومةً وشعبياً بكل أطيافه وفئاته.

إن زيارة الشيخ الجمري التاريخية لجمعية الإصلاح لهي خطوةٌ واضحةٌ وجريئةٌ إلى لمّ الشمل ورصّ الصف الوطني، ولكي يبعث الطمأنينة للإخوة السنة في البلد بعد فترة من التضليل الإعلامي الذي مارسته السلطة آنذاك وادعاءاتها الكاذبة بأن الانتفاضة هي شيعيةٌ فقط، وهي مدعاومةٌ من الخارج، وأن مطلب القائمين عليها هو الحكم وغيرها من الأضاليل. فكانت هذه الزيارة رسالة حب وإخاء، وهي التي بذرت بذرةً جميلةً كان بإمكاننا أن نجني ثمارها يانعةً لو أنها واصلنا الطريق مع الإخوة المعتدلين من الإخوة السنة.

وإن إسهامات الشيخ رحمه الله كثيرةٌ في مسألة رصّ الصف الوطني والسعى للتقارب بين الإخوة في الوطن، ولو أردنا إحصاءها لاحتاجنا إلى الكثير من الوقت والجهد.

٥- مواصلة مسيرة العمل الإسلامي:

إذا أردنا أن نتحدث عن مسيرة الشيخ رحمه الله في العمل الإسلامي فإننا نحتاج لكتب نعددها، ولكن نحن هنا نعطي إضاءاتٍ وإطلالاتٍ سريعةً على بعض مساهماته في العمل الإسلامي.

- إن من الأمور المهمة التي قام بها الشيخ هو تأسيسه لجامعة الإمام زين العابدين عليه السلام المعروفة بـ(جامعة الجمري)، فلا يخفى على أحدٍ ما تقدمه الحوزة

من عطاء من خلال بناء طيبة العلوم الدينية بالفكر الإسلامي الأصيل من خلال إيجاد مدرسين كفوئين.

- مساعدة الشيخ في تأسيس جمعية التوعية الإسلامية، ومن ثم العمل فيها بجد ونشاط وتوليه منصب نائب للرئيس لمدة ما يقارب الست سنوات، وبعد إغلاق الجمعية من قبل السلطات كان يتهز أي فرصة للمطالبة بإعادة فتحها من جديد لتواصل عملها في التبليغ ونشر الفكر الإسلامي الأصيل.

- المشاركة في إلقاء المحاضرات الدينية والاستفادة من المنبر الحسيني ومشاركته في إلقاء المحاضرات عبر الإذاعة وذلك لنشر الثقافة الإسلامية وإيصال صوت الدعوة إلى الله عبر كل القنوات المتاحة، وكان رحمه الله يدعم مؤسسات التعليم الديني في بعض قرى البحرين.

هذا هو الشيخ الراحل الجمري رجل عطاء وبذل، ورجل إخلاصٍ وجهادٍ،
رجل إيمانٍ وتقوى، رجل كلمةٍ و موقفٍ. أفنى كلَّ حياته في خدمة الدين
والذهب والدفاع عن الناس، ولم يتوقف لحظةً واحدةً عن خدمة دينه ووطنه، إلا
أن المرض حال دون مواصلته الطريق ودون أن يلبي أمنيته، وجاء قضاء الله المحتوم
ليطوي صفحةً من كتاب العطاء والجهاد والإيمان والرسالية، كتاب رجل حفر اسمه
في قلوب عشاقه ومحبيه، وفي قلوب السائرين على دربه.

المواهش:

- (١) اقرأ المقابلة مع زوجة الشيخ أم جميل.
- (٢) نفس المصدر.
- (٣) راجع خطب الجمعة له.

وَبِإِنْهَا الْجُمْرَةِ

علي أحمد الكريبابادي

ومضى للرفيق الأعلى... شيخ الشهداء، وهو الذي سنّ لهم درب التضحية،
مضى لتعتسر البحرين ألمًا لفراقه المفجع... فلا تسمع إلا رنةً إثر عولة... بكته بحرقةٌ
وألم، وانسابت دموعها هادرةً... لقد أتيتم أبناءها برحيله، فأين عنهم طلعته البهية؟
وإشراقته عليهم في الليلة الظلماء، من تلك النافذة المعهودة، نافذة العشق المطلة
على مقبرة بنى جمرة.. رافعاً كفه، يحيي أبناءه وعاشقيه؟!
لقد مضت تلك الليالي الدافئة...

فهل من عودة يا شيخ الشهداء!!

يا من قضى دون عرضه ومال وكرامة وحقوق أبناء شعبه وأعراضهم..

سلامٌ عليك أيها المجاهد البطل، والفاتح لعهده يرغم فيه على الاعتراف
بالوجود والهوية.

السلام عليك أيها الشيخ الجمري ورحمة الله وبركاته.

تهمي المدامع والبحرين تنهم——
حزناً فعهد الهوى في قلبها نضر——
ماجت تائًّا أين الأم ثاكل——
لو أبصر الصخر قلب الصخر ينفتر——
فتلك أربعٌ لها ظلت مولولة——
تكفف الدموع والذكرى بها صور——
أبا جميل على أكتاف من قبروا——
أئي، فما حيلتي والناس قد حملوا——

تلاقفتها الأيدي، حولها بشـرـ
 من الإباء، بذاك الشيخ تفتحـرـ
 صبـ الحنـوـ بها والقلب يعتصـرـ
 أشجـيـ المـناـبـ، أضـنـىـ منـ لـهـ فـكـرـ
 تمـوجـ وـلـهـىـ، أـمـاـ حـزـنـاـ سـتـكـسـرـ
 أـمـسـتـ يـتـيمـهـ، وـالـكـلـ يـتـظـرـ
 مـنـ الشـمـوسـ فـطـوـعاـ يـخـطـفـ الـبـصـرـ
 قـلـ يـاـ شـهـيدـاـ دـمـاهـ خـفـيـةـ هـدـرـواـ
 وـالـقـيـدـ شـاهـدـهـ وـالـنـاسـ وـالـمـدـرـ
 وـصـفـدوـهـ إـذـ ماـ شـدـ، قـدـ جـهـ رـواـ
 مـنـهـمـ تـلـوـتـ، فـبـالـتـقـتـيلـ قـدـ كـبـرـواـ
 يـقودـ قـافـلـةـ الـوـفـادـ إـذـ حـضـرـواـ
 وـقـدـ تـيقـنـ أـنـ الـمـسـلـكـ الخـطـرـ
 أـنـ يـسـعـفـ النـاسـ، هـذـاـ طـبـعـهـ العـطـرـ
 فـيـ النـاسـ مـثـلـيـ فـيـ تـارـيـخـهـ درـرـ
 شـمـسـ تـشـعـ وـمـاـ يـعـلـوـ لـنـاـ قـمـرـ

لوـ خـلـتـ جـثـةـ وـيـلـاهـ هـامـ لـدـةـ
 لوـ خـلـتـ جـبـهـ تـحـكـيـ عـقـودـ صـبـيـ
 لوـ خـلـتـ شـيـبـتـهـ تـبـكـيـ عـهـودـ هـوـيـ
 أـمـاـ سـمـعـتـ بـأـنـ الشـيـخـ حـينـ مـضـىـ
 فـتـلـكـ عـيـدـانـهـ حـنـتـ لـزـفـرـتـهـ
 وـذـاكـ مـسـجـدـهـ يـبـكـيـ وـحـوزـتـهـ
 أـمـاـ تـعـودـ أـيـاـ جـمـرـيـ يـاـ أـلقـاـ
 لـلـهـ يـاـ صـابـرـاـ وـالـسـجـنـ قـاتـلـهـ
 فـقـدـ تـجـرـعـ كـأـسـ الـمـوتـ مـحـتـسـبـاـ
 قـدـ أـوـثـقـواـ حـينـ أـرـخـيـ الـدـهـرـ قـرـيـتـهـ
 فـكـمـ سـيـاطـ عـلـىـ الـبـحـرـينـ نـازـلـةـ
 وـكـمـ أـيـادـ لـهـ يـبـضـعـاءـ يـوـمـ غـداـ
 جـاؤـوـهـ شـعـبـاـ فـلـبـيـ الـشـعـبـ مـفـتـخـرـاـ
 وـقـالـ أـهـلـاـ، وـفـدـيـ شـعـبـهـ طـمـعـاـ
 فـيـاـ كـرـيمـاـ كـبـاـ عنـ دـرـكـ سـيرـتـهـ
 لـكـ السـلـامـ أـيـاـ جـمـرـيـ ماـ بـقـيـتـ

الكلام في فهم القرآن

(القسم الأول)

سعيد جعفر حماد

بسمه تعالى، اللهم صل على محمد وآل محمد وعجل فرجهم.

من الدراسات التي بحث فيها في الآونة المتأخرة دراسة في فهم القرآن الكريم، وأن القرآن الكريم هل يمكن فهمه؟ إلى أي مدى يمكن فهمه؟ وهذا لا يعني أن الدراسات السابقة لم ت تعرض لموضوع فهم القرآن الكريم، بل تعرضت إليه إجمالاً في ضمن بحث جواز التفسير، وإمكان التفسير، لما توجد من علاقة بين فهم القرآن الكريم وجواز التفسير وإمكانه، ولما وجد الفارق الدقيق من جهة إضافة بعض المواضيع، أو من جهة العموم والخصوص المطلق أو من وجهه، استقلت دراسة فهم القرآن، ويمكن عد ذلك نوعاً من أنواع تنوع البحوث، وجعلها في إطار جديد بحلية جديدة.

مفهوم فهم القرآن:

الفهم في اللغة:

تقول: فَهِمَ الشيءَ - بالكسر - فَهِمَا وفَهَامَهُ أي علمه، تَفَهَّمَ الكلام فهمه شيئاً بعد شيء^(١)، الفهم معرفتك الشيء بالقلب.^(٢)

فهم القرآن الاصطلاحي:

المراد منه العلم بمعاني آيات القرآن الكريم، ومقاصده وأغراضه، وما يتعلّق بالآيات الكريمة من أهداف، مع غض النظر عن مستوى وحدود الإدراك لتلك الأمور، فيصدق على من يفهم بعض آيات القرآن بحدود جزئية - ولو على مستوى ظواهر الألفاظ - أن له فهم في القرآن الكريم، ويصدق أيضاً على من له فهم أكبر من ذلك أن له فهم في القرآن الكريم، نعم قد ينصرف إلى الذهن إطلاق جملة (فهم القرآن الكريم، ويفهم القرآن الكريم) إلى من له الفهم الكامل للقرآن الكريم، وهذا الانصراف قد يحصل لقرائن لفظية، وتارةً لقرائن حالية.

علاقة فهم القرآن بالتفسير:

فهم القرآن الكريم يكون مقدمةً للتفسير، فمن لا يفهم القرآن الكريم لا يكون مفسراً، وليس بالضرورة أن كل من يفهم القرآن يكون مفسراً، لكن كل مفسر فهو لديه فهم في القرآن الكريم ولو ادعاءً وظاهراً، فالتفسير نتيجةً تطبيقيةً لبعض مراتب فهم القرآن الكريم لدى المفسر، نعم قد ينمو فهم القرآن لدى المفسر من خلال تدرجه واسترساله للتفسير، واكتشافه لمعانٍ كانت بالنسبة له في خفاء من قبل، فيكون فهمه النامي مقدمةً لتفسير أرقى من تفسيره السابق.

وبعض البحوث في مقدمات التفسير - مثل موضوع جواز التفسير - تدخل جزئياً في بحث فهم القرآن الكريم، وذلك لأن من أدلة عدم جواز التفسير عدم إمكان فهم القرآن الكريم، إما لدلالة العقل، وإما لدلالة النص، وهذه من البحوث الداخلة في فهم القرآن الكريم، وكذلك المواضيع الداخلة في شرائط المفسر والتفسير، تكون

في بحث شرائط فهم القرآن، وكل ذلك يرجع لكون التفسير مجالاً عملياً لفهم القرآن الكريم، وقد يوكل البحث مقدمات التفسير.

أدلة فهم القرآن الكريم:

الدليل العقلي:

ويعتمد الدليل العقلي على مقدمة عقلية ومقدمتين إثباتيتين، وهي كما يلي:

الله سبحانه وتعالى حكيمٌ لا يكون أمره من غير فائدة.

إن الله سبحانه وتعالى جعل الكتاب هدايةً للعالمين، لا يختص بهم دون قوم.

حث الله سبحانه وتعالى الناس على قراءته آناء الليل وأطراف النهار.

وتنتج هذه المقدمة بأن الناس ممكناً أن تهتدي بنور القرآن الكريم بفهم ولو من خلال تعلمها، فإذا كان الغرض الأساسي من القرآن هو الهداية وقد حثَ الله سبحانه وتعالى على قراءته فلا يتعقل بأن الله سبحانه وتعالى لا يمكن عباده من فهمه ولو في الجملة، وهو عز وجل عالم حكيم.

وقد ذكر الفخر الرازي عدة أدلة عقلية^(٣) على فهم القرآن، ولكن يبدو أنها لا تخرج عن دائرة البرهان المتقدم.

الدليل القرآني:

جاء كثير من الآيات الكريمة الدالة مباشرةً على تدبر القرآن الكريم والتفكير فيه، وآيات تدل على أن القرآن الكريم بلسان القوم الذي نزل عليهم، وأنه فصيح ومبين، وآيات تبين أن القرآن للذكرى، إلى غير ذلك، وعلى ذلك فإن آيات القرآن الدالة على إمكان فهم القرآن بل وتحققه من عدة وجوه:

الآيات الدالة على التدبر والتفكير في القرآن الكريم مثل:

١- ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.^(٤)

فكونهم لا يجدون في القرآن الاختلاف يدل على أن القرآن الكريم مفهوم لديهم.

وقال الشيخ الطوسي: هذه الآية تدل على أربعة أشياء:

أحدها: على بطلان التقليد، وصحة الاستدلال في أصول الدين، لأنه حث ودعا إلى التدبر وذلك لا يكون إلا بالتفكير والنظر.

الثاني: يدل على فساد مذهب من زعم أن القرآن لا يفهم معناه إلا بتفسير الرسول له من الحشوية والمجبرة؛ لأنه تعالى حث على تدبره ليعلموا به.

الثالث: يدل على أنه لو كان من عند غير الله لكان على قياس كلام العباد من وجود الاختلاف فيه.

الرابع: تدل على أن المتناقض من الكلام ليس من فعل الله؛ لأنه لو كان من فعله لكان من عنده لا من عند غيره.^(٥)

و واضح جداً أن هذه المعاني إنما تتحقق فرض فهمهم للقرآن الكريم.

٢- ﴿أَفَلَمْ يَدَبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ أَبَاءَهُمُ الْأَوَّلَينَ﴾.^(٦)

قال الشيخ الطوسي في تفسير الآية: ﴿أَفَلَمْ يَدَبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ الذي أتاهم به من القرآن ويفكرروا فيه، فيعلموا أنه من قبل الله لعجز الجميع عن الإتيان بمثله.^(٧)

وقال ابن الجوزي في تفسير الآية: ﴿أَفَلَمْ يَدَبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ يعني القرآن، فيعرفوا ما فيه من الدلالات وال عبر على صدق رسولهم.^(٨)

٣- ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَفْغَالُهَا﴾.^(٩)

قال الطبرسي في تفسير الآية: بأن يتفكروا فيه ويعتبروا به.^(١٠)

وقال الشيخ الطوسي في تفسيرها: معناه: أفلات يتدبرون القرآن بأن يتفكروا فيه ويعتبروا به أم على قلوبهم قفل يمنعهم من ذلك تبيهاً على أن الأمر على خلافه، وليس عليها ما يمنع من التدبر والتفكير، والتدبر في النظر في موجب الأمر وعاقبته، وعلى هذا دعاهم إلى تدبر القرآن.^(١١)

وقال الفخر الرازي: أمرهم بالتدبر في القرآن الكريم، ولما كان غير مفهوم فكيف يأمرهم بالتدبر فيه؟^(١٢)

وقال القرطبي في تفسيره لهذه الآية: دلت هذه الآية على وجوب التدبر في القرآن ليعرف معناه، فكان هذا ردًا على فساد قول من قال: لا يأخذ التفسير إلا ما ثبت عن النبي ﷺ ومنع عن أن يتأنى على ما يسوعه لسان العرب، وفيه دليل على الأمر بالنظر والاستدلال وإبطال التقليد، وفيه دليل على إثبات القياس.^(١٣)

وقال الزمخشري: أفلات يتدبرون القرآن ويتصفحونه وما فيه من الموعظ والزواجر ووعيد العصابة حتى لا يجسروا على المعاصي، ثم قال: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَفْغَالُهَا﴾، أم بمعنى بل، والهمزة للتقرير، للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر.^(١٤)

وكل ذلك يبين أنهم كانوا يفهمون القرآن الكريم.

٤- قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.^(١٥)

والذكر في الآية هو القرآن الكريم، ويشهد لذلك ما رواه ابن أبي الديلم عن

أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ نقل حديثاً طويلاً وفيه يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وقال عز وجل ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، قال: الكتاب الذكر، وأهله آل محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ، أمر الله عز وجل بسؤالهم، ولم يؤمروا بسؤال الجهال، وسمى الله عز وجل القرآن ذكراً فقال تبارك وتعالي: ﴿وَأَنَّزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾).^(١٦)

وقال الشيخ معنني في تفسير الآية: ﴿وَأَنَّزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. الخطاب لمحمد عَلَيْهِ السَّلَامُ، والمراد بالذكر هنا القرآن، ومن الواضح أن الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب هداية الناس إلى الحق والعدل، وإلى حياة الأمان والرخاء، قوله: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ معناه لهم يتذمرون القرآن ويدركون أسراره وأهدافه، ويعلمون أنه أنزل لخيرهم ومصلحتهم.^(١٧)

فيتضح بأن الناس لهم القابلية أن يتذمرون في القرآن الكريم.

الآيات الدالة على أنه بلسان عربي:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذَرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيًّا مُّبِينًا﴾.^(١٨)

فلو لم يكن مفهوماً بطل كون الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ منذراً بالقرآن الكريم، وأشار إلى ذلك الفخر الرازي، والملا صدرا.^(١٩)

وقال الزحيلي: القرآن العظيم نزل بلسان عربي مبين، يقرأ بلغة العرب، فكان عشر العرب أولى الناس بالإيمان به وفهم معانيه، وتعلم معانيه.^(٢٠)

وقال الشيخ الطوسي: قوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيًّا مُّبِينًا﴾ وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ وقال: ﴿فِيهِ تِبْيَانٌ كُلُّ شَيْءٍ﴾ وقال: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ

منْ شَيْءٍ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَصِفَهُ بِأَنَّهُ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ؟ وَأَنَّهُ بِلِسَانِ قَوْمِهِ؟ وَأَنَّهُ بِيَانِ النَّاسِ وَلَا يَفْهَمُ بِظَاهِرِهِ شَيْءٌ؟ وَهُلْ ذَلِكُ إِلاَّ وَصْفٌ لَهُ بِاللُّغَزِ وَالْمُعْمَى الَّذِي لَا يَفْهَمُ الْمَرَادُ بِهِ إِلاَّ بَعْدِ تَفْسِيرِهِ وَبِيَانِهِ؟ وَذَلِكُ مِنْزَهٌ عَنِ الْقُرْآنِ.^(٢١)

وَجَاءَ فِي تَفْسِيرِ كَتْرِ الدِّقَائِقِ: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾: وَاضْعَفَ الْمَعْنَى، ثُلَّا يَقُولُوا: مَا نَصَّنَعَ بِمَا لَا نَفْهَمُهُ؟^(٢٢)

نَعَمْ قَدْ يَنْقُلُ الْخَلَافُ فِي مَعْنَى الْلِسَانِ الْعَرَبِيِّ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَلَكِنْ لَا خَلَافٌ فِي دَلَالَتِهَا عَلَى أَنَّ هَذَا الْلِسَانُ لِأَجْلِ الْإِفْهَامِ، قَالَ الشِّيخُ الطَّبَرِسِيُّ: ﴿لَتَكُونُ مِنَ الْمُنْذَرِينَ﴾ أَيْ لِتَخْوِفُ بِهِ النَّاسُ وَتَنْذِرُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ أَيْ بِلُغَةِ الْعَرَبِ مُبِينٌ لِلنَّاسِ مَا بِهِمْ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ فِي دِينِهِمْ، وَقِيلَ: أَرَادَ بِهِ لِسَانٌ قَرِيشٌ لِيَفْهَمُوهُ مَا فِيهِ وَلَا يَقُولُوا: مَا نَفْهَمْنَا مَا قَالَ مُحَمَّدٌ. عَنْ مُجَاهِدٍ. وَقِيلَ: لِسَانٌ جَرَهُمْ. وَإِنَّمَا جَعَلَهُ عَرَبِيًّا لِأَنَّ الْمَنْزِلَ عَلَيْهِ عَرَبِيٌّ وَالْمُخَاطِبُونَ بِهِ عَرَبٌ؛ وَلَا إِنَّهُ تَحْدِي بِفَصَاحَتِهِ فَصَحَاءَ الْعَرَبِ، وَقَدْ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ تَشْرِيفًا لِهَذِهِ الْلِغَةِ لِأَنَّهُ سَمَّاهَا مُبِينًا وَلِذَلِكَ اخْتَارَهَا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ.^(٢٣)

٢- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢٤)، قَالَ الشِّيخُ الطَّوْسِيُّ: أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَنْزَلَ هَذَا الْكِتَابَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِكَيْ يَعْقِلَ مَعَانِيهِ وَأَغْرِاصَهِ.^(٢٥)

وَقَالَ الشِّيخُ الطَّبَرِسِيُّ: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ عَلَى مَجَارِيِّ كَلَامِ الْعَرَبِ فِي مَحَاورَاتِهِمْ... ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أَيْ لَتَعْلَمُوا جَمِيعَ مَعَانِيهِ، وَتَفْهَمُوهُ مَا فِيهِ.^(٢٦) وَقَالَ السِّيدُ الطَّبَاطِبَائِيُّ: فَمَعْنَى الْآيَةِ - وَاللَّهُ الْعَالَمُ -: إِنَّا جَعَلْنَا هَذَا الْكِتَابَ المُشَتَّمِ عَلَى الْآيَاتِ فِي مَرْحَلَةِ النَّزُولِ مُلْبِسًا بِلِبَاسِ الْلُّفْظِ الْعَرَبِيِّ مُحَلِّي بِحَلِيةِ لِيقَعِ

في معرض التعقل منك ومن قومك أو أمتك، ولو لم يقلب في وحيه في قالب اللفظ المقصود أو لم يجعل عربياً مبيناً لم يعقل قومك ما فيه من أسرار الآيات، بل اختصر فهمه بك لاختصاصك بوحيه وتعلمه. (٢٧)

وقال السيد الشيرازي: ولقد شاء الله سبحانه أن ينزل هذا الكتاب بلغة العرب ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أنزلنا هذا الكتاب ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، ولماذا؟ ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وتفهمون، إذ هو بلغتكم. (٢٨)

وقال ابن حجر الطبرى: يقول تعالى ذكره إننا أنزلنا هذا الكتاب المبين قرآنأً عربياً على العرب؛ لأن لسانهم وكلامهم عربى، فأنزلنا هذا الكتاب بلسانهم ليعلقوه ويفهموا منه، وذلك قوله عز وجل ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. (٢٩)

وقال القرطبي: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي لكي تعلموا معانىه وتفهموا ما فيه. (٣٠)
وقال الزحيلي: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ..﴾ أي إننا أنزلنا هذا القرآن على النبي محمد العربي، بلغة العرب أوضح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأديةً للمعنى التي تقوم بالنفوس؛ لتعلموا ما لم تكونوا تعلمون من قصص وأخبار، وآداب وأخلاق، وأحكام وتشريعات، ومناهج حياة سليمة في السياسة والمجتمع والاقتصاد وشئون الدولة، ولتدبروا ما فيها من معانٍ وأهدافٍ تبني الفرد والجماعة على أقوام الأسس. (٣١)

فك كل هذه التفاسير تشير إلى أن القرآن عربي حتى يعلقوه، أي حتى يفهمون معانىه، الآية تدل على إمكان فهم القرآن الكريم.

٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. (٣٢)

كل ما جاء في تفسير الآية السابقة يأتي هنا أيضاً مما يدل على إمكان فهم

القرآن الكريم، وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة: والكتاب المبين أي بين الواضح الجلي المعاني والألفاظ؛ لأنه نزل بلغة العرب التي هي أوضح اللغات للتalking بين الناس، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ أي نزلناه ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أي بلغة العرب فصيحاً واضحاً ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي تفهمونه وتتدبرونه، كما قال عز وجل: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيًّا مُّبِينٌ﴾.^(٣٣)

٤- قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كَتَابٌ مُّصَدَّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لَّيْنَذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشِّرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣٤)، جاء في تفسير الأمثل: ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ يفهمه الجميع ويستفيدون منه.^(٣٥)

والشيخ الصادقي: ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ هذا كتاب مصدق حال كونه لساناً عربياً واضحاً بياناً لا غموض فيه رغم ما فيه من رموز «لساناً» لا «لغة» فـ«عربياً» يعني واضحاً لا تعقيد فيه، وإذ كان بلغة عربية، فهو عربي بعربيه.^(٣٦)

وقال السيد السبزواري: أي أن القرآن نزل بلسان عربي مبين حتى تعرفوا ما فيه وتم الحجة على المشركين من أهل مكة ونواحيها، وليخوف الذين ظلموا أنفسهم وغيرهم ويبشر الذين أحسنوا بالحسنى.^(٣٧)

وقال الملا فتح الله الكاشاني: وفائدة هذه الحال الإشعار بالدلالة على أنه مع كونه مصدقاً للتوراة مفهوم المراد للكفار قريش؛ لأنّه نزل بلغتهم على أوضح الكلام وأبلغ البيان.^(٣٨)

٥- قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّتُنَذِّرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنَذِّرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعَيْرِ﴾^(٣٩)
قال الشيخ الطبرسي: أي مثل ما أوحينا إلى من تقدمك من الأنبياء بالكتب التي

أنزلناها عليهم بلغة قومهم، وأوحينا إليك قرآنًا بلغة العرب، ليفقهوها ما فيه.^(٤٠)
وقال الطبرى: وهكذا أوحينا إليك يا محمد قرآنًا عربياً، بلسان العرب لأن الذين
أرسلتك إليهم قوم عرب، فأوحينا إليك هذا القرآن بالستهم، ليفهموا ما فيه من
حجج الله وذكره، ولا نرسل رسولاً إلا بلسان قوم.^(٤١)
وقال ابن الجوزي في تفسير الآية: أي ومثل ما ذكرنا إليك قرآنًا عربياً ليفهموا
ما فيه.^(٤٢)

وقال ابن خلدون: إن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا
كلهم يفهمون ويعلمون معانيه في مفرداته وتركيبه.^(٤٣)
٦- قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.^(٤٤)
قال السيد الطباطبائى: وكيف يمكن أن يكون هناك أمر مراد من لفظ الآية ولا
يمكن نيله من جهة اللفظ؟ مع أنه وصف كتابه بأنه هدى، وأنه نور، وأنه مبين، وأنه
في معرض فهم الكافرين فضلاً عن المؤمنين، حيث قال: ﴿تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ...﴾.^(٤٥)
وقال أيضاً: والمراد بتفصيل آيات القرآن تمييز أبعاضه بعضها من بعض بإنزاله
إلى مرتبة البيان بحيث يتمكن السامع العارف بأساليب البيان من فهم معانيه وتعقل
مقاصده وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.^(٤٦)، وقوله: ﴿وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَإِنَّهُ فِي أَمْ الْكِتَابِ لَدِيَنَا لَعَلَّيْ حَكِيمٌ﴾.^(٤٧)
وقال الشوكانى في قوله تعالى: ﴿عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: أي يعلمون معانيه
ويفهمونها، وهم أهل اللسان العربي.^(٤٨)

وقال المدرسي: ﴿لَقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ القرآن كتاب علم ولا يبلغ آماده إلا العلماء، وإذا قصر عن وعيه إنسان فالنقص في معارفه. وكلما تقدم علم البشرية كلما اقتربوا من محتوى القرآن وعرفوا عظمته، إلا أن ركب الإنسانية يسير قدمًا نحو التكامل ويبقى القرآن أمامه أبدًا.^(٤٩)

وقال الفخر الرازي: وقال المتكلمون لا يجوز أن يحصل فيه شيء غير معلوم، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿فَرَأَنَا عَرَبِيًّا لَّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يعني إنما جعلناه عربيًّا ليصير معلومًا، والقول بأنه غير معلوم يقدح فيه.^(٥٠)

وقال الزمخشري: فصلت آياته في حال كونه قرآنًا عربيًّا لقوم يعلمون، أي لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي المبين، لا يتبس عليهم شيء منه.^(٥١)

٧- قوله تعالى: ﴿فَرَأَنَا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَاجٍ﴾.^(٥٢)

قال الشيخ المفيد: القرآن نزل بلسان العرب ولغتهم، قال الله عز اسمه: ﴿فَرَأَنَا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَاجٍ﴾، فإذا ثبت أن القرآن نزل بلغة العرب، وخطب المكلفوون في معانيه على اللسان، وجوب العمل بما تضمنه على مفهوم كلام العرب دون غيرهم.^(٥٣)

ولا يمكن العمل بمحتواه قبل فهمه وفهم ما يريد، ولذا دلت الآية على فهم القرآن الكريم.

وقال الشيخ الطبرسي: أي غير ذي ميل عن الحق، بل هو مستقيم موصل إلى الحق.^(٥٤) و قريب منه تفسير السبزواري^(٥٥)، ولا يصل إلى الحق إلا إذا كان مفهوماً لدى الناس، ولا تعرف الناس بأن القرآن ليس ذي اعوجاج إلا إذا كانت تفهم

معانيه.

وقال محمد محمود: وصبرناه قرآنًا عربياً غير ذي عوج في لفظه أو معناه كي تعقلوا وتفكرروا فيه تفكيراً سديداً لتعلموا أنه من عند الله لا من عند محمد. (٥٦)

٨- قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلَنَا حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾. (٥٧)

قال السيد السبزواري: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلَنَا حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾، أي كما أنزلنا على الأنبياء السابقين كتاباً بلسان قومهم، أنزلنا القرآن حكماً عربياً أي شريعة وأحكاماً بلغة العرب من قومك، يحكم بين الناس ويبيّن الحق من الباطل، وجعلناه بلغتهم ليسهل عليهم حفظه وفهمه. (٥٨)

وقال الرحيلي: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلَنَا حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ أي وكما أرسلنا قبلك المرسلين وأنزلنا عليهم الكتب، كذلك أنزلنا عليك القرآن الكريم محكماً لا زيخ فيه، معرجاً بلسان قومك؛ ليسهل عليهم فهمه وحفظه. وهذا دليل على أن كل رسول أرسل بلغة قومه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمَهُ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾. (٥٩)

٩- قوله تعالى: ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾. (٦٠) ويكون مبيناً للناس إذا أمكن للناس فهم معانيه.

١٠- قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسِّرَنَا بِلِسَانَكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَدَّا﴾. (٦١)

قال الشيخ الطبرسي: أي يسرنا القرآن بأن أنزلناه بلسانك، وهي لغة العرب؛ ليسهل عليهم معرفته، ولو كان بلسان آخر، ما عرفوه. (٦٢)

وقال حبيب الله السبزواري: ﴿فَإِنَّمَا يَسِّرَنَا بِلِسَانَكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: إنما سهلنا عليك هذا القرآن بأن جعلناه بلغتك ولغة قومك لتسهل عليهم معرفة ما فيه

فتقىم الحجة عليهم، فتقرح المؤمنين بتبشيرهم بما وعدهم الله تعالى من الأجر والثواب.^(٦٣)

وقال العاملي: ﴿فَإِنَّمَا يَسِّرْنَاهُ بِلِسَانِكُمْ﴾ سهلنا القرآن بلغتك ليفهموه لعلهم يتذكرون ويتعظون، لكنهم لم يتعظوا.^(٦٤)

وقال الحائرى الطهراني: قال: ﴿فَإِنَّمَا يَسِّرْنَاهُ بِلِسَانِكُمْ﴾ أي يسرنا القرآن بلسانك لأنزلناه بلسانك وهو لغة العرب ليسهل عليهم معرفته.^(٦٥)

وقال القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة: أي القرآن ينبع بلسانك العربي وجعلناه سهلاً على من تدبره وتأمله، وقيل أنزلناه عليك بلسان العرب ليسهل عليهم فهمه.^(٦٦)

١١- قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسِّرْنَاهُ بِلِسَانِكُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٦٧)

قال الشيخ الطوسي: قال لنبيه ﷺ ﴿فَإِنَّمَا يَسِّرْنَاهُ بِلِسَانِكُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يعني باللغة العربية ليفهموا ويتفكروا فيه، فيعلموا على أن الأمر على ما قلناه.^(٦٨)

وقال الفيض الكاشاني في تفسير هذه الآية: سهلناه حيث أنزلناه بلغتك، وهو كذلك للسورة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يفهمونه فيذكرون به لما لم يتذكروا.^(٦٩)

وقال ابن جرير الطبرى في تفسير هذه الآية: يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: إنما سهلنا قراءة هذا القرآن الذي أنزلناه عليك يا محمد بلسانك؛ ليذكر هؤلاء المشركون الذين أرسلناك إليهم بعبده وحججه، ويتعظوا بمواعظه، ويتفكروا في آياته إذا أنت تتلو عليهم، فينبئوا إلى طاعة ربهم، ويذعنوا للحق عند تبينهم.^(٧٠)

وقال ابن كثير: أي إنما يسرنا هذا القرآن الذي أنزلناه سهلاً وأضحاً بيناً جلياً بلسانك الذي هو أوضح اللغات وأجلالها وأحلاها وأعلاها لعلهم يتذكرون، أي

يتفهمون ويعلمون. (٧١)

الآيات التي تصف القرآن بأنه كتاب مبين وأنه تبيان:

الآيات التي تصف القرآن بأنه مبين وأنه تبيان لكل شيء، وإذا كان كذلك فلابد وأن يكون مفهوماً، وقد تقدمت بعض الآيات الدالة على ذلك وفيما يلي الآيات التي لم تذكر آنفاً وترك فيما يلي جانب التفسير؛ لوضوح الآيات من جهة وللاكتفاء بما تقدم من ذكر التفاسير:

١- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾. (٧٢)

٢- قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾. (٧٣)

٣- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾. (٧٤)

٤- قوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدٰىٰ وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾. (٧٥)

٥- قوله تعالى: ﴿طُسْ تُلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾. (٧٦)

٦- قوله تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بِالْغَةٍ﴾. (٧٧)

الآيات الدالة على أن في القرآن هدى وموعظة وذكرى للعباد:

ويكون القرآن كتاب هداية للناس فيما إذا كنت تفهم معناه وكذلك تتعظ بما في القرآن إذا فهمت معناه، وذلك يكون ذكرى إذا فهمت معناه ولو إجمالاً.

١- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَرَّنَا الْقُرْآنُ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُذَكَّرٍ﴾. (٧٨)

قد تكررت هذا الآية في سورة القمر أربع مرات هذه الآية آية رقم ٣٢، ٢٢

.٤٠

- ٢- قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ﴾. (٧٩)
- ٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُسِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. (٨٠)
- ٤- قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًىٰ لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾. (٨١)
- ٥- قوله تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلَيُنذَرُوا بِهِ﴾. (٨٢)
- ٦- قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْفُرْقَانَ لِيَكُونَ لِلنَّاسِ نَذِيرًا﴾. (٨٣)
- ٧- قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا الْقُرْآنُ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾. (٨٤)
- ٨- قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلَنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾. (٨٥)

الآيات الدالة أن في القرآن أمثال مضروبة للعباد:

ويكون مثل للناس فيما إذا كانت الناس تفهم القرآن الكريم:

- ١- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًاٰ مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْ مِنْ كُلِّكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾. (٨٦)
- ٢- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبَنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾. (٨٧)
- ٣- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبَنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾. (٨٨)
- ٤- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتُهُ خَاسِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتَلْكَ الْأَمْتَالُ نَضْرُبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. (٨٩)

٥- قوله تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾. (٩٠)

٦- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَآبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾. (٩١)

٧- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا﴾. (٩٢)

وإلى غير ذلك من الآيات الكريمة وقد ذكر الله سبحانه بأن القرآن لم يفرط فيه شيء قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾، (٩٣) وقد مدح القرآن قوم يستبطون القرآن، قال تعالى: ﴿عَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَبْطُونَهُ مِنْهُمْ﴾. (٩٤)

الآيات الدالة على إعجاز القرآن الكريم وتحديه

آيات التحدي تدل على أن الناس تفهم معانيه ولو من ظواهره، ولو كان القرآن من قبيل الألغاز لم يصح تحدي القرآن البشر بمعارضته، ولتمكن المشركون من الاحتجاج على ترك المعارضة، ولكن شيء من ذلك لم يحدث مما يدل على أن الناس الذين سمعوا القرآن كانوا يفهمون معانيه ولو من ظواهره وقد عجزوا على أن يأتوا بمثله، وفيما يلي آيات التحدي:

١- قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلَهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (٩٥)

٢- قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سِوَرٍ مِّثْلَهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (٩٦)

٣- قوله تعالى: ﴿لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُونَ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لَبَعْضٍ ظَاهِرًا﴾.^(٩٧)

٤- قوله تعالى: ﴿فَلَيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.^(٩٨)

٥- قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُتْمَ فِي رَبِّ مِمَّا نَزَّلَنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُتْمَ صَادِقِينَ﴾.^(٩٩)

أدلة فهم القرآن من السنة:

الأحاديث الدالة على التمسك بالقرآن الكريم:

ومن أبرز هذه الأحاديث سنداً - حيث إنه متواتر من الفريقين - ودلالة حديث الثقلين، والثقل الأكبر فيهما هو القرآن الكريم، ومعنى التمسك به هو أن يجعل إماماً في جميع شؤون الحياة، وهذا لا يمكن من غير فهمه.

وبعض العامة تمسك بما رووه عن الرسول ﷺ أنه قال: (إنني تارك فيكم ما إن تمكتم به لن تضلوا كتاب الله وستتي).^(١٠٠) ولكن الحق هو حديث الثقلين وللبرهنة على ذلك مقام آخر.

الأحاديث الدالة على طرح الرواية إذا لم توافق الكتاب:

وهي أحاديث متواترة أيضاً، وهي تأمر بعرض الرواية - ولو في حالات معينة - على الكتاب، فإذا كانت الرواية تخالف الكتاب فإن الرواية باطلة^(١٠١) أو أنها زخرف^(١٠٢) وأنها لم تصدر عن الرسول ﷺ^(١٠٣) ولا عن أئمة أهل البيت ع^(١٠٤)، وأنه ليس من حديثهم^(١٠٥)، أو أن الذي أتى بالرواية هو أولى بها^(١٠٦)، أو أنها لا يأخذ بها ولا يعمل بها^(١٠٧)، فإن هذه الأحاديث واضحة الدلالة على أن القرآن

الكريم مفهوم ولو في ظواهره، وأنه مما يفهمه كل عارف باللغة العربية.

الأحاديث الدالة على عدم العمل بالشرط إذا خالف الكتاب:

فإنها تدل على فهم ظواهر الكتاب حتى يمكن عرض الشرط على الكتاب وعدم العمل به إذا خالفه، وكيف يعرف أنه يخالفه أو لا يخالفه إذا لم يفهم القرآن؟ وهذه الروايات من قبيل رواية عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ بِالْحُكْمِ قال: سمعته يقول: (من اشترط شرطاً مخالفًا لكتاب الله فلا يجوز له ولا يجوز على الذي اشترط عليه، وال المسلمين عند شروطهم فيما وافق كتاب الله عز وجل).^(١٠٨)

سيرة الرسول والأئمة - صلوات الله عليه وعليهم أجمعين - في الاستدلال بالقرآن:

فإن استدلال الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمُ بالقرآن حتى يبين حجية كلامه لدى من استدل عنده، وهذا يعني أن من استدل عنده كان يفهم القرآن حتى يقبل احتجاج الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمُ، وفيما يلي أمثلة على ذلك:

منها: استدلال الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُ على عدم جواز نكاح العبد بقوله تعالى:

﴿عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾.^(١٠٩)

ومنها: قوله عَلَيْهِ الْكَلَمُ لابنه إسماعيل: (إذا شهد عندك المؤمنون فصدقهم، مستدلاً

بقوله عز وجل: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلنَّاسِ﴾.^(١١٠)

ومنها: ما رواه الطبرى بسنده عن أبي الد ilem، قال: لما جيء بعلي بن الحسين (رضي الله عنهما) أسيراً فأقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قربى الفتنة، فقال له علي بن الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمُ:

أقرأت القرآن؟ قال: نعم. قال: أقرأت آل حم؟ قال: قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم!
 قال: ما قرأت **﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَةَ فِي الْقُرْبَى﴾**^(١١١) قال: وإنكم
 لأنتم هم؟ قال: نعم.^(١١٢)

ومنها: عن موسى بن علي بن أبي رباح، عن أبيه، عن جده، قال: قال لي
 النبي ﷺ: (إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله كل نسب بينها وبين
 آدم، أما قرأت هذه الآية **﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكِبَكَ﴾**^(١١٣) فيما بينك وبين
 آدم عليه السلام).^(١١٤)

ومنها: ما رواه الطبراني عن ابن الدليمي قال: قال علي بن الحسين عليه السلام لرجل
 من أهل الشام: أما قرأت في الأنفال **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾**^(١١٥) الآية؟ قال: نعم. قال: فإنكم لأنتم هم؟ قال: نعم.^(١١٦)
 ومنها: ما عن أبي الدليم قال: قال علي بن الحسين عليه السلام لرجل من أهل الشام:
 أما قرأت في الأحزاب **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَهِّبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾**^(١١٧)، قال: ولأنتم هم؟ قال: نعم.^(١١٨)

ومنها: عن زرارة قال: (قلت لأبي جعفر عليه السلام: لا تخربني من أين علمت أن
 المصح ببعض الرأس وبعض الرجلين؟ فضحك، ثم قال: يا زرارة! قال
 رسول الله ﷺ ونزل به الكتاب من الله؛ لأن الله عز وجل يقول: **﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾** فعرفنا أن الوجه كله ينبغي أن يغسل، ثم قال: **﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَاقِ﴾**
 ثم فصل بين الكلام، فقال **﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾** فعرفنا حين قال: برؤوسكم أن
 المصح ببعض الرأس لمكان الباء...).^(١١٩)
 والموارد كثيرة جداً ونكتفي بما قدمناه حتى لا يطول بنا المقام.

الفرق بين الظاهر والظواهر:

ظاهر القرآن الكريم تارةً يطلق ويراد به ما يقابل باطن القرآن، وتارةً يطلق ويراد به ما يقابل المجمل والم المشترك المردد بين معنيين فما زاد، فالبحوث التي تقام في حجية ظواهر القرآن الكريم المراد منها الظاهر بالمعنى الثاني، وهو ظواهر ألفاظ الآيات الكريمة وما تؤدي إليه من معانٍ بمجرد الانصراف اللغوي والعرفي من غير احتياج إلى قرينة في إفادة تلك المعاني، وأما الظاهر المبحوث في بواسطه القرآن الكريم وأسراره فالمراد به ما تشير إليه الآيات القرآنية من معانٍ من خلال ظاهرها ولو مع القرائن الحالية والمقالية المحتفظة بالآيات الكريمة، فظاهر القرآن أعم من ظواهر آيات القرآن الكريم؛ لأن ظاهر القرآن الذي يقابل باطنه يشمل المجمل والم المشترك، ويشمل موارد التنزيل أيضاً؛ لأنها قرائن حالية للآيات الكريمة، ويطلق على كلا القسمين بظاهر القرآن الكريم، ولكن لا تطلق ظواهر الآيات اصطلاحاً إلا على القسم الثاني.

ولابد في فهم الظاهر - سواء كان بالمعنى الأول أو بالمعنى الثاني - من معرفة اللغة العربية وما يتعلق بها من علوم لغوية من اللغة، والقواعد اللغوية، وعلم البيان والبديع، وكل ما له دخل في اللغة العربية مما يساعد على فهم الظاهر، وسيظهر من بعض المباني الآتية في فهم القرآن بين الفريقين أن هناك من يعتقد بإمكان فهم الظواهر القرآنية، ولا يعتقد إمكان فهم ظاهر القرآن الذي يقابل باطن القرآن في غير موارد الظواهر اللفظية إلا من خلال أحاديث المعصومين عليهما السلام، ولذا كان من المهم التفريق بين ظاهر القرآن الذي يقابل باطن القرآن وبين ظواهر الآيات التي تقابل المجمل الذي يحتاج إلى تفصيل، والم المشترك بين عدة معانٍ من غير انصراف

إلى أحدهما، الذي يحتاج تعينه في أحدهما إلى دليل.

المواهش:

- (١) مختار الصحاح، ص ٢١٥.
- (٢) لسان العرب، ج ١٢، ص ٤٥٩.
- (٣) التفسير الكبير، ج ١، ص ٢٥١.
- (٤) النساء، الآية ٣٢.
- (٥) تفسير التبيان، ج ٣، ص ٢٧٠.
- (٦) المؤمنون، الآية ٦٨.
- (٧) التبيان في تفسير القرآن، ج ٧، ص ٣٨١.
- (٨) زاد المسير، ج ٣، ص ٢٦٧.
- (٩) محمد ﷺ، الآية ٢٤.
- (١٠) مجمع البيان، ج ٩، ص ١٥٦.
- (١١) البيان، ج ٩، ص ٣٠٣.
- (١٢) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج ١، ص ٢٥٠.
- (١٣) الجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ٢٩٠.
- (١٤) الكشاف، ج ٤، ص ٣٢٦.
- (١٥) التحل، الآية ٤٤.
- (١٦) تفسير البرهان، ج ٣، ص ٤٢٥؛ تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٥٧؛ تفسير الميزان، ج ١٢، ص ٢٨٤.
- (١٧) تفسير الكاشف، ج ٤، ص ٥١٧.
- (١٨) الشعراء، الآيات ١٩٢-١٩٥.
- (١٩) مفاتيح الغيب، ج ١، ص ٢٥٠؛ تفسير ملا صدراء، ج ١، ص ٢٠٦.
- (٢٠) تفسير المنير، ج ١٢، ص ٢٠٢.
- (٢١) البيان، ج ١، ص ٤.
- (٢٢) كنز الدقائق، ج ٩، ص ٥٠٦.
- (٢٣) تفسير مجمع البيان، ج ٧، ص ٣٢٠.
- (٢٤) يوسف، الآية ٢.

- (٢٥) التبيان، ج٦، ص٩٢.
- (٢٦) مجمع البيان، ج٥، ص٣٥٥.
- (٢٧) الميزان، ج١١، ص٧٥.
- (٢٨) تقرير القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص٦٦١.
- (٢٩) جامع البيان، ج١٢، ص١٩٥.
- (٣٠) الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص١١٨.
- (٣١) تفسير المنير، ج١٢، ص١٩٩.
- (٣٢) الزخرف، الآية ٣.
- (٣٣) تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص٢٠٠، والآية من سورة الشعراة: ١٩٥.
- (٣٤) الأحقاب، الآية ١٢.
- (٣٥) تفسير الأمثل، ج١٦، ص٢٤١، وطبعة أخرى ج١٦، ص٢٥٦.
- (٣٦) الفرقان في تفسير القرآن، ج٢٨، ص٢٣.
- (٣٧) إرشاد الأذهان في تفسير القرآن، ص٥٠٨.
- (٣٨) زبدة التفاسير، ج٦، ص٣٢٣.
- (٣٩) الشورى، الآية ٧.
- (٤٠) مجمع البيان، ج٩، ص٣٨.
- (٤١) جامع البيان، ج٢٥، ص١٣.
- (٤٢) زاد المسير، ج٧، ص٧٢.
- (٤٣) تفسير الشاعلي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) ج١، ص٤٧.
- (٤٤) فصلت، الآية ٣.
- (٤٥) تفسير الميزان، ج٣، ص٣٥.
- (٤٦) هود ﷺ، الآية ١.
- (٤٧) تفسير الميزان، ج١٧، ص٣٥٩. والآية من سورة الزخرف: ٤.
- (٤٨) فتح القدير، ج٤، ص٥٠٥.
- (٤٩) من هدى القرآن، ج١٢، ص١٥٩.
- (٥٠) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ج٩، ص٥٤٠.

- (٥١) الكشاف، ج ٤، ص ١٨٤.
- (٥٢) الزمر، الآية ٢٨.
- (٥٣) تفسير الشيخ المفید، ص ٥٦.
- (٥٤) مجمع البيان، ج ٨، ص ٧٧٥.
- (٥٥) إرشاد الأذهان، ص ٤٦٦.
- (٥٦) التفسير الواضح، ج ٣، ص ٣٨٣.
- (٥٧) الرعد، الآية ٣٧.
- (٥٨) الجديد في تفسير القرآن، ج ٤، ص ١٣٢.
- (٥٩) تفسير المنیر، ج ١٣، ص ١٨٣ - ١٨٤، والآية من سورة إبراهيم: ٤.
- (٦٠) النحل، الآية ١٠٣.
- (٦١) مريم، الآية ٩٧.
- (٦٢) مجمع البيان، ج ٦، ص ٤٥٥.
- (٦٣) إرشاد الأذهان، ص ٣١٧.
- (٦٤) تفسير الوجيز، ج ٣، ص ١٩٠.
- (٦٥) مقتنيات الدرر وملقطات الشمر، ج ٧، ص ٦٥.
- (٦٦) الجامع لأحكام القرآن، ج ١١، ص ١٦٢.
- (٦٧) الدخان، الآية ٥٨.
- (٦٨) البيان في تفسير القرآن، ج ٩، ص ٢٤٣.
- (٦٩) تفسير الصافي، ج ٤، ص ١١١، تفسير الأصفى، ج ٢، ص ١١٥٧.
- (٧٠) جامع البيان، ج ٢٥، ص ١٨٠.
- (٧١) تفسير ابن كثیر (تفسير القرآن العظيم) ج ٤، ص ١٥٩.
- (٧٢) النساء، الآية ١٧٤.
- (٧٣) المائدة، الآية ١٥.
- (٧٤) النور، الآية ٣٤.
- (٧٥) آل عمران، الآية ١٣٨.
- (٧٦) النمل، الآية ١.

- (٧٧) القمر، الآية .٥
- (٧٨) القمر، الآية .١٧
- (٧٩) البقرة، الآية .٢
- (٨٠) الإسراء، الآية .٩
- (٨١) البقرة، الآية .١٨٥
- (٨٢) إبراهيم عليه السلام، الآية .٥٢
- (٨٣) الفرقان، الآية .١
- (٨٤) النمل، الآية .٧٦
- (٨٥) النحل، الآية .٨٩
- (٨٦) سورة النور، الآية .٣٤
- (٨٧) سورة الروم، الآية .٥٨
- (٨٨) الزمر، الآية .٢٧
- (٨٩) الحشر، الآية .٢١
- (٩٠) إبراهيم عليه السلام، الآية .٢٥
- (٩١) الإسراء، الآية .٨٩
- (٩٢) الكهف، الآية .٥٤
- (٩٣) الأنعام، الآية .٣٨
- (٩٤) النساء، الآية .٨٣
- (٩٥) يونس عليه السلام، الآية .٣٨
- (٩٦) هود عليه السلام، الآية .١٢
- (٩٧) الإسراء، الآية .٨٨
- (٩٨) الطور، الآية .٣٤
- (٩٩) البقرة، الآية .٢٣
- (١٠٠) التفسير الكبير، ج ١، ص ٢٥١، المستدرك على الصحيحين، ج ١، ص ١٧٢.

- (١٠١) المحسن، ج ١، ص ٢٢١، ح ١٢٩.
- (١٠٢) أصول الكافي، ج ١، ص ٦٩، ح ٣٤، وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١١٠، ح ٣٣٣٤٥ و ٣٣٣٤٧.
- (١٠٣) جاء في المحسن بسند صحيح عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَهُ: إِذَا حَدَثْتُمْ عَنِي بِالْحَدِيثِ فَأَنْحَلُونِي أَهْنَاهُ وَأَسْلِهُ، وَأَرْشَدُهُ إِنْ وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ فَأَنَا قُلْتُهُ، وَإِنْ لَمْ يَوَافِقْ كِتَابَ اللَّهِ فَلَمْ أَفْلُهُ). المحسن، ج ١، ص ٢٢١، ح ١٣١، وقرب منه ح ١٣٠، وفي أصول الكافي بسنته عن هشام بن الحكم وغيره، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ قال خطب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَهُ بمني فقال: (أَيُّهَا النَّاسُ مَا جَاءَكُمْ عَنِي بِالْحَدِيثِ فَأَنْحَلُونِي أَهْنَاهُ وَأَسْلِهُ، وَأَرْشَدُهُ إِنْ وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ فَلَمْ أَفْلُهُ). أصول الكافي، ج ١، ص ٦٩، ح ٥.
- (١٠٤) وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١١١، ح ٣٣٣٤٨.
- (١٠٥) قرب الإسناد، ص ٩٢.
- (١٠٦) أصول الكافي، ج ١، ص ٦٩، ح ٢.
- (١٠٧) أصول الكافي، ج ١، ص ٦٩، ح ١، وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١١٩، ح ٣٣٣٦٧.
- (١٠٨) الكافي، ج ٥، ص ١٦٩، ح ١، تهذيب الأحكام، ج ٧، ص ٢٢، ح ١١.
- (١٠٩) الاستبصار، ج ٣، ص ٢١٥، باب ١٣٤، ح ٣.
- (١١٠) الكافي: ج ٥، ص ٢٩٩، ح ١.
- (١١١) الشورى، الآية ٢٣.
- (١١٢) تفسير الطبرى، ج ٢٥، ص ٢٥، تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ١١٣.
- (١١٣) الانفطار، الآية ٩.
- (١١٤) تفسير الطبرى، ج ٣٠، ص ٨٧، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٩، ص ٢٤٧.
- (١١٥) الأنفال، الآية ٤١.
- (١١٦) تفسير الطبرى، ج ١٠، ص ٥.
- (١١٧) الأحزاب، الآية ٣٣.
- (١١٨) تفسير الطبرى، ج ٢٢، ص ٨، تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٤٨٧.
- (١١٩) الكافي، ج ٣٠، ص ٣٠، باب المسح على الرأس، ح ٤.

بصمات الشيعة في لفظ القرآن الكريم

خازى عبد الحسن إبراهيم

القرآن كلام الله الخالد، وهو حبله المتين، وسببه الأمين، وهو الناصح الذي لا يغش، والهادى الذى لا يضل، والمحدث الذى لا يكذب، فيه ربيع القلب وينابيع العلم، وما للقلب جلاءٌ غيره^(١). وقد تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظه وصيانته من جميع النواحي، كالتحريف والتلف والضياع، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢).

ومن من الله عز وجل الكجرى وآلائه الجمة التي أسبغها على المسلمين الشيعة، أن جاهم للمساهمة في تحقيق هذا التعهد الإلهي بحفظ القرآن الكريم. فعلى الرغم من كثرة السهام المسمومة التي رشت مستهدفةً المسلمين الشيعة على مر التاريخ، إلا أنهم قد حازوا على قصب السبق في شتى الميادين وال مجالات، وبصماتهم قد لمعت في كبريات القضايا المصيرية، ابتغاً لمرضاة الله سبحانه وتعالى ورفعه الإسلام وعز المسلمين. ومن أقدس هذه القضايا وأهمها على الإطلاق، المساهمة الفاعلة في حفظ القرآن الكريم.

أول من جمع القرآن الكريم:

جاء في بعض أحاديث جمع القرآن من طرق أهل السنة أن أول من جمع القرآن هو الخليفة الأول أبو بكر الصديق^(٣)، حيث إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقراء القرآن، وقد سأله أبو بكر زيد بن ثابت النظر في ذلك، فأبلى حتى استعان عليه

بعمر، ففعل^(٤). وجاء في بعض آخر من الأحاديث أن أول من جمع القرآن هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، فقد سأله عمر عن آية من كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة، فقال: إننا لله، وأمر بجمع القرآن فجُمِعَ، فكان أول من جمعه في المصحف^(٥). وجاء في بعض آخر من الأحاديث أيضاً أن أول من جمع القرآن هو الخليفة الثالث عثمان بن عفان، حيث إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف نسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحوث بن هشام، فنسخوها في المصاحف.^(٦)

ويلاحظ على أحاديث جمع القرآن التي وردت من طرق أهل السنة أنها متناقضة، فلا يمكن الاعتماد على شيء منها^(٧)، علمًا بأن هذه الروايات معارضة بروايات آخر - وردت من طرق أهل السنة - دلت على أن القرآن كان قد جُمِعَ وكتب على عهد رسول الله ﷺ، حيث روى قتادة: قال: (سألتُ أنس بن مالك: منْ جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ؟ قَالَ: أَرْبَعَةٌ كَلَّهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَبِي بْنِ كَعْبٍ، وَمَعاذَ بْنِ جَبَلٍ، وَزَيْدَ بْنِ ثَابَتَ، وَأَبْوَ زَيْدٍ).^(٨) مضافاً إلى أن هذه الروايات معارضة بالكتاب، فإن كثيراً من آيات الكتاب الكريم دالة على أن سور القرآن كانت متميزة في الخارج بعضها عن بعض، وأن النبي ﷺ قد تحدى الكفار والمشركين على الإitan بمثل القرآن، وبعشر سور مثله مفتريات، وبسورة من مثله، ومعنى هذا أن سور

القرآن كانت في متناول أيديهم.^(٩)

نعم، قال الحارث المحاسبي: (المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان، وليس كذلك، إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد، على اختيار وقع بينه وبين من شهد من المهاجرين والأنصار لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات).^(١٠) علمًا بأن من جاء بفكرة توحيد المصاحف على عهد عثمان هو حذيفة بن اليمان^(١١)، وهو أحد الأركان الأربعية من أصحاب أمير المؤمنين^(١٢)، سكن الكوفة، ومات بالمدائن بعد بيعة أمير المؤمنين عليه السلام بأربعين يوماً.^(١٣) ولم ينتقد عثمان أحد من المسلمين على عمله هذا؛ وذلك لأن الاختلاف في القراءة كان يؤدي إلى الاختلاف بين المسلمين وتمزيق صفوفهم، بل كان يؤدي إلى تكفير بعضهم بعضاً، ولكن الأمر الذي انتقد عليه هو إحراقه لبقية المصاحف حتى سمي بحرّاق المصاحف.^(١٤)

وفي صدد تفنيد الهدف المعلن الذي دعا الخلفاء الثلاثة لجمع القرآن، قال الكاتب أحمد حسين يعقوب في كتابه مساحة للحوار: (ثم إن السبب المعلن الذي دعا الخلفاء الثلاثة لجمع القرآن الكريم هو خشيتهم من أن يقتل حفظة القرآن، وبالتالي يضيع القرآن، وبضياعه يضيع الدين. كيف يحتاط الخلفاء الثلاثة لحفظ القرآن ويخشون ضياعه إن لم يكتب، ولا يحتاط النبي ولا يخشى ضياعه وهو الأعلم والأبعد نظراً منهم؟ فهل هم أحرص على القرآن وعلى الدين من النبي؟)، وقال أيضاً: (كانت عند علي بن أبي طالب نسخة مكتوبة من هذا القرآن، وإن المئات من الصحابة كانت لديهم نسخ مكتوبة ومجموعة من القرآن الكريم، وكل ما في الأمر أنه لما بدأت الفتوحات صارت شعوب البلدان المفتوحة

تسأل عن هذا القرآن، فكتب قادة الجيوش لأبي بكر بوصفه الخليفة، فتبني أبو بكر بمساعدة أركان دولته عملية استنساخ عدد من نسخ القرآن المكتوبة والمجموعة، وأرسلها إلى قادة جيشه. وتكررت العملية مع عمر عندما تولى الخلافة، وتكررت مع عثمان عندما آلت إليه الخلافة، ولا خلاف في أن عثمان بن عفان قد منع قراءات القرآن المعتمدة وحضرها في قراءة واحدة ارتضاهما شخصياً، وصارت هي القراءة الرسمية المعتمدة من دولة الخلافة^(١٦)، وقال مير محمدي في كتابه بحوث في تاريخ القرآن: (أما بالنسبة لما ورد من أن الجمع كان في زمن أبي بكر، فالظاهر أن مقصودهم هو أن أبي بكر قد أمر زيداً أن يستنسخ مصحفاً له من تلك الصحف المكتوبة على عهد النبي ﷺ، والمجموعة في مكان واحد، وقد أشار إلى هذا أبو شامة حيث قال في المقام: وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي ﷺ، لا من مجرد الحفظ).^(١٧)

رأي علماء الشيعة في جمع القرآن الكريم:

أما علماء الشيعة فقد قالوا بأن أول من جمع القرآن الكريم وكتبه هو الإمام علي بن أبي طالب علیه السلام، وقد وافقهم في ذلك بعض علماء أهل السنة، قال ابن سعد في الطبقات الكبرى: (أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب بن عون عن محمد قال علي: آليت بيمن أن لا أرتدي برداي إلا إلى الصلاة حتى أجمع القرآن. قال: فزعوا أنه كتبه على تنزيله، قال محمد: فلو أصيб ذلك الكتاب كان فيه علم)^(١٨)، وقال العالمة أبو المؤيد أخطب خوارزم في المناقب: (أنبأني أبو العلاء الحسن بن أحمد... (إلى أن قال): عن علي بن رباح أنه قال: جمع القرآن على عهد رسول الله علیه السلام علي بن أبي طالب)^(١٩)، وقال ابن الأثير في أسد الغابة: (وهو - أبو بكر -

أول من جمع القرآن، وقيل علي بن أبي طالب أول من جمعه^(٢٠)، وقال: قال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة: (اتفق الكل على أنه - أَيْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - كَانَ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَكُنْ غَيْرُهُ يَحْفَظُهُ، ثُمَّ هُوَ أَوْلَى مَنْ جَمَعَهُ، نَقَلُوا كُلَّهُمْ أَنَّهُ تَأْخُرَ عَنْ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ، فَأَهْلُ الْحَدِيثِ لَا يَقُولُونَ مَا تَقُولُهُ الشِّيَعَةُ مِنْ أَنَّهُ تَأْخُرٌ مُخَالِفٌ لِبَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ، بَلْ يَقُولُونَ تَشَاغُلُ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ، فَهَذَا يَدِلُّ عَلَى أَنَّهُ أَوْلَى مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مَجْمُوعًا فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا احْتَاجَ إِلَيْهِ تَشَاغُلُ بِجَمْعِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ)^(٢١)، وقال ابن جزي الكلبي: (كان القرآن على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُفْرَقًا فِي الصَّحْفِ وَفِي صُدُورِ الرِّجَالِ، فَلَمَّا تَوَفَّى جَمِيعُهُ عَلَيْهِ أَبِي طَالِبٍ عَلَى تَرْتِيبِ نَزُولِهِ)^(٢٢)، وقال ابن حجر: (وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ عَلِيًّا جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى تَرْتِيبِ النَّزُولِ عَقْبَ مَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). أخرجه ابن أبي داود^(٢٣)، وقال العلامة المحدث الشيخ علي بن برهان الدين الشافعي في السيرة الحلبية: (وَهُوَ - أَيْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ خَلِيلِهِ - أَوْلَى مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَسَمَاهُ مَصْحَفًا)^(٢٤).

وأما علماء الشيعة، وبعد اتفاقهم على أن الإمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ هو أول من جمع القرآن وكتبه، إلا أنهم اختلفوا في توقيت ذلك تبعًا لاختلاف الأخبار، فبعضهم ذهب إلى أن القرآن قد جمع في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بينما البعض الآخر ذهب إلى أن الجمع قد حصل بعد وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مباشرةً وبأمر منه.

جاء في كتاب مناقب أمير المؤمنين لمحمد بن سليمان الكوفي: (عن السدي قال: قال ابن عباس: أول من أسلم علي قبل الناس بسبعين سنة، وكان أول من جمع القرآن)^(٢٥)، وقال الشيخ الصدوق: (إِنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ مَا بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ، وَهُوَ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ)^(٢٦)، وقال علم الهدى السيد

المرتضى: (كان القرآن على عهده ﷺ مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن. واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان، حتى عين جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنه كان يعرض على النبي ﷺ ويتبلي عليه، وأن جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ عدة ختمات. وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتبًا غير مبتور ولا مبثور).^(٢٧)

وقال الفيض الكاشاني في تفسيره الصافي: (وأما الروايات عن أهل البيت علیهم السلام في أن علياً أول من جمع القرآن على ترتيب النزول، ففوق حد الإحصاء)،^(٢٨) وأورد السيد نعمة الله الجزائري في كتابه نور البراهين أنه روى أن أمير المؤمنين علیه السلام لما جمع القرآن بعد وفاة النبي ﷺ، شده برداهه وأتى به إلى المسجد إلى أبي بكر وأصحابه، وأخبرهم أن هذا القرآن كما أنزل، وأن النبي ﷺ أمره بجمعه، فقال الأعرابي: لا حاجة بنا إليه، عندنا مثله، فحمله علیه السلام وقال: لن يراه أحد حتى يظهر ولدي المهدي، فيحمل الناس على تلاوته والعمل بأحكامه، ولما تخلف الأعرابي أرسل إلى أمير المؤمنين علیه السلام حيلةً منه على إحراقه، كما أحرق القرآن ابن مسعود، فلم يرض علیه السلام)،^(٢٩) وقال الميرزا محمد المشهدی في تفسیر کنز الدقائق: (فقد كان - الإمام علي علیه السلام - أول من جمع القرآن وعلى هامشه الكثير من تفسیر مجمله وتبيین معضله، كان علیه السلام قد شرح أسباب النزول، وبين موقعه وتواریخه، والأفراد أو الجماعات الذين نزلت فيهم الآيات، كما كان قد أشار إلى موقع عموم الآيات من خصوصها ومطلقها ومقيداتها وناسخها ومنسوخها ومجملها ومبنيتها، بل وجميع ما يحتاج إليه المراجع عند فهم الآيات، كل ذلك على الهاشمی،

تميماً للفائدة) (٣٠)، وقال الشيخ محمد هادي معرفة في كتابه تلخيص التمهيد: (أول من تصدى لجمع القرآن بعد وفاة النبي ﷺ مباشرةً وبوصية منه هو علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، قعد في بيته مشتغلًا بجمع القرآن وترتيبه على ما نزل، مع شروح وتفسيرات مواضع مهمات من الآيات، وبيان أسباب النزول وموقع النزول بتفاصيل حتى أكمله على هذا النمط البديع) (٣١)، وقال السيد عبد الحسين شرف الدين: (كان القرآن مجموعاً أيام النبي ﷺ على ما هو عليه الآن من الترتيب والتنسيق في آياته وسوره وكلماته وحروفه بلا زيادة ولا نقصان). (٣٢)

وقال السيد الخوئي في كتابه (البيان في تفسير القرآن) مستدلاً على جمع القرآن بروايات الثقلين: (إن أخبار الثقلين المتضارفة تدلنا على أن القرآن كان مجموعاً على عهد رسول الله ﷺ) (٣٣)، وقال في موضع آخر: (وقد أطلق لفظ الكتاب على القرآن في كثير من آياته الكريمة، وفي قول النبي ﷺ: (إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي)، وفي هذا دلالة على أنه كان مكتوباً مجموعاً؛ لأنه لا يصح إطلاق الكتاب عليه وهو في الصدور، بل ولا على ما كتب في اللحاف والعسب والأكتاف، فإن لفظ الكتاب ظاهر فيما كان له وجود واحد جمعي، ولا يطلق على المكتوب إذا كان مجزءاً غير مجتمع، فضلاً عما إذا لم يكتب، وكان محفوظاً في الصدور) (٣٤)، وقال أيضاً: (إن المتصفح لأحوال الصحابة وأحوال النبي ﷺ يحصل له علم اليقين بأن القرآن كان مجموعاً على عهد رسول الله ﷺ، وأن عدد الجامعين له لا يستهان به) (٣٥)، وقال السيد محمد باقر الحكيم في كتابه علوم القرآن: (وهذه العناصر الخمسة - أهمية القرآن الكريم، والخطر في تعرضه للتحرير بدون التدوين، وإدراك النبي ﷺ لهذا الخطر، ووجود إمكانات

التدوين، وحرص النبي ﷺ على القرآن والإخلاص له - هي التي تكون اليقين بأن القرآن الكريم قد تم جمعه وتدوينه في زمن الرسول ﷺ؛ لأن أهمية القرآن الذاتية مع وجود الخطر عليه والشعور بهذا الخطر، وتتوفر أدوات التدوين والكتابة، ثم الإخلاص للقرآن، حين تجتمع لا يبقى مجال للشك بتدوين القرآن في عهد رسول الله ﷺ وكتابته في زمانه).^(٣٦)

ويقول أبو محمد الحاقاني في كتابه مع الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب: (من البعيد جداً أن يمضي رسول الله من هذه الدنيا ثم لا يأمر بجمع ما نزل عليه من سور وآيات ي يريد أن يتحدى بها الكافرين عامَّةً، ويريد أن يجعلها نبراساً لأمته، ومرجعاً لمن أراد أن يرجع لأصول الدين وفروعه، وقوله ﷺ: (إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله و...) يدل على أن كتاب الله كان مجموعاً ومهيئاً للرجوع له، وهذا قول عمر في ذلك الحين: (يكفينا كتاب الله، ما فرط الله فيه من شيء)، فإن هذه قرائن صحيحة تدل على أنه كان مجموعاً وجاهزاً للرجوع والاستفادة منه في المهمات والأزمات. وإذا ثبت أنه جمع فليس هناك جامع له إلا علي بن أبي طالب؛ لأنه هو الشخص الوحيد من كتاب الوحي الذي كان طوع أمر الرسول وحاضرأً عنده في سفره وحضره، وهو الذي لازمه ملازمة الظل من أول بعثته، أي من أول نزول الوحي إلى ساعة وفاته).^(٣٧)

أقول: طريق الجمع بين الأخبار والأقوال التي تتفق على أن الإمام علي بن أبي طالب ﷺ هو أول من جمع القرآن - على الرغم من اختلافها في التوقيت - هو أنه من المحتمل أن الإمام علي ﷺ قد جمع القرآن مرتين، الأولى كانت في عهد الرسول ﷺ، حيث إنه كتبه بإملاء من الرسول ﷺ، وجمعه في مصحف واحد

كتص قرآنی، من دون شرح و تفسیر للمواضع المبهمة من الآيات، ومن دون بيان أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والمطلق والمقييد والمجمل والمبين والخاص والعام، أما الجمع الثاني فقد كان جمعاً تفسيرياً إضافةً إلى النص القرآنی، فقد كان على هامشه الكثير من تفسير المجمل وتبیین المعضل، وشرح أسباب النزول، وبيان المحکم والمتشابه والناسخ والمنسوخ، والأفراد والجماعات التي نزلت فيهم الآيات، وجميع ما يحتاج إليه الناس.

ويؤيد ذلك جملة من النصوص - إضافةً لما تقدم - منها ما أورده الكليني في الكافي في رواية عن الإمام الصادق ع علیه السلام حيث قال: (إذا قام القائم ع علیه السلام فرأى كتاب الله عز وجل على حده، وأخرج المصحف الذي كتبه علي ع علیه السلام وقال: أخرجه علي ع علیه السلام إلى الناس حين فرغ منه وكتبه، فقال لهم: هذا كتاب الله عز وجل كما أنزله الله علی محمد ﷺ، وقد جمعته بين اللوحين، فقالوا: هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن، لا حاجة لنا فيه، فقال: أما والله ما ترونـه بعد يومكم هذا) (٣٨)، فيظهر من هذه الرواية بأن المصحف الذي أخرجه علي ع علیه السلام إلى الناس هو غير المصحف الذي عندهم، أي أن هناك مصحفاً آخر، وأيضاً ما ذكره ابن شهر آشوب في مناقبه، حيث قال: (وفي أخبار أهل البيت ع علیه السلام: أنه ع علیه السلام آلا على نفسه أن لا يضع رداءه على عاتقه إلا للصلوة حتى يؤلف القرآن ويجمعه، فانقطع عنهم مدةً إلى أن جمعه، ثم خرج إليهم به في إزار يحمله وهم مجتمعون في المسجد، فأنكروا مصيره بعد انقطاع الألبة. فقالوا: لأمر ما جاء أبو الحسن، فلما توسطهم وضع الكتاب بينهم، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: (أني مختلفٌ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي). وهذا الكتاب وأنا العترة. فقام إلیه الثاني وقال

له: إن يكن عندك قرآن فعندها مثله، فلا حاجة لنا فيكما، فحمل عليه الكتاب وعاد به بعد أن ألمهم الحجة).

وفي خبر طويل عن الإمام الصادق عليه: أنه حمله وولى راجعاً نحو حجرته وهو يقول: ﴿فَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْتَرَوْهُ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾^(٣٩). وخلاصة القول إن الإمام علي بن أبي طالب عليه هو أول من جمع القرآن الكريم، سواء كان ذلك في حياة الرسول صلوات الله عليه أم بعد مماته، والإمام علي عليه هو من ينتسب المسلمين الشيعة له، فقد قال الشهريستاني في الملل والنحل: (الشيعة هم الذين شاعروا عليناً وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصاية)^(٤٠)، وأخرج ابن عدي عن ابن عباس أنه قال: (لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّيَّةِ﴾ قال النبي صلوات الله عليه لعلي : هم أنت وشيعتك).^(٤١)

أول من أشار بضرورة اجتماع المسلمين على القراءة المتواترة:

ذكرنا فيما سبق بأن حذيفة بن اليمان هو من جاء بفكرة توحيد المصاحف في عهد عثمان بن عفان، حيث إن الخلاف بين المسلمين أخذ مأخذه بسبب الاختلاف في قراءتهم للقرآن الكريم، وهو ما سوغ للبعض أن يكفر البعض الآخر بسبب هذا الاختلاف، فبادر عليه لزع فتيل الفرق بين المسلمين، وطرح فكرة توحيد القراءة على ضوء القراءة المتواترة^(٤٢). وهذا الصحابي الجليل هو حذيفة بن اليمان القطعي العبسي أبو عبد الله حليف بنى عبد الأشهل، الذي توفي بالمدائن في الخامس من صفر سنة ٣٦ بعد بيعة أمير المؤمنين علي عليه بأربعين يوماً، وكانت بيته لخمسة بقين من ذي الحجة سنة ٣٥، (واليمان) نسبة إلى اليمن، وقياس النسبة فيه يمنيٌّ،

ولكنهم قالوا : يماني ، ويمان بحذف ياء النسبة على خلاف القياس ، وكأنهم في يمان جعلوا الألف عوضاً عن ياء النسبة المحذوفة ، وربما قالوا يمني على القياس ، وقد اتفق الكل على أنه يكفي أبا عبد الله ، شهد حذيفة أحداً هو وأبوه حسل أو حسيل بن جابر بن اليمان ، وقتل أباه يومئذ المسلمين خطأً ، يحسبونه العدو ، وحذيفة يصبح بهم فلم يفقهوا قوله حتى قتل ، فلما رأى حذيفة أن أباه قد قتل استغفر للMuslimين فقال : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فزاده عنده خيراً .^(٤٣)

كان له من الأولاد سعد أو سعيد وصفوان^(٤٤). وروى الكشي في ترجمة سلمان الفارسي عن جبرئيل بن أحمد الفارياني البرناني حدثني الحسين بن خرذاذ حدثني ابن فضال عن ثعلبة بن ميمون عن زراره عن أبي جعفر ع عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب ع قال : (ضاقت الأرض بسبعة بهم ترزقون وبهم تنتصرون وبهم تمطرون ، منهم سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذر وعمار وحذيفة رحمة الله عليهم ، وكان علي ع يقول : (وأنا إمامهم ، وهم الذين صلوا على فاطمة ع).

وقال أيضاً في ترجمة عبد الله بن مسعود : سئل الفضل بن شاذان عن ابن مسعود وحذيفة ، فقال : لم يكن حذيفة مثل ابن مسعود ؛ لأن حذيفة كان زكيًا وابن مسعود خلط ووالى القوم ومال معهم وقال بهم . وقال أيضاً : إن من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين ع حذيفة ، وعد معه جماعة^(٤٥) ، وجاء في رجال بحر العلوم : (وجلالة حذيفة وشجاعته وعلمه ونجدته وتمسكه بأمير المؤمنين ع ظاهرة بينة وهو من كبار الصحابة)^(٤٦) ، وقال السيد الخوئي في معجم رجال الحديث : (إن جلاله حذيفة وولاه لأمير المؤمنين ع واضحة مشهورة)^(٤٧).

وقال المسعودي في مروج الذهب : (واستشهاده في هذا اليوم صفوان وسعد ابنا حذيفة بن اليمان، وقد كان حذيفة علياً بالكوفة في سنة ست وثلاثين، فبلغه قتل عثمان وبيعة الناس لعلي عليه السلام فقال: أخرجوني وادعوا الصلاة جامعة، فوضع على المنبر حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وعلى آلـهـ ثم قال: أيها الناس إن الناس قد بايعوا عليـ بنـ أبيـ طـالـبـ فـعـلـيـكـمـ بـتـقـوـيـ اللـهـ وـاـنـصـرـواـ عـلـيـاـ وـآـزـرـوـهـ، فـوـالـلـهـ إـنـهـ لـعـلـيـ الـحـقـ آـخـرـاـ وـأـوـلـاـ، وـإـنـهـ لـخـيرـ مـنـ مـضـىـ بـعـدـ نـبـيـكـمـ وـمـنـ بـقـيـ إـلـىـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ، ثـمـ أـطـبـقـ يـمـيـنـهـ عـلـيـ يـسـارـهـ، ثـمـ قـالـ: اللـهـمـ اـشـهـدـ أـنـيـ قـدـ بـاـيـعـتـ عـلـيـاـ، وـقـالـ: الـحـمـدـ لـلـهـ الـذـيـ أـبـقـانـيـ إـلـىـ هـذـاـ يـوـمـ، وـقـالـ لـابـنـيهـ صـفـوانـ وـسـعـدـ: اـحـمـلـنـيـ وـكـوـنـاـ مـعـهـ، فـسـتـكـونـ لـهـ حـرـوبـ كـثـيرـةـ يـهـلـكـ فـيـهـاـ خـلـقـ مـنـ النـاسـ فـاجـتـهـدـاـ أـنـ تـسـتـشـهـدـاـ مـعـهـ، فـإـنـهـ وـالـلـهـ عـلـىـ الـحـقـ وـمـنـ خـالـفـهـ عـلـىـ الـبـاطـلـ، وـمـاتـ بـعـدـ هـذـاـ بـسـبـعـةـ أـيـامـ وـقـيلـ: بـأـرـبـعـينـ يـوـمـاـ). (٤٨)

وجاء في شرح نهج البلاغة: (قال حذيفة بن اليمان لو قسمت فضيلة علي عليه السلام بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم لوسعتهم) (٤٩). وقال أيضاً: (روى قيس بن الربيع عن أبي هارون العبدى، عن ربيعة بن مالك السعدي، قال: أتيت حذيفة بن اليمان فقلت: يا أبا عبد الله، إن الناس يتحدثون عن علي بن أبي طالب ومناقبه، فيقول لهم أهل البصرة: إنكم لتفرطون في تقيير هذا الرجل، فهل أنت محدثي بحديث عنه أذكره للناس؟ فقال يا ربيعة، وما الذي تسألني عن علي؟ وما الذي أحدهلك عنه؟ والذي نفس حذيفة بيده لو وضع جميع أعمال أمة محمد عليه السلام في كفة الميزان منذ بعث الله تعالى محمداً إلى يوم الناس هذا، ووضع عمل واحد من أعمال علي في الكفة الأخرى لرجح على أعمالهم كلها، فقال ربيعة: هذا المدح الذي لا يقام له ولا يقعد ولا يحمل، إني لأظنه إسرافاً يا أبا عبد الله! فقال

حذيفة: يا لـكع، وكيف لا يحمل؟! وأين كان المسلمين يوم الخندق؟ وقد عبر إليهم عمرو وأصحابه فملأوكهم الهلع والجزع، ودعا إلى المبارزة فأحجموا عنه حتى بـرـز إلـيـه عـلـيـ فـقـتـلـه! والـذـي نـفـس حـذـيفـة بـيـدـه لـعـمـلـه ذـلـك الـيـوـم أـعـظـم أـجـراً مـن أـعـمـالـ

أـمـة مـحـمـدـ ﷺ إـلـى هـذـا الـيـوـم وـإـلـى أـن تـقـوم الـقـيـامـةـ). (٥٠)

فتـلـخـصـ مـا ذـكـرـ أـنـ وـلـاءـهـ وـتـشـيـعـهـ لـأـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ عـلـيـهـ وـرـجـوعـهـ إـلـيـهـ ظـاهـرـ،ـ وـهـوـ مـنـ الـأـرـكـانـ الـأـرـبـعـةـ،ـ وـمـنـ جـمـلـةـ الـذـينـ صـلـوـاـ عـلـىـ فـاطـمـةـ الـزـهـرـاءـ عـلـيـهـاـ.

أول من أملى القرآن الكريم:

حينما أراد عثمان بن عفان تنفيذ فكرة توحيد المصاحف التي اقترحها حذيفة ابن اليمان، ندب نفرًا يخصونه، وهم أربعة: زيد بن ثابت، وسعید بن العاص، وعبدالله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحارث.^(٥١) وكان هؤلاء الأربعة هم النواة الأولية التي انعقدت بهم لجنة توحيد المصاحف، وقد كانت تعوزهم الكفاءة، فلذا اضطروا للاستعانة بآخرين، وكان أبرز من استعانا به هو أبي بن كعب^(٥٢)، فأصبح رئيساً لهذه اللجنة، وقد جمعوا القرآن من مصحفه، فكان هو يملي عليهم ويكتب الآخرون.^(٥٣) قال السيد بحر العلوم في الفوائد الرجالية: (أبي بن كعب: أبو المنذر، سيد القراء، وكاتب الوحي عقيبي بدري، فقيه قار، أول من كتب للنبي ﷺ من الأنصار، وهو من فضلاء الصحابة ومن أعيانهم. وروى الجمهور عن النبي ﷺ: أنه قال: (أقرؤكم أبي). وكفى دليلاً على فضله وجلالته قوله ﷺ: إن الله أمرني أن أقرأ عليك)، وقوله ﷺ: (ليهنتك العلم أبا المنذر). مات في زمن عمر، فقال عمر يوم مات: (مات اليوم سيد المسلمين)، ذكره أبو الحسين في (الإيضاح) عند ذكر الدرجات، فيمن له درجة العلم بالكتاب وذكره العلامة، وابن داود في القسم الأول

من كتابيهما، وهو من الاثني عشر الذين أنكروا على أبي بكر تقدمه وجلوسه في مجلس رسول الله ﷺ، قال له: (يا أبا بكر، لا تجحد حقاً جعله الله لغيرك، ولا تكون أول من عصى رسول الله ﷺ في وصييه وصفيه، وأول من صدف عن أمره، اردد الحق إلى أهله وسلم، ولا تتماد في غيك فتندم، وبادر بالأمانة يخف وزرك، ولا تخصص بهذا الأمر الذي لم يجعله الله لك نفسك فتلقي وبال عملك، فعن قليل تفارق ما أنت فيه، وتصير إلى ربك، فيسألوك عما جنيت، وما ربك بظلم للعبيد).

وفي مناقب ابن شهر آشوب: (أنه لما قال له النبي ﷺ: إن الله أمرني أن أقرأ عليك، قال أبي: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، وقد ذُكرت هناك؟ قال: نعم، باسمك ونسبك، فأرعد أبي، فالترمذ رسول الله ﷺ حتى سكن). وقال: (قل بفضل الله وبرحمته، بذلك فليفرحوا، هو خيرٌ مما يجمعون).^(٤) وقال كاشف الغطاء: (وكان (رحمه الله تعالى) من المخلصين الموالين لأهل البيت ع).^(٥) وجاء في معجم رجال الحديث: (قال الشيخ: أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، من أصحاب رسول الله ﷺ، يكنى أبا المنذر، شهد العقبة مع السبعين، وكان يكتب الوحي، أخي رسول الله ﷺ بينه وبين سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، شهد بدرًا والعقبة الثانية، وبايع رسول الله ﷺ. وذكره البرقي وقال: (عربي مدني من بني الخزرج). وعده في آخر رجاله من الاثني عشر الذين أنكروا على أبي بكر. وذكره - كذلك - الصدوق في الخصال في أبواب الاثني عشر.^(٦) وروى الشيخ الكليني عن الإمام الصادق ع أنه قال: (أما نحن فنقرأ على قراءة أبي).^(٧)



أول من نقط القرآن نقط إعراب:

أبو الأسود الدؤلي هو أول من نقط القرآن نقط إعراب، وذلك بأن توضع نقاط على الحروف تميز حركة إعرابها، كما هو شأن حركات الإعراب في الوقت الحاضر.^(٥٨) وأورد ابن حجر في الإصابة: (قال أبو علي القالي: حدثنا أبو إسحاق الزجاج، حدثنا أبو العباس المبرد قال: أول من وضع العربية ونقط المصحف أبو الأسود، وقد سئل أبو الأسود عمن نهج له الطريق، فقال: تلقيته من علي بن أبي طالب عليه السلام).^(٥٩) وبعضهم ادعى أن أول من نقط القرآن هو يحيى بن يعمر الآتي ذكره، لعدم تفريقه بين نقط الإعراب ونقط الإعجام.

وأبو الأسود الدؤلي، اسمه ظالم بن عمرو، أو ظالم بن ظالم، أو عمرو بن ظالم، هو قاضي البصرة ثقة ابتكر النحو، واستظهر بعض مدحه في الأخبار بحيث يمكن عد حديه حسناً، وعن يحيى بن البطريقي أنه من الطبقة الأولى من شعراء الإسلام، ومن شيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام.^(٦٠) وقال السيد الخوئي: (عده الشيخ (تارةً) من أصحاب علي عليه السلام، قائلاً: ظالم بن ظالم، وقيل ظالم بن عمرو، يكنى أبا الأسود الدؤلي). و(أخرى) من أصحاب الحسن عليه السلام، قائلاً: (ظالم بن عمرو ويقال: ظالم بن ظالم، يكنى أبا الأسود الدؤلي). (ثالثةً) من أصحاب الحسين عليه السلام، قائلاً: (ظالم بن عمرو، ويكنى أبا الأسود الدؤلي). و(رابعةً) في أصحاب السجاد عليه السلام، وقال مثل ما قال أخيراً.^(٦١) ورد أبو الأسود الدؤلي على من لامه لحب أهل البيت عليهم السلام قائلاً:

أمendi في حب آل محمد حجر بفيك فدع ملامك أو زد

من لم يكن بحالهم متمسكاً فليعترف بولاء من لا يرشد

وقال أبو الأسود - يرد علىبني قشير الذين عابوا عليه ولاءه للإمام أمير

المؤمنين عليهم السلام وأهل بيته - :

أحب محمدًا حبًا شديداً وعباساً وحمزة والوصايا
و掬راً إن جعفراً خير شهيد في الجنان مهاجرياً
هو أعطيته منذ استدارت رحى الإسلام لم يعدل سوياً
يقول الأرذلون بنو قشير طوال الدهر لا تنسى علياً
فقلت لهم: وكيف يكون تركي من الأعمال ما يقضي علياً
بنو عم النبي وأقربوه أحب الناس كلهم إلياً^(٦٢)

وقال ابن سعد: (أبو الأسود الدؤلي، واسميه ظالم بن عمرو بن سفيان... وكان شاعرًا متشيئاً، وكان ثقةً في حديثه).^(٦٣) وقال الواقدي: (أسلم في حياة النبي صلوات الله عليه وسلم).^(٦٤)

وقال غيره: (قاتل أبو الأسود يوم الجمل مع علي بن أبي طالب، وكان من وجوه الشيعة، ومن أكملهم عقلاً ورأياً. وقد أمره علي صلوات الله عليه وسلم بوضع شيء في النحو لما سمع اللحن. قال: فأراه أبو الأسود ما وضع، فقال علي: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت، فمن ثم سمي النحو نحواً).^(٦٥)

أول من نقط القرآن نقط إعجام:

يعيى بن يعمر - تلميذ أبي الأسود الدؤلي - هو أول من نقط القرآن نقط إعجام^(٦٦)، وهو وضع النقط المعروفة على الحروف، وذلك للتمييز بين الحروف المتشابهة بالشكل كالباء والتاء والثاء، وهو يعيى بن يعمر العدواني الوشقي

المضري البصري التابعي، توفي قبل المائة وقيل بعدها سنة ١٢٠، ويقول في معجم الأدباء إن وفاته سنة ١٢٩، ويقول إنه لقي عبد الله بن العباس وعبد الله بن عمر وروى عنه قتادة السدوسي وجماعة، ولد بالبصرة ومنشأه خراسان، والعدواني نسبة إلى عدوان قيس بن غيلان بن مصر، وكان عداده فيبني ليث بن كنانة أحد قراء البصرة، وعنده أخذ عبد الله بن إسحاق القراءة، كان إمام القراء بالبصرة، عالماً بالقرآن فقيهاً نحوياً لغوياً^(٦٦).

وله مناظرة لطيفة في الحسنين عليهما السلام مع الحجاج ابن يوسف أمير الكوفة، أوردها الكراجكي في كتابه كنز الفرائد، خبر يحيى بن يعمر مع الحجاج بوجه مبسوط فقال: (قال الشعبي كنت بواسط و كان يوم أضحى فحضرت صلاة العيد مع الحجاج فخطب خطبةً بليةً فلما انصرفت جاءني رسوله فأتيته فوجده جالساً مستوفراً قال: يا شعبي هذا يوم أضحى وقد أردت أن أضحي فيه برجل من أهل العراق، وأحببت أن تسمع قوله فتعلم أني قد أصبت الرأي فيما أفعل به، فقلت: أيها الأمير، أوَ ترَى أن تستن بسنة رسول الله ﷺ وتضحي بما أمر أن يُضحي به وتفعل مثل فعله وتدع ما أردت أن تفعله في هذا اليوم العظيم إلى غيره، فقال: يا شعبي إنك إذا سمعت ما يقول صوبت رأيي فيه لكتبه على الله وعلى رسوله وإدخال الشبهة في الإسلام، قلت: أفيرى الأمير أن يعفيوني من ذلك؟ قال: لا بد منه. ثم أمر بقطع فبسط، وبالسياف فأحضر، وقال: أحضروا الشيخ فأتوا به، فإذا هو يحيى بن يعمر، فاغتممت غماً شديداً وقلت في نفسي وأي شيء يقوله يحيى مما يوجب قتيله؟ فقال له الحجاج: أنت تزعم أنك زعيم العراق؟ قال يحيى: أنا فقيه من فقهاء العراق. قال فمن أى فقهك زعمت أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله؟ قال ما أنا زاعم

ذلك بل قائله بحق. قال: وبأي حق قلته؟ قال: بكتاب الله عز وجل.

فنظر إلى الحجاج وقال: اسمع ما يقول، فإن هذا مما لم أكن سمعته عنه، أتعرف أنت في كتاب الله عز وجل أن الحسن والحسين من ذرية محمد رسول الله ﷺ؟ فجعلت أفكرا في ذلك فلم أجده في القرآن شيئاً يدل على ذلك. وفكرا الحجاج ملياً ثم قال ليحيى: لعلك تريدين قول الله عز وجل: ﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنَسَاءَنَا وَنَسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَادِيْنَ﴾، وأن رسول الله ﷺ خرج للombaلة ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين؟ قال الشعبي: فكأنما أهدى إلى قلبي سروراً. وقلت في نفسي قد خلص يحيى، وكان الحجاج حافظاً للقرآن، فقال له يحيى: والله إنها لحجّة من ذلك بلاغة، ولكن ليس منها احتج لما قلت، فاصفر وجهه الحجاج وأطرق ملياً ثم رفع رأسه إلى يحيى وقال له: إن أنت جئت من كتاب الله عز وجل بغيرها في ذلك فلك عشرة آلاف درهم، وإن لم تأت بها فأنا في حل من دمك، قال نعم.

قال الشعبي فغمي قوله وقلت: أما كان في الذي نزع به الحجاج ما يحتاج به يحيى ويرضيه بأنه قد عرفه وسبقه إليه ويخلص منه حتى رد عليه وأفحمه، فإن جاءه بعد هذا بشيء لم آمن أن يدخل عليه فيه من القول ما يبطل به حجته، لثلا يقال إنه قد علم ما قد جهل هو. فقال يحيى للحجاج: قول الله عز وجل ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاؤُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ من عنى بذلك؟ قال الحجاج: إبراهيم ﷺ. قال: فداود وسليمان من ذريته؟ قال: نعم. قال يحيى: ومن نص الله عليه بعد هذا أنه من ذريته؟ فقرأ الحجاج: ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذِّلَكَ نَجْرِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَا

وَيَحْيَى وَعِيسَى ﷺ. قال يحيى: ومن أين كان عيسى من ذرية إبراهيم ولا أب له؟ قال: من قبل أمه مرريم. قال يحيى: فمن أقرب، مرريم من إبراهيم أم فاطمة من محمد ﷺ؟ وعيسى من إبراهيم أم الحسن والحسين من رسول الله ﷺ؟ قال الشعبي: فكأنما ألقمه حجراً. فقال: أطلقوه قبّه الله وادفعوا إليه عشرة آلاف درهم، لا بارك الله له فيها، ثم أقبل علي فقال: قد كان رأيك صواباً ولكن أبينا، ودعا بجزور، فنحره وقام فدعا بالطعام فأكل وأكلنا معه، وما تكلم بكلمة حتى انصرفنا ولم ينزل مما احتاج به يحيى بن يعمر واجماً.^(٦٧)

وقال ابن خلkan: (كان تابعياً عالماً بالقرآن والنجوم وكان شيئاً من الشيعة الأول، يتبع شيعاً حسناً، يقول بتفضيل أهل البيت من غير تنفيص لأحد من الصحابة (رضي الله تعالى عنهم)).^(٦٨) وجاء في شذرات الذهب: (وكان يفضل أهل البيت من غير تنفيص لغيرهم).^(٦٩)

أول من نوq التشكيل والحركات الإعرابية:

الخليل بن أحمد الفراهيدي هو أول من وضع التشديد والهمز والإشمام والروم، وهو أول من ضبط الحركات الإعرابية على الشكل الحاضر^(٧٠) - علمًا بأن أول من تنوّق في كتابة المصحف وتجويد خطه هو خالد بن أبي الهايج صاحب أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام^(٧١)، والفراهيدي هو الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم أبو عبد الرحمن، وقيل أبو الصفا الفراهيدي ويقال الفرهودي اليحمدي العتكي الأزدي، ويقال الباهلي البصري النحوي العروضي. ولد بالبصرة سنة ١٠٠، قاله ابن خلkan، وقال أيضًا: وقيل إنه عاش ٧٤ سنة.^(٧٢) والفراهيدي بالدال المهملة في كل ما عثرنا عليه وشد صاحب لب اللباب فيما حكى عنه في

هامش اللباب نسبةً إلى فراهيد بطن من الأزد. وفي معجم الأدباء هو فراهيد بن مالك بن فهم بن عبد الله بن مالك بن مصر الأزدي. وعن الأصمعي سألت الخليل بن أحمد ممن هو فقال: من أزد عمان من فراهيد. قلت: وما فراهيد؟ قال: جرو الأسد بلغة عمان.^(٧٣)

وأورد السيد محسن الأمين في أعيانه: في الخلاصة الخليل بن أحمد أفضل الناس في الأدب وقوله حجة فيه، واخترع علم العروض، وفضله أشهر من أن يُذكر، وكان إمامي المذهب، وعن ابن إدريس في مستطرفات السرائر أنه عده من كبراء أصحابنا إلا أنه سماه الخليل بن إبراهيم بن أحمد العروضي. وفي رياض العلماء: كان الخليل على ما قاله الأصحاب من أصحاب الصادق ويروي عنه، والخليل جليل القدر عظيم الشأن أفضل الناس في علم الأدب، وكان إمامي المذهب، وكان في عصر مولانا الصادق عليه السلام، بل الباقي عليه السلام، وكان إماماً في علم النحو واللغة.^(٧٤)

وقال ابن داود الحلبي: الخليل بن أحمد شيخ الناس في علوم الأدب فضلاته وزهده أشهر من أن يخفى، كان إمامي المذهب.^(٧٥) وأورد السيد الصدر في تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: وللخليل كتاب في الإمامة أورده بتمامه محمد ابن جعفر المراغي في كتابه، واستدرك ما أغفله الخليل من الأدلة، وسماه كتاب الخليلي في الإمامة، وذكره أبو العباس النجاشي في ترجمة محمد بن جعفر المراغي الهمданاني في فهرس أسماء مصنفي الشيعة.^(٧٦)

وعن الصدوق عن أبي زيد النحوي الأنباري، قال: سألت الخليل بن أحمد العروضي، فقلت: لم هجر الناس علياً عليه السلام، وقربه من رسول الله عليه السلام قربه، وموضعه

من المسلمين موضعه، وغناوه في الإسلام غناوه؟ فقال: بهر والله نوره أنوارهم، وغلبهم على صفو كل منهل، والناس إلى أشكالهم أميل، أما سمعت الأول حيث يقول:

وكل شكل لشكله ألف أما ترى الفيل يألف الفيلا؟^(٧٧)

وهو الذي قال في حق أمير المؤمنين عَلِيُّهُ الْأَكْرَمُ حين سُئِلَ عنه: ما أقول في حق امرئ كتمت مناقبه أولياؤه خوفاً، وأعداؤه حسداً، ثم ظهر من بين الكتمين ما ملأ الخافقين. وقيل له أيضاً: ما الدليل على أن علياً إمام الكل في الكل؟ قال: احتياج الكل إليه واستغناوه عن الكل.^(٧٨).

قراءات القرآن:

لقد كان الشيعة من أصحاب الأئمة سباقين في دراسة أصول القراءات وإحكام قواعدها والإبداع في فنونها، فقد كان أربعة من القراء السبعة هم من شيعة آل البيت عَلِيُّهُ الْأَكْرَمُ، وهم عاصم بن أبي النجود الأسدية الكوفي - قارئ الكوفة -، وأبو عمر زبان بن علاء المازني - قارئ البصرة -، وحمزة بن حبيب الزيارات - قارئ الكوفة -، وعلي بن حمزة الكسائي - قارئ الكوفة -. أما البقية فاثنان منهم كانوا مستورين الحال، وهما عبد الله بن كثير الداري - قارئ مكة -، ونافع بن عبد الرحمن الليثي - قارئ المدينة -. بينما الثالث وهو عبد الله بن عامر اليحصبي - قارئ الشام -، فهو من أشياع معاوية، وكان لا يتورع عن الكذب والفسوق.^(٧٩)

وأما أصح القراءات سندًا فهي قراءة عاصم بن أبي النجود الأسدية الكوفي، قال أبو محمد مكي بن أبي طالب: وأصح القراءات سندًا نافع وعاصم.^(٨٠) وقال ابن

خلكان في وفيات الأعيان: كان عاصم المشار إليه في القراءات.^(٨٢) وقال أحمد بن حنبل: كان أهل الكوفة يختارون قراءة عاصم، وأنا اختارها.^(٨٣)

والرواية الصحيحة التي رويت من قراءة عاصم هي رواية حفص.^(٨٤) قال السيد الخوئي في معجم رجال الحديث في معرض حديثه عن عاصم: أحد القراء السبعة، وقراءته عن طريق حفص معروفة مشهورة، وكل ما رأينا من المصاحف القديمة والحديثة، رسم خطه على طبق قراءته. قال حفص: قال لي عاصم: ما كان من القراءة التي أفرأتك بها فهي القراءة التي قرأت بها على أبي عبد الله السلمي عن علي عليه السلام.^(٨٥)

والقراءة الحاضرة - قراءة حفص - هي قراءة شيعية خالصة، رواها حفص ابن سليمان أبو عمرو الأṣدī الغاضري، المقرئ الباز الكوفي - ربيب عاصم بن أبي النجود وابن زوجته - ، وهو من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام^(٨٦)، عن شيخه عاصم ابن أبي النجود، وهو من أعيان شيعة الكوفة الأعلام، - نص على تشييعه الشيخ الجليل عبد الجليل الرازى المتوفى سنة ٥٥٦ هـ - ست وخمسين وخمسمائة - في كتابه نقض الفضائح وأنه كان مقتدى الشيعة، مات عاصم سنة ثمان وعشرين بعد المائة بالكوفة، وقيل بالسماوة وهو يريد الشام ودفن بها، وكان لا يبصر كالأعمش ونص على تشييعه القاضي نور الله المرعushi في كتابه (مجالس المؤمنين) وهو في طبقات الشيعة وبعد هؤلاء أتباع التابعين^(٨٧) - ، عن شيخه أبي عبد الرحمن السلمي، وهو من خواص أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، شيخ قراءة عاصم، قال ابن قتيبة: كان من أصحاب علي عليه السلام وكان مقرأً، ويحمل عنه الفقه، قلت: وقرأ أبو عبد الرحمن على أمير المؤمنين عليه السلام، كما في مجمع البيان للطبرسي وعده

البرقي في كتاب الرجال في خواص علي من مصر، مات بعد السبعين^(٨٨)، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، عن رسول الله عليه السلام، عن جبرائيل عليه السلام، عن الله عز وجل. إذن إسناد حفص عن شيخه، إسناد ذهبي عال لا نظير له في القراءات.^(٨٩)

هذه هي الشيعة، وهذه بضماتها في الثقل الأكبر - القرآن الكريم - نور ظاهر^{*}

﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(٩٠)، فمهما أراد الحاقدون **﴿أَنْ يُطْفُؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾** فإن الله سبحانه وتعالى يأبى **﴿إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾**.^(٩١)

المواهش:

- (١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج ٢ ص ٩٥.
- (٢) الحجر، الآية ٩.
- (٣) صحيح البخاري، ٩٨/٦، كتاب تفسير القرآن، حديث ٤٣١١.
- (٤) منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد: ٤٣/٢.
- (٥) كنز العمال: ٣٦١/٢.
- (٦) صحيح البخاري: ٩٩/٦، كتاب الجهاد والسير، حديث ٢٥٩٦.
- (٧) البيان في تفسير القرآن، الخوئي، ص ٢٤٥.
- (٨) صحيح البخاري: ٢٠٢/٦، كتاب المناقب، باب القراء من أصحاب النبي، حديث ٣٥٢٦.
- (٩) البيان في تفسير القرآن، الخوئي، ص ٢٥٢.
- (١٠) الإتقان: ١٠٣/١، النوع ١٨.
- (١١) صحيح البخاري: ٩٩/٦، كتاب الجهاد واليسير، الحديث ٢٥٩٦.
- (١٢) خلاصة الأقوال، العلامة الحلي، ص ١٣١.
- (١٣) رجال الطوسي، الشيخ الطوسي، ص ٣٥.
- (١٤) البيان في تفسير القرآن، الخوئي، ص ٢٥٧.
- (١٥) مساحة للحوار، أحمد حسين يعقوب، ص ١٠٩.
- (١٦) مساحة للحوار، أحمد حسين يعقوب، ص ١٠٩.

- (١٧) بحوث في تاريخ القرآن، مير محمد زرندي، ص ١٢٤.
- (١٨) الطبقات الكبرى، ابن سعد ج ٢ ص ٣٣٨.
- (١٩) المناقب ص ٥٦.
- (٢٠) أسد الغابة، ابن الأثير، ج ٣، ص ٢٢٤.
- (٢١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٧.
- (٢٢) التسهيل لعلوم التنزيل، ج ١ ص ٤٧.
- (٢٣) الإنقان، ج ١ ص ٧١.
- (٢٤) السيرة الحلبية ج ٣، ص ٣٦٠.
- (٢٥) مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفي، ص ٢٩٢.
- (٢٦) كتاب الاعتقاد ص ٦٣.
- (٢٧) مجمع البيان، ج ١ ص ١٥.
- (٢٨) التفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج ٦، ص ١.
- (٢٩) نور البراهين، السيد نعمة الله الجزائري، ج ١ ص ٥٢٨.
- (٣٠) تفسير كتز الدقائق، الميرزا محمد المشهدی، ج ١، ص ٥.
- (٣١) تلخيص التمهید، محمد هادی معرفة، ج ١، ص ١٤٨.
- (٣٢) آراء علماء المسلمين، سید مرتضی الرضوی، ص ١٥٠.
- (٣٣) البيان في تفسير القرآن، الخوئي، ص ٢٥٠.
- (٣٤) البيان في تفسير القرآن، الخوئي، ص ٢٥٢.
- (٣٥) المصدر السابق، ص ٢٥١.
- (٣٦) علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم، ص ١٠٤.
- (٣٧) مع الخطوط العريضة لمحب الدين، الخاقاني، ص ٤٦.
- (٣٨) الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٦٣٣.
- (٣٩) مناقب ابن شهرآشوب، ابن شهرآشوب، ج ٢، ص ٤٠.
- (٤٠) الملل والنحل، الشهري، ص ١٠٧.
- (٤١) الدر المنشور، للسيوطى، ج ٦، ص ٢٧٦.
- (٤٢) صحيح البخارى: ٩٩/٦، كتاب الجهاد والسير، حديث ٢٥٩٦.

- (٤٣) الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي، ج ٢ ص ٢٣٥.
- (٤٤) أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين - ج ٤ - ص ٥٩١ - ٥٩٢.
- (٤٥) رجال الكشي: ٧٨/٣٨.
- (٤٦) الفوائد الرجالية، السيد بحر العلوم، ج ٢، ص ١٧٢.
- (٤٧) معجم رجال الحديث، الخوئي، ج ٤، ص ٢٤٦.
- (٤٨) مروج الذهب، المسعودي، ج ٢، ص ٣٨٣.
- (٤٩) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢٨٤.
- (٥٠) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ١٩ - ص ٦٠ - ٦١.
- (٥١) صحيح البخاري، ج ٦، ص ٢٢٦.
- (٥٢) الطبقات، ابن سعد ج ٣، ق ٢، ص ٦٢.
- (٥٣) المصاحف، ص ٣٠.
- (٥٤) الفوائد الرجالية - السيد بحر العلوم - ج ١ - ص ٤٦٥ - ٤٧٠.
- (٥٥) أصل الشيعة، كاشف الغطاء، ص ٣٢٣.
- (٥٦) معجم رجال الحديث - السيد الخوئي - ج ١ - ص ٣٣٣ - ٣٣٤.
- (٥٧) الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٦٣٤.
- (٥٨) الخط العربي الإسلامي، تركي عطية ص ٢٦ - راجع أيضاً الفهرست، ابن النديم ص ٤٦ - تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، السيد حسن الصدر، ص ٥٢.
- (٥٩) الإصابة، ابن حجر، ج ٢، ص ٢٤٢.
- (٦٠) طرائف المقال - السيد علي البروجردي - ج ٢ - ص ٧٣.
- (٦١) معجم رجال الحديث - السيد الخوئي - ج ١٠ - ص ١٨٦ - ١٨٧.
- (٦٢) ديوان أبي الأسود ص ٢٥٣.
- (٦٣) طبقات ابن سعد، ج ٧، ص ٦٩، ت ٢٩٧٩.
- (٦٤) سير أعلام النبلاء - الذهبي - ج ٤ - ص ٨٢.
- (٦٥) البداية والنهاية ج ٩ ص ٧٣ - وراجع مناهل العرفان ج ١، ص ٣٩٩.
- (٦٦) أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين - ج ١٠ - ص ٣٠٤ - ٣٠٥.
- (٦٧) كنز الفوائد، الكراكجي، ص ١٦٧.

- (٦٨) وفيات الأعيان، ابن خلkan، ج٦، ص ١٧٣.
- (٦٩) شدرات الذهب، ج١، ص ١٧٥.
- (٧٠) الإتقان ج٢، ص ١٧١.
- (٧١) تلخيص التمهيد، الشيخ محمد هادي معرفة، ج١، ص ٣٣٣.
- (٧٢) وفيات الأعيان، ابن خلkan، ج٢، ص ٢٤٤.
- (٧٣) أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين - ج٦ - ص ٣٣٧ - ٣٣٨.
- (٧٤) أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين - ج٦ - ص ٣٣٧.
- (٧٥) رجال ابن داود - ابن داود الحلي - ص ٨٩
- (٧٦) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، السيد حسن الصدر، ص ١٤٩.
- (٧٧) الأمالي - الشيخ الصدوق - ص ٣٠٠.
- (٧٨) بغية الوعاة للسيوطى ص ٢٤٣ - تقيح المقال للمامقاني ج١، ص ٤٠٢ تحت رقم ٣٧٦٩.
- (٧٩) تلخيص التمهيد، ج١، ص ٣٢٥.
- (٨٠) معرفة القراء الكبار، ج١، ص ٦٨.
- (٨١) الإتقان، ج١، ص ٢٢٥.
- (٨٢) وفيات الأعيان، ج٣، ص ٩.
- (٨٣) تهذيب التهذيب، ج٥، ص ٣٩.
- (٨٤) النشر في القراءات العشر، ج١، ص ١٥٦.
- (٨٥) معجم رجال الحديث - السيد الخوئي - ج١٠ - ص ١٩٥.
- (٨٦) ذكره الشيخ أبو جعفر الطوسي في أصحاب الإمام الصادق علیه السلام، وقال: أنسن عنه. راجع الرجال، للشيخ الطوسي، ص ١٧٦.
- (٨٧) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، السيد حسن الصدر، ص ٣٧ - ٣٨.
- (٨٨) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، السيد حسن الصدر، ص ٣٧.
- (٨٩) تلخيص التمهيد، ج١، ص ٣٢٩.
- (٩٠) ق، الآية ٣٧.
- (٩١) التوبة، الآية ٣٢.

العالم الرباني

الشيخ ميثم الباراني

(١٢٩٠ هـ - ١٢٩٣ م) (٦٨٩ هـ - ١٢٩٠ م)

(القسم الأول)

فاضل عبد الجليل الزاكى

مقدمة^(١):

لقد كانت البحرين ومنذ عصور ما قبل الإسلام مركزاً حضارياً، وما إن شعّ نور الإسلام على جزيرة العرب حتى سارعت قبائلها من (عبد القيس) وغيرها للدخول في الإسلام طوعاً، وذلك حينما بعثَ الرسول الأعظم ﷺ كتابه إليهم يدعوهم فيه إلى الإسلام.

وكان للعبديين - وهم المنتسبون لقبائل عبد القيس البحرينية - مواقفهم الجريئة في نصرة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَام في معركة الجمل حيث استشهد فيها زعيمُهم المعروف زيد بن صوحان العبدي، وكذا في صفين والنهروان، ومن بعدها كان لهم حضورهم الفاعل مع الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَام في كربلاء.

وفي العصور اللاحقة برزت البحرين كمنارة للعلم، ومركز يشع نوره على البلدان المجاورة، فنشأت فيها المراكز والحووزات العلمية، وبرز من أهلها علماء وأدباء ممن لها كل الحق في أن تفخر بهم وبعلومهم، فقد سطعوا كنجوم في سماء

العلم والثقافة، وأناروا بكتاباتهم ومصنفاتهم الدرجات لمن تأخر عنهم، كل ذلك برغم المحن الكثيرة التي تبعت على هذا البلد الصغير طوال القرون المتالية، حيث كانت البحرين مطمعاً لكل طامع في ثرواتها.

ويعد الشيخ ميسم بن علي بن ميسم البحرياني (القرن السابع الهجري) واحداً من أولئك العلماء الذين تفخر بهم البحرين، بل والحوارات العلمية في مختلف البلدان، فقد ألف العديد من الكتب القيمة، وتخرج على يديه العديد من التلامذة، وكانت له الريادة في جملة من العلوم على ما سيأتي التعرض له لاحقاً، فهو بحق مفجرة للتشيع والإسلام.

ونحن نحاول في الصفحات الآتية أن نسلط الضوء على حياة هذا العالم الجليل وتراثه العلمي، وننقب في الكتب للحصول على ما قد يسهم في رفع الغموض المحيط بأسماء بعض أساتذته وتلامذته ومصنفاته، وغير ذلك كأشعاره والشخصيات التي التقى بها، وسنة ولادته ووفاته، وتأمل في أن نوفق بذلك لرد بعض حقوق هذا العالم الجليل وغيره من علمائنا الأبرار.

اسميه ولقبه:

هو الشيخ ميسم بن علي بن ميسم بن المعلى^(٢) البحرياني. قال الشيخ سليمان الماحوزي: (هو ميسم بفتح الميم والياء المثناة من تحت الساكنة والنائمة المثلثة المفتوحة وباليم آخرأ كما ذكره بعض المحققين في حواشي خلاصة الأقوال في ترجمة أحمد بن الحسن الميسمي ما نصه: هو منسوب إلى ميسم التمار، وميسم بكسر الميم، ولم يأت مفتوحاً إلا اسم ميسم البحرياني من

المتأخرین).^(٣)

ويکنی بآبی الفضل کما صرخ بذلك ابن الفوطي^(٤)، وتعبر عنه الكثير من المصادر بـ(ابن میثم البحاری)، ويلقب بـ(کمال الدین) كما في أغلب المصادر، واشتهر على لسان العلماء بـ(العالم الربانی) أو (الإمام الربانی) حتى لا تکاد ترى اسمه إلا مقرروناً بهذا الوصف.

والبحاری نسبة إلى موطنہ البحرين، وهي نسبة سماعية على خلاف القاعدة القياسية المقتضية لإضافة ياء النسبة، وهذه النسبة السماعية أثبتتها اللغويون والعلماء في معاجمهم ومصنفاتهم^(٥)، واستعملها العرب في محاوراتهم فهي هنا أصح من النسبة القياسية، إذ من المعلوم في قواعد اللغة تقدم السمع على القياس.

أسرته:

ينحدر الشیخ میثم البحاری من أسرة علمائیة، فجده (میثم بن المعلی) كان من العلماء، حيث وصفه بعض علماء البحرين بلفظ (الشیخ)^(٦) والمتعارف إطلاق هذا اللفظ على العلماء، وله قبر معروف يُزار في البحرين على ما سیأتي التعرض له لاحقاً، وكان والده (علي بن میثم بن المعلی) من العلماء أيضاً، فقد وصفه الشیخ علي البلاذی بـ(الشیخ)^(٧)، كما أن هناك في ذیل إحدى النسخ فائدة عن اختام أمیر المؤمنین علیه السلام وفوائد أخرى بخطه وقد كتبها سنة ٦٤٣ هـ^(٨)، وهناك قبر ينسب إليه بجنب قبر والده الشیخ میثم بن المعلی في مقبرة الدونج في المحوز.

وأما ذرية الشیخ میثم البحاری فرغم أننا لا نعرف شيئاً كثيراً عنهم، إلا أنه يمكن أن نستفيد من بعض عبارته أنه كان معقباً، حيث ورد في دیباجة كتابه (النجاة

في القيامة) حين تكلم عن أبي المظفر عبد العزيز بن جعفر النيسابوري وصفه بقوله (فهو للعلماء والد عطوف... حتى أنساني الأهل والبلد، وأصدقني عن المال والولد)^(٩)، وهذه العبارة تدل على وجود أولاد للشيخ ميثم، وإن كنا نجهل عددهم وأسماءهم.

بقي أن نشير إلى أن الشيخ إبراهيم المبارك ذكر بأن الشيخ علي بن ميثم والد الشيخ ميثم هو المدفون في مقبرة الدونج، وقال بأنه هو الذي تذكر أقواله في كتب الفقه^(١٠)، ونحن ورغم بحثنا لم نجد له أي أقوال تذكر في كتب الفقه، نعم تُذكر بعض الأقوال لابنه الشيخ ميثم، وسيأتي التعرض لها لاحقاً، ولعل الشيخ إبراهيم المبارك اطلع على ما لم نطلع عليه.

ولادته:

ذكر الشيخ سليمان الماحوزي في كتاب (الفهرست) بأن الشيخ ميثم ولد سنة ٦٣٦ هـ^(١١) (أي حوالي سنة ١٢٣٩م)، ولم يذكر مصدره في ذلك، كما أنه لم يذكر هذا التاريخ في كتابه المعروف بـ(السلافة البهية)، وقد أخذ هذا التاريخ من أى بعده من غير تدقيق فيه، ويمكن القبول بهذا التاريخ لولا معارضته لجملة من المعلومات التي من ضمنها تلمسه على جملة من الأساتذة، إذ سيأتي التعرض إلى أساتذته ومن روى عنهم وسند ذكر من ضمنهم الشيخ أسعد بن عبد القاهر الأصفهاني والسيد فخار بن معن بن فخار الموسوي والشيخ محمد بن جعفر بن نما الحلي، ولو صحت تلمسه عليهم فلا محيض لنا من تخطئة الشيخ الماحوزي في ما ذكره من تاريخ الولادة، وذلك لأن هؤلاء قد توفوا ما بين سنة ٦٣٠ هـ إلى سنة

٦٤٥ـ على ما سيأتي إن شاء الله، كما أنهم ذكروا أنه كانت له مباحثة مع المحقق الحلي المولود في سنة ٦٠٢ـ وهذا الأمر عادة ما يقتضي تقارب أعمارهما. وعندئذ لابد من القول بأن ولادته متقدمة على سنة ٦٣٦ـ بنحو ٢٥ سنة على الأقل، أي أنها حصلت في حدود سنة ٦١٠ـ (حوالي سنة ١٢١٣م) أو قبل ذلك، فيكون في العشرين من عمره حين تلمسه على هؤلاء الأساطين، ويكون مؤهلاً لأنخذ الإجازة منهم.

موطنه:

لا شك في كون الشيخ ميثم بحرانياً كما هو واضح من وصف المصادر له بـ(البحرياني)، وإنما الكلام في تعين منطقته، فإلى أي مناطق البحرين ينتمي؟ لا شك أن لفظة البحرين في الزمن القديم كانت تطلق ويراد منها ما يشمل المناطق الثلاث أي الإحساء، والقطيف، وجزيرة أولى بل يراد منها عموم الساحل الغربي للخليج على ما ذكر الرحالة والمؤرخون^(١٢)، وعليه فلفظة (البحرياني) في تلك الأعصار ليست نسبةً مختصة بجزيرة أولى التي هي البحرين الحالية، بل هي نسبة إلى عموم الإقليم، والظاهر أن اختصاص جزيرة أولى باسم البحرين إنما حصل تدريجاً في القرون اللاحقة، وقد برزت هذه النسبة مع بداية الاحتلال البرتغالي للبحرين سنة ٩٢٧ـ (سنة ١٥٢١م)، إذ يظهر من المصادر أن اسم البحرين كان يطلق حينها على جزيرة أولى تحديداً دون بقية المناطق. ورغم عموم التسمية في ذلك الوقت إلا أن موطن الشيخ ميثم هو جزيرة أولى دون غيرها، وقد وصفه أحد تلامذته بـ(البحرياني الأولي)^(١٣).

ولا نعرف على وجه الدقة مكان ولادته وسكناه بجزيرة أوا، إلا أن المرجح بحسب الظاهر أن يكون ذلك في قرية الماحوز التي فيها قبره، فقد صرخ الشيخ علي البلادي بأن الشيخ ميثم منها^(١٤)، ولعل مستنته في ذلك كون الشيخ ميثم مدفون فيها، إذ أن الأغلب هو أن يُدفن الإنسان في منطقته، وإن كان دفنه في غير منطقته ليس بقليل أيضاً، إلا أن وجود قبر أبيه وجده الشيخ ميثم بن المعلى في نفس المنطقة يعزز كونه من أهلها وأنه ولد فيها، وسيأتي منا مزيد كلام حول قرية الماحوز حينما نتكلّم عن مكان قبره.

دراساته العلمية:

يبدو أن دراسته انحصرت في مكаниن:

- ١- البحرين: حيث درس فيها على أستاذة الشيخ علي بن سليمان البحرياني، وربما كانت دراسته في البحرين بجزيرة سترة حيث مقر أستاذة المذكور.
- ٢- العراق: حيث درس فيها بالحلة وبغداد على يد جملة من العلماء على ما سيأتي التعرض له عند ذكر أستاذته.
ولم نطلع على تلمسه على أحد خارج البحرين وال伊拉克 وإن لم يكن ذلك مستبعداً أيضاً إذ لعل عدم اطلاعنا ناتج عن قلة المصادر التي بأيدينا.

أساتذته ومن روى عنهم:

تتلمس الشیخ میثم علی جملة من الأساتذة وأجیز فی الروایة عن بعضهم أيضاً، ورغم قلة المصادر التي تعرضت لأسماء أساتذته إلا أن التنقیب فی بطون الكتب والإجازات أعطانا بعض الضوء فی هذه الجهة، وسنستعرض هنا الأسماء التي تعرّفنا

عليها من بين أئتها ومشايخه في الرواية ونذكر نبذة يسيرة للتعرف
بشخصياتهم؛ لما لهذا التعريف من أثر في التعرف على شخصية التلميذ:

١ - **الشيخ جمال الدين علي بن سليمان بن يحيى بن محمد بن قائد بن صباح الستري البحري**: كان من أعلام القرن السابع الهجري، وهو من جزيرة سترة في البحرين، كان عالماً فقيهاً ذا مشرب فلسي، تلمند على يد الشيخ أحمد بن علي بن سعيد بن سعادة البحري، وله عدة مصنفات في الفلسفة منها: (إشارات الوالصليين)^(١٥) و(مفتاح الخير في شرح رسالة الطير)^(١٦) و(معراج السلامه ومنهاج الكرامة)^(١٧)، وقد تلمند عليه ابنه الشيخ حسين بن علي بن سليمان البحري والشيخ ميثم البحري، قال عنه العلامة الحلي في إجازته لبني زهرة: (كان عالماً بالعلوم العقلية عارفاً بقواعد الحكماء له مصنفات حسنة)^(١٨)، ربما كانت وفاته في حدود سنة ٦٦٠ هـ ودفن في البحرين في منطقة سكانه (سترة) إلى جوار أستاذه الشيخ أحمد بن سعادة، وقبراهما موجودان يزاران إلى الآن.

ولم يقتصر الأمر على تلمند الشيخ ميثم عليه بل له الرواية عنه عن شيخه كمال الدين أحمد بن علي بن سعيد بن سعادة البحري، وقد ذكرت هذه الإجازة في الكثير من المصادر^(١٩).

٢ - **المحقق الخواجة نصیر الدین محمد بن محمد بن الحسن الطوسي**: الشاعر والعالم والفيلسوف المعروف، أصله من قم وقد ولد في ١١ جمادى الأولى سنة ٥٩٧ هـ تلمند وروى عن جماعة من العلماء منهم والده ومنهم برهان الدين محمد بن محمد الحمداني الفزويني ومنهم معين الدين سالم بن بدران المصري وغيرهم، كان عالماً بارعاً سيما في الفلسفة والرياضيات والعلوم العقلية، له مصنفات

كثيرة جداً^(٢٠)، منها: (تجريد الكلام)، و(تحرير المخططي)، و(التذكرة النصيرية)، و(شرح رسالة العلم) وغيرها، وكان سجيننا في قلاع الإسماعيلية إلى أن حرره المغول منها أثناء اجتياحهم لإيران، فاصطحبه هولاكو معه في أسفاره، قام بإنشاء مرصد مرااغة، كما سعى لإنشاء مكتبة ضخمة ضمت مختلف الكتب، توفي في بغداد يوم عيد الغدير سنة ٦٧٢هـ ودفن بالكافميه بجوار الإمامين الكاظمين عليهما السلام.

وقد اشتهر في المصادر بأن الشيخ ميثم تلمذ على الخواجة نصير الدين الطوسي في العلوم العقلية والخواجة تلمذ عليه في الفقه والعلوم النقلية، وقد كتبت قبل بضع سنوات مشككاً في صحة هذه المعلومة خصوصاً ما يتعلق منها بتلمذ نصير الدين الطوسي على الشيخ ميثم في الفقه وكتبت حينها:

(مع أن الحق أن هذا مما لا يمكن القبول به، وذلك لأن المحقق الطوسي ولد سنة ٥٩٧هـ بينما ولد الشيخ ميثم سنة ٦٣٦هـ أي أن الطوسي يكبر الشيخ ميثم بحوالي تسعًا وثلاثين عاماً، كما أن الذي يظهر من حياة نصير الدين الطوسي هو أنه لم يدخل العراق إلا سنة ٦٥٦هـ حيث إنه كان قبل ذلك سجينًا أو شبه سجين في قلاع (آلموت) الإسماعيلية، ثم صار - بعد احتلالها من قبل التتر - ملزماً بمصاحبة هولاكو حتى دخوله بغداد في تلك السنة، وحينها كان الشيخ ميثم في العشرين من عمره، بينما كان الطوسي في التاسعة والخمسين، ومن المستبعد أن يتلمذ الطوسي عليه ويترك شيخ الحلقة من أمثال المحقق الحلي، ووالد العالمة وأضرابهما، على أن الطوسي مع ما عرف عنه من النبوغ المبكر لا نتحمل في حقه أن يكون تلميذاً في ذلك السن، خصوصاً وأن صيته كان قد بلغ الآفاق حتى أن الشيخ علي بن سليمان البحري أرسل إليه كتاب أستاذه ابن سعادة ليشرح له)^(٢١).

هذا ما كتبته آنذاك، ولكن الاستبعاد المذكور قد يلغو في إحدى حالتين:

الحالة الأولى: ما لو صح تشكينا في سنة ولادة الشيخ ميثم البحرياني، إذ أن أهم ما في الاستدلال السابق هو فارق السن بين الخواجة وبين الشيخ ميثم، فإذا صح ما استتتجناه سابقاً من أن الشيخ ميثم ولد في حدود سنة ٦١٠هـ أو قبل ذلك فمن الممكن أن يكون قد التقى بالمحقق الطوسي في بدايات شبابهما وتتلذذ كل منهما على الآخر، وهذا ليس بغريب فإذا صح هذا الاحتمال يرتفع الإشكال عن ما أورده الشيخ يحيى البحرياني^(٢٢) وفخر الدين الطريحي^(٢٣) والشيخ سليمان المحوزي^(٢٤).

الحالة الثانية: أن نقول بأن شيخوخة كل منهما للآخر ليست سوى شيخوخة في الرواية وليس من باب التلذذ، وهذا لا مانع منه حتى لو كانت ولادة الشيخ ميثم البحرياني في سنة ٦٣٦هـ إذ أن الشيخوخة في الرواية قد تحصل حتى مع فارق السن المذكور.

وهذا المعنى الأخير قد وأشارت له بعض المصادر، حيث يظهر منها بأن الإجازة بينهما مدبرجة أي أن كل واحد منها قد أجاز الآخر^(٢٥).

على أن ما أشرنا له سابقاً من قرائن -لو تمت- إنما تصح لاستبعاد تلذذ المحقق الطوسي على الشيخ ميثم، وليس العكس؛ إذ لا استبعاد لتلذذ الشيخ ميثم على الخواجة نصير الدين الطوسي.

٣ - الشيخ أبو السعادات أسعد بن عبد القاهر بن أسد بن محمد بن هبة الله بن حمزة الأصفهاني: الشيخ العالِم الفاضل المحقق، كان من أعلام القرن السابع الهجري، ويظهر من نسبته إلى أصفهان أنه منها، يروي عن الشيخ عماد الدين أبي الفرج علي ابن الإمام قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله الرواundi، وله

عدة مصنفات منها كتاب (رشح الولاء في شرح الدعاء) و(توجيه السؤالات في حل الإشكالات) و(جامع الدلائل ومجمع الفضائل) كان في بغداد في شهر صفر سنة ٦٣٥هـ حيث قرأ عليه السيد ابن طاووس^(٢٦)، وذكرت بعض المصادر أن وفاته كانت في سنة ٦٤٠هـ^(٢٧).

وقد ذكرت عدة مصادر أن الشيخ ميثم تلمذ عليه، ومن المعلوم أن صحة هذه المعلومة تتوقف على ما بيناه في تحقيق سنة ولادة الشيخ ميثم من أنها كانت سنة ٦١٠هـ أو قبل ذلك.

وقد نص مجموعة من العلماء على كون الشيخ أبي السعادات الأصفهاني شيخاً لصاحب الترجمة، فممن نصص على ذلك الشيخ يحيى البحرياني^(٢٨)، والشيخ الطريحي^(٢٩)، والحر العاملي^(٣٠)، وغيرهم^(٣١).

وهذه المصادر مختلفة هنا، فبعضها صريح في حصول التلمذ، وبعضها يتكلم عن الإجازة في الرواية، في حين أن بعض العبائر مهمّة وتحتمل الوجهين، ومن غير المستبعد أن يجتمع الأمران، أي أنه أستاذ وشيخ رواية في نفس الوقت كما هو شائع في مثل هذا المورد.

٤- السيد فخار بن معد بن فخار بن أحمد الموسوي الحائري: كان عالماً فاضلاً أديباً محدثاً، صنف عدة كتب من أهمها (حجّة الذاهب إلى إيمان أبي طالب)^(٣٢)، وقد تلمذ على عدة مشايخ منهم والده السيد معد بن فخار بن أحمد الموسوي، وعربي بن مسافر العبادي، ومحمد بن إدريس الحلبي، وتلّمذ عليه واستجاز منه جمع غفير من الأساطين منهم السيد أحمد والسيد علي ابني موسى بن طاووس والمحقق الحلبي وسديد الدين يوسف والد العلامة ومنهم الشيخ ميثم

البرهاني وغيرهم، توفي سنة ٦٣٠ هـ

وقد نص على شيخوخته له في الرواية المجلسي الأولى عند ذكر طريقه إلى الصحيفة السجادية، فقال: (وعن السيد عميد الدين عن والده السعيد مجد الدين أبي الفوارس، وحاله الشيخ رضي الدين ابن المطهر عن والده الشيخ سعيد الدين يوسف، والشيخ نجم الدين ابن سعيد، والشيخ كمال الدين حماد، والشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد، والشيخ نجم الدين جعفر بن نما، والشيخ العلامة كمال الدين ميشم بن علي البرهاني شارح نهج البلاغة، والشيخ شمس الدين محفوظ بن وشاح، والشيخ شمس الدين محمد بن صالح القسini جميعاً عن السيد فخار وابن نما وغيرهم) ^(٣٣).

٥- الشيخ نجيب الدين محمد بن جعفر بن هبة الله بن نما الحلبي: من علماء الحلة في القرن السابع الهجري، قال عنه المحدث البرهاني: (وكان هذا الشيخ رئيس الطائفة في زمانه محققاً مدققاً) ^(٣٤)، روى عن جملة من العلماء مثل والده الشيخ جعفر بن هبة الله بن نما الحلبي، والشيخ محمد بن إدريس الحلبي، وبرهان الدين محمد بن محمد الحمداني القزويني، وقد تلمذ على يديه واستجاز منه جمع من العلماء مثل المحقق الحلبي، وسعيد الدين يوسف والد العلامة الحلبي، والشيخ ميشم البرهاني، والسيد علي وأحمد أبني موسى بن طاووس، والشيخ نجيب الدين يحيى بن أحمد بن سعيد الحلبي وغيرهم، له ديوان شعر رآه الشيخ محمد السماوي مخطوطاً في إحدى مكتبات بغداد وعليه تقرير بخط العلامة الحلبي، وفي عناوين قصائده فوائد تاريخية جمة ^(٣٥)، وكان معاصرألياقوت الحموي، وكانت بينهما علاقة، وقد استشهد بيتيين من شعره واصفاً إياه

ب(صديقنا)^(٣٦) وذكر المحدث البحرياني بأن وفاته كانت سنة ٦٤٥هـ^(٣٧).

وقد نص المجلسي الأول على شيخوخة الشيخ نجيب الدين بن نما للشيخ ميثم في الرواية وذلك عند ذكر طريقه إلى الصحيفة السجادية، فقال: (وعن السيد عميد الدين عن والده السعيد مجد الدين أبي الفوارس، وحاله الشيخ رضي الدين ابن المطهر عن والده الشيخ سعيد الدين يوسف، والشيخ نجم الدين ابن سعيد، والشيخ كمال الدين حماد، والشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد، والشيخ نجم الدين جعفر بن نما، والشيخ العلامة كمال الدين ميثم بن علي البحرياني شارح نهج البلاغة، والشيخ شمس الدين محمد بن صالح القسيسي جمعاً عن السيد فخار وابن نما وغيرهم)^(٣٨).

٦- الشيخ مجد الدين عبد الله بن محمود بن مودود بن محمود بن بلدحي الموصلي: الفقيه الحنفي، يكنى بأبي الفضل، ولد سنة ٥٩٩هـ قال الزركلي: (ولد بالموصل ورحل إلى دمشق وولي قضاء الكوفة مدةً ثم استقر ببغداد مدرساً وتوفي فيها)^(٣٩)، يروي عن السيد حيدر بن محمد بن زيد بن محمد الحسيني، له عدة مصنفات منها: (المختار في الفروع) و(شرح الجامع الكبير للشيباني) وغيرها، توفي سنة ٦٨٣هـ

ورغم أن هذا الشخص كان حنفي المذهب إلا أن الشيخ ميثم البحرياني استجاز منه في الرواية على حسب عادة علمائنا في عدم اقتصارهم فيأخذ الإجازات على مشايخ الإمامية بل يأخذونها من أصحاب المذاهب الأخرى أيضاً، وقد أشار إلى هذه الإجازة أحد تلامذة الشيخ ميثم البحرياني وهو السيد محمد بن الحسن بن محمد بن أبي الرضا العلوي^(٤٠)، والظاهر أن الشيخ ميثم استجاز من الشيخ مجد

الدين عبد الله الموصلي في الرواية فقط، ولم يظهر لنا أنه تتلمذ عليه، وإن لم يكن ذلك بعيد.

تلامذته:

كان للمستوى العلمي الذي وصل إليه الشيخ ميثم البحرياني أثر كبير في شد الأنوار إليه في الحواضر العلمية، فتهافت الطلاب على الاستفادة من علومه، ورغم قلة المصادر التي تكلمت عن أسماء تلامذته ورواده، إلا أنها حاولنا ومن خلال التسقيب في بطون الكتب والإجازات أن نرفع الغموض عن هذه الأسماء، ونلقي عليها بعض الضوء بذكر نبذة يسيرة عنهم للتعرف بشخصياتهم، إذ أن التعرف على شخصية التلميذ تكشف لنا جوانب مهمة من شخصية الأستاذ، فممن تعرفنا عليهم من تلامذته أو الرواين عنه:

١ - العلامة جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن محمد بن المظفر الحلي: المعروف بالعلامة الحلي، ولد في مدينة الحلة ليلة الجمعة ٢٧ رمضان سنة ٦٤٨هـ كان فقيه الشيعة في وقته بلا منازع، برع في مختلف العلوم كالفقه والرجال والفلسفة والكلام، وتتلمذ على عدد كبير من العلماء منهم والده سيد الدين يوسف الحلي، وخاله نجم الدين المعروف بالمحقق الحلي، والخواجة نصير الدين الطوسي، والشيخ ميثم البحرياني، والسيدين الجليلين علي وأحمد ابني موسى بن طاووس، ويحيى بن أحمد بن سعيد الحلي وغيرهم، وتخرج على يديه جم غفير من العلماء من أبرزهم ابنه فخر المحققين وابن أخيه السيد عميد الدين عبد المطلب، والصادقة بني زهرة الذين كتب لهم إجازاته الكبيرة وغيرهم، وله

تصانيف كثيرة جداً قيل إنها تعد بالمئات، وقد ذكر الشيخ الطهراني عدداً كبيراً منها في ثانياً كتاب الذريعة^(٤١)، فمن كتبه (مختلف الشيعة)، و(قواعد الأحكام)، و(تبصرة المتعلمين)، و(خلاصة الأقوال في علم الرجال)، و(منهاج الكرامة)، و(كشف المراد في شرح تجرييد الاعتقاد) وغيرها، توفي سنة ٧٢٦ هـ.

وقد ذكر ابن أبي جمهور الإحسائي في بداية كتاب عوالى الالآل طرقه في الرواية وعدد في ضمنها أسماء مشايخ العلامة الحلي فقال: (ومنها أنه يروي عن الشيخ العالم الكامل، محقق علوم المتقدمين والمتاخرين، ومكمل علوم الحكماء والمتكلمين، الشيخ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحرياني)^(٤٢) وذكره المحقق الكركي في إحدى إجازاته بعد ذكر طريقه إلى العلامة الحلي، قال: (وبالإسناد إليه أيضاً جميع ما صنفه الإمام الأجل الأوحد كمال الملة والحق والدين ميثم البحرياني شارح نهج البلاغة)^(٤٣).

٢ - السيد غيث الدين عبد الكريم بن أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس: كان عالماً فقيهاً نسابةً نحوياً أدبياً شاعراً، قال عنه معاصره الحسن بن داود الحلي: (انتهت رئاسة السادات وذوي النواميس إليه، وكان أوحد زمانه، حائري المولد، حلي المنشأ، بغدادي التحصيل، كاظمي الخاتمة، ولد في شعبان سنة ٦٤٨ هـ وتوفي في شوال سنة ٦٩٣ هـ وكان عمره خمساً وأربعين سنةً وشهرين وأياماً، كنت قرينه طفلين إلى أن توفي، ما رأيت قبله ولا بعده بخلقه وجميل قاعدته وحلو معاشرته ثانياً، ولا لذكائه وقوته حافظته مماثلاً، ما دخل ذهنه شيء فكاد ينساه، حفظ القرآن في مدة يسيرة وله إحدى عشرة سنة، استقل بالكتابة واستغنى عن المعلم في أربعين يوماً وعمره إذ ذاك أربع سنين، ولا تحصى مناقبه)^(٤٤)، وقال عنه

ابن الفوطي: (...ولم أر في مشايخي أحفظ منه للسير والآثار والأحاديث والأخبار والحكايات والأشعار، جمع وصنف وشجر وألف، وكان يشارك الناس في علومهم، وكانت داره مجمع الأئمة والأسراف،...)^(٤٥) له مصنفات كثيرة^(٤٦) منها: (فرحة الغري بصرحة الغري) و(الشمل المنظوم في مصنفي العلوم) وغيرها، درس على جملة من العلماء منهم والده السيد أحمد بن موسى بن طاووس ومنهم عمه السيد علي بن موسى بن طاووس، ومنهم المحقق نصير الدين الطوسي، ومنهم الشيخ ميثم البحرياني، ورغم قصر عمره فقد تخرج عليه جمع من العلماء منهم الشيخ علي بن الحسين بن حماد الواسطي، والشيخ عبد الصمد بن أحمد بن أبي الجيش الحنبلي.

وقد نص السيد عبد الكريم بن طاووس على كون الشيخ ميثم البحرياني شيخه، حيث قال في إجازة كتبها للشيخ علي بن الحسين بن حماد الليثي الواسطي: (ومن مشايخي الوزير السعيد نصير الدين الطوسي وكمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحرياني)^(٤٧).

٣ - الشيخ كمال الدين علي بن الحسين بن حماد بن أبي الخير الليثي الواسطي: كان من أعلام القرنين السابع والثامن الهجري، وصفه الحر العاملي بقوله: (فاضل فقيه زاهر)^(٤٨)، يروي عن جماعة من العلماء منهم الشيخ جعفر بن محمد بن جعفر بن هبة الله بن نما الحلبي، والشيخ ميثم البحرياني، والسيد عبد الكريم بن طاووس، والشيخ يحيى بن أحمد بن سعيد الحلبي، والشيخ محمد بن صالح القسيسي وغيرهم، كما تتلمذ على يديه جمع من العلماء منهم ابنه الحسين بن علي بن الحسين بن حماد، والسيد تاج الدين محمد بن القاسم بن الحسين بن معية

الحسيني، والسيد شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي المعالي الموسوي وغيرهم،
وقيل إنه توفي في حدود سنة ٧٢٧هـ

وقد نص على تلمذه عليه الشيخ حسن صاحب المعالم في إجازته الكبيرة التي كتبها للسيد نجم الدين بن محمد الحسيني حيث قال: (...وعن الشيخ كمال الدين بن حماد الواسطي عن الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد، والشيخ نجم الدين جعفر بن محمد بن جعفر بن هبة الله بن نما، والشيخ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحرياني، والشيخ...) ^(٤٩)، وكانت إجازة الشيخ ميثم لهذا التلميذ في سنة ٦٨٧هـ كما صرحت بذلك الميرزا عبد الله الأفندى صاحب الرياض ^(٥٠).

٤ - المحقق الخواجة نصیر الدین محمد بن محمد بن الحسن الطوسي:
وقد أشرنا إلى ملخص ترجمته عند تعرضاً لمشايخ الشيخ ميثم البحرياني، وأشرنا هناك إلى تشكيكنا السابق في تلمذ المحقق الطوسي على الشيخ ميثم البحرياني، وقد أجبنا عنه ورفعنا اللبس عنه، ورجحنا شيخوخة كل منهما للآخر.
ثم إننا رأينا تعليقاً من المحدث الشيخ يوسف البحرياني على هذا الأمر فرأينا أن
نذكره كاملاً ثم نعلق عليه.

قال المحدث البحرياني: (وقال شيخنا أبو الحسن الشيخ سليمان بن عبد الله البحرياني ^{فُتَّاح} في رسالته المسماة بالسلافة البهية في الترجمة الميثمية: وجدت بخط بعض الأفضلاء المعتمدين أن الخواجة تلمذ على الشيخ كمال الدين ميثم في الفقه والشيخ كمال الدين ميثم تلمذ على الخواجة في الحكمة [انتهى]. وأنت خبير بأن وصف العلامة ^{رحمه الله} له - كما قدمنا نقله عنه - بأنه أفضل أهل عصره في العلوم العقلية والنقلية مما يدافع القول بتلمذه على الشيخ ميثم كما نقله هنا) ^(٥١).

فالمحدث البحريني يشكك في صحة هذه المعلومة استناداً إلى وصف العالمة الحلي للخواجة نصير الدين الطوسي بأنه (أفضل أهل عصره في العلوم العقلية والنقلية)^(٥٢)، فإذا كان الطوسي أفضل أهل عصره كيف يمكن أن يتلذذ على من هو أقل منه.

ولكن الجواب عن تشكيكه واضح؛ إذ يمكن الجواب عنه بوجهين:
الأول: أن يكون تلذذ نصير الدين الطوسي على الشيخ ميثم في أوائل حياته، وإنما صار (الأفضل) في أواخر حياته كما هو الغالب؛ إذ لا يبرز العالم ويتميز عن أقرانه إلا في أواخر حياته، فربما تفوق المحقق الطوسي على الشيخ ميثم في أواخر حياته.

الثاني: ويمكن حمل عبارة العالمة إما على المبالغة، أو على أنه يريد الأفضلية من حيث المجموع، ومما يؤيد هذا المعنى أن العالمة الحلي قال بعد ذلك بعده أسطر واصفاً أستاذته المحقق الحلي بأنه: (كان أفضل أهل عصره في الفقه)^(٥٣) مع أن الخواجة نصير الدين الطوسي والمحقق الحلي كانوا معاصرين وبين وفاتيهما أربع سنوات فقط.

على أن هذا التشكيك إنما يتصور لو كان الكلام عن التلذذ - كما نقله هنا عن الشيخ سليمان الماحوزي - وأما لو كان الكلام عن شيخوخة الإجازة - كما أشرنا له فيما سبق - فلا يبقى أي مجال لمثل هذا التشكيك.

٥ - السيد صفي الدين^(٥٤) محمد بن الحسن بن محمد بن أبي الرضا العلوى البغدادى: كان من علماء القرن الثامن الهجرى، قال عنه الحر العاملى: (كان من الفضلاء الفقهاء الأدباء الصلحاء الشعراء)، يروى عن جملة من العلماء

منهم والده الحسن بن محمد بن أبي الرضا، والشيخ نجيب الدين يحيى بن أحمد بن سعيد الحلبي، والشيخ ميثم بن علي البحرياني، وتتلمذ عليه ابن أخته السيد شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي المعالي الموسوي، له من المصنفات (التنبيهات في شرح القصائد السبع العلويات)^(٥٥)، كان حياً سنة ٧٣٠ هـ.

وقد نص السيد صفي الدين محمد بن الحسن العلوي في إحدى إجازاته التي كتبها سنة ٧٣٠ هـ على كون الشيخ ميثم البحرياني شيخه، حيث قال في ضمنها: (وأجزت له الرواية أيضاً عني عن الشيخ العالِم السعيد كمال الدين ميثم بن علي البحرياني الأولي عن الشيخ...).^(٥٦)

تنبيهان:

١- هل تتلمذ الشيخ محمد بن جهيم الأستاذ الحلبي على الشيخ ميثم البحرياني كما يذكر البعض؟

في الواقع ورغم كثرة بحثنا في المصادر لم نعثر على ما يؤيد هذه الدعوى، والظاهر أن مصدر هذه الدعوى هو السيد محمد باقر الخونساري في كتاب (الروضات) حيث كان ينقل كلام المحدث البحرياني الذي أورده حول الشيخ ميثم، فقال ما نصه: (... ويروي عنه جملة من الأصحاب منهم السيد الأجل السيد عبد الكريم بن السيد أحمد بن طاووس، إلى أن قال: ومنهم الشيخ سعيد الدين محمد بن جهيم الأستاذ الحلبي. انتهى كلام صاحب لؤلؤة البحرين في حق هذا الرجل).^(٥٧)

ولكن أدنى مراجعة لعبارة المحدث البحرياني في لؤلؤة البحرين ترفع هذا

اللبس، فإن المحدث البحرياني وابتداءً من الصفحة (٢٢٧) كان بقصد ذكر مشايخ العلامة الحلي، فذكر من ضمنهم سبعة أشخاص وهم المحقق الحلي، والسيد علي والسيد أحمد ابني موسى بن طاووس، والخواجة نصير الدين الطوسي، والشيخ ميثم البحرياني، والشيخ حسين بن الشيخ علي بن سليمان، والشيخ محمد بن جهيم الأستدي الحلي، وفي أثناء ذكره لهؤلاء كان يستطرد بذكر أفراد آخرين، كما فعل حينما ذكر الشيخ ميثم البحرياني فإنه استطرد بذكر السيد عبد الكريم بن طاووس؛ لأنه كان من ضمن تلامذة الشيخ ميثم، وكما فعل حينما ذكر الخواجة نصير الدين الطوسي فإنه استطرد بذكر شيخه معين الدين المصري، ومن الواضح أن المحدث البحرياني إنما ذكر الشيخ محمد بن جهيم في ضمن أساتذة العلامة لا في ضمن تلامذة الشيخ ميثم^(٥٨)، وهذا الأمر يمكن الالتفات إليه بأدنى تأمل، ولا أدرى كيف غاب ذلك عن مثل السيد الخونساري رحمه الله، كما أن الموجود في لعلة البحرين (الشيخ مفید الدين محمد بن جهم الأستدي الحلي) في حين أن صاحب الروضات نقل عنه (الشيخ سعيد الدين محمد بن جهم الأستدي الحلي)، ولم نعهد أنه يلقب بـ(سعيد الدين) ولعلها من الأخطاء المطبعية.

٢- هل تتلمذ والد العلامة الحلي - أعني الشيخ سعيد الدين يوسف بن علي بن المطهر الحلي - على الشيخ ميثم البحرياني؟

قد يبدو هذا السؤال غريباً لدى البعض، ولكن الدكتور محمد هادي الأميني رحمه الله ذكر تتلمذ سعيد الدين يوسف على الشيخ ميثم^(٥٩)، وربما تبعه البعض على ذلك، وهذا الكلام بتقديرنا يفتقد إلى الدقة، فنحن وبقدر ما بحثنا في المصادر لم نعثر على ما يدل على هذا الأمر، ولعل سبب هذا الاشتباه هو ما جاء في إحدى

إجازات الشيخ إبراهيم بن سليمان القطيفي، وهي إجازة طويلة وقد ذكر القطيفي في ضمن هذه الإجازة إجازة أخرى كتبها فخر المحققين ابن العلامة الحلبي، ومن ضمن ما جاء في إجازة فخر المحققين: (وأجزت له رواية جميع ما صنفه الإمام المعظم أفضـلـ الـعـلـمـاءـ مـوـلـانـاـ كـمـالـ الدـيـنـ مـيـشـمـ بـنـ سـلـيـمـانـ الـبـحـرـانـيـ عـنـ وـالـدـيـ،ـ عنـ جـدـيـ سـدـيـدـ الدـيـنـ يـوـسـفـ عـنـهـ.ـ وأـجـزـتـ لـهـ رـوـاـيـةـ جـمـيـعـ مـاـ صـنـفـهـ إـلـمـامـ الـعـلـمـةـ أـفـضـلـ عـصـرـهـ كـمـالـ الدـيـنـ بـنـ سـعـادـةـ الـبـحـرـانـيـ عـنـ وـالـدـيـ،ـ عـنـ جـدـيـ،ـ عـنـ كـمـالـ الدـيـنـ بـنـ سـلـيـمـانـ الـبـحـرـانـيـ عـنـهـ...ـ وأـجـزـتـ لـهـ رـوـاـيـةـ جـمـيـعـ مـاـ صـنـفـهـ كـمـالـ الدـيـنـ مـيـشـمـ الـبـحـرـانـيـ شـارـحـ نـهـجـ الـبـلـاغـةـ عـنـ وـالـدـيـ عـنـهـ...ـ).ـ

(٦٠)

و واضح أنه قد وقع خطأً أو تصحيف من (المجيز) أو من (الناسخ للإجازة)، وأن الصحيح (جمال الدين علي بن سليمان البحرياني) وليس (كمال الدين ميشم بن سليمان البحرياني) كما ورد في هذه الإجازة، ويدل على ذلك أمور:

- أننا لم نعهد مثل هذا الاسم (كمال الدين ميشم بن سليمان) في ضمن علماء البحرين.

- كما أن المجيز ذكر بعد ذلك طريقه إلى (كمال الدين ميشم البحرياني) واصفاً إياه بشارح نهج البلاغة.

- إن من المعروف في المصادر أن الراوي عن الشيخ كمال الدين أحمد بن سعادة البحرياني هو الشيخ جمال الدين علي بن سليمان البحرياني، الذي هو من مشايخ الشيخ ميشم البحرياني، وأما الشيخ ميشم فإنه لا يروي عن أحمد بن سعادة إلا بواسطة هذا الأستاذ.

- وحتى لو سلمنا - جدلاً - بعدم وقوع التصحيف في هذه الإجازة فإن المقصود

هنا هو شخص آخر غير الشيخ ميثم البحرياني المعروف، وذلك لتغيير اسم الأبوين،
ولأن المجيز ذكرهما مرتين مما يدل على تعددهما.

وبهذا يظهر أن من كان شيخاً لسديد الدين يوسف بن علي الحلبي هو الشيخ
علي بن سليمان البحرياني، وليس الشيخ ميثم البحرياني، والظاهر أن الدكتور الأميني
لم يلتفت إلى هذا الاشتباه الواقع في الإجازة فظن بأن المقصود هنا هو الشيخ ميثم
البحرياني.

مؤلفاته:

لقد صنف الشيخ ميثم البحرياني العديد من الكتب، ولكن مع الأسف يبدو أن
قسمًاً من هذه الكتب لم يصلنا منها سوى أسمائها، في حين أن ما وصلنا من كتبه لم
يلق العناية اللائقة، فلم يأخذ نصيه من التحقيق الوافي، بل إن بعضاً منها لم تطبع
لحد الآن، ونسعى هنا للتعرف على مصنفاته بشكل موجز وذلك لتسلیط مزيد من
الضوء على شخصيته العلمية:

١- **الشرح الكبير لنهج البلاغة**: اسمه (مصابح السالكين)^(٦١) وهو شرح قيم
يمكن تصنيفه ضمن فئة أشهر الشروح الموجودة لهذا الكتاب، اعتمد فيه المصنف
على بيان النكات الأدبية والبلاغية، كما طعمه بمشربه الفلسفية في كثير من مباحثه،
وقد ألفه باسم علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد بن محمد الجوني،
وأخيه شمس الدين محمد بن بهاء الدين محمد بن محمد الجوني الذي كان
المتولى على بغداد ما بين سنة ٦٦٥، وقد طبع الكتاب عدة مرات في إيران ولبنان،
وهو في خمسة مجلدات، أوله: (سبحانك اللهم وبحمدك، توحدت في ذاتك

فحسر عن إدراكك إنسان كل عارف وتفردت في صفاتك فقصر عن مدحتك لسان كل واصف...، وفي آخر الكتاب (وكتب عبد الله الملتجي إلى رحمته المستعيد من ذنبه بعفوه وكرمه ميثم بن علي بن ميثم البحرياني في متصرف ليلة السبت السادس شهر الله رمضان - عمت بركته - من سنة سبع وسبعين وستمائة. والحمد لله كما هو...).

٢- **الشرح الوسيط لنهج البلاغة**: اسمه (اختيار مصباح السالكين)^(٦٢) وهو منتخب ومستخرج من الشرح السابق، كما هو مصرّح به فيه، وقد ابتدأه بقوله: (سبحان من حسرت أبصار البصائر عن كنه معرفته، وقصرت ألسن البلغاء عن أداء مدحته وكيفية صفتة...). وقال في آخره (... وفرغ من اختصاره أفق عباد الله تعالى ميثم بن علي بن ميثم البحرياني - عفا الله عنه - في آخر شوّال سنة إحدى وثمانين وستمائة بعون الله وتوفيقه...)، وقد اختصره بناءً على طلب عطا ملك الجوياني كما صرّح بذلك في مقدمة، هذا وقد طبع هذا الكتاب في مدينة مشهد بتحقيق الدكتور محمد هادي الأميني في سنة ١٤٠٨هـ

٣- **الشرح الصغير لنهج البلاغة**: ذكره الشيخ الحر العاملي بقوله: (له كتب منها: كتاب شرح نهج البلاغة كبير ومتوسط وصغير)^(٦٣)، كما ذكره الشيخ سليمان الماحوزي في السلافة البهية حيث قال: (وسمعت من بعض الثقاة أن له شرحاً ثالثاً على كتاب نهج البلاغة الكبير)^(٦٤)، وقد نقله عنه من تأخر عنه، ولم أجده من ذكر اسمها لهذا الشرح، كما لم أشر على من أشار إلى وجود نسخة خطية منه في المكتبات، وقد شكّل البعض^(٦٥) في أصل وجود هذا الشرح الثالث، محتملاً أن المقصود بالشرح الثالث إنما هو شرح المائة كلمة المعروفة بـ(منهاج العارفين)،

ولكن عدم الوجود لا يدل على عدم الوجود خصوصاً بالنسبة للنسخ الخطية لعلمائنا الأبرار، فما أكثر النسخ التي اندثرت نتيجة الإهمال وعدم الاستنساخ، ولا زلتنا بين الفينة والأخرى نسمع عن بعض المخطوطات الجديدة التي عثر عليها في زوايا بعض القرى والأرياف، ولعل مما يؤكّد وجود هذا الشرح وعدم اتحاده مع (شرح المائة) هو أن الحر العاملی المتوفى سنة ١١٠٤ هـ قد ذكر الشرح الثلاثة وشرح المائة كله أيضاً، مما يعني أنه يعتقد بتغاير الشرحين^(٦٦).

٤- منهاج العارفين: وهو المعروف بـ(شرح المائة) ^(٦٧) وهو ليس شرحاً لنهج البلاغة، بل هو شرح للمائة كله من الكلمات الفصار التي انتخبها الجاحظ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، أوله (اللهم يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قدوس يا سلام، يا مبدأ الجود ومنبعه وغاية كل موجود ومرجعه، يا نور الأنوار...) وفي آخر الكتاب (والله تعالى يوفقنا وإياك لما يحبه ويرضاه بمنه وجوده وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت...)، وقد ألفه باسم (شهاب الدين مسعود بن كرشاسف)، والكتاب حال من تاريخ تصنيفه، وقد طبع هذا الشرح في إيران سنة ١٣٩٠ هـ بتحقيق مير جلال الدين الحسيني المعروف بالمحدث الأرموي، وقد تكرر طبعه بالأوفست بعد ذلك عدة مرات في إيران وخارجها.

٥- تجريد البلاغة: وقد يسمى (أصول البلاغة) أو (مقدمة البلاغة)، وهو كتاب قيم ألفه الشيخ ميثم باسم نظام الدين أبي المظفر منصور بن علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد الجوني، وقال الشيخ آقا بزرگ توجد منه نسخة في مكتبة سپهسالار الجديدة في طهران^(٦٨)، كان مطبوعاً طبعة حجريةً، وقد أعيد طبعه في المطبعة العلمية في قم والناشر هو مكتبة العزيزي، وذلك سنة ١٤١٠ هـ وهذه

الطبعة مصورة بالحروف في ثمانين صفحة من الحجم الوزيري، ولكن تمت تسميتها (أصول البلاغة) وليس عليه تاريخ انتهاء المصنف، أوله (الحمد لله الذي خلق الإنسان علمه البيان، والصلة على محمد المبعوث بأشرف الأديان الناطق بأوضح لسان، وعلى آله الهادين لسبيل الإيمان)^(٦٩) إلى أن قال (وخدمت بها مجلس من خص بكمال الفضل النفسي)، وذكاء الأصل الإنساني، حتى لقد بد الأقران في حلبة العلم ولم يبلغ سنه أوان الحلم، وهو الأمير المعظم والصدر المكرم، العالم العادل، الفاضل الكامل، نظام الدنيا والدين أبو المظفر منصور ابن الصاحب الأعظم دستور ممالك العالم آصف الزمان قطب نوع الإنسان علاء الحق والدين عطا ملك بن الصاحب المعظم السعيد الشهيد سلطان البلاء بهاء الحق والدين محمد الجوني)^(٧٠)، وفي آخر الكتاب: (وهذا بحسب المتأخر إلى الفهم من ذوق العربية، وبالله التوفيق)^(٧١)، وهذا الكتاب شرحه الشيخ المقداد السيوري المتوفى سنة ٨٢٦ هـ وسمى شرحه (تجوييد البراعة في شرح تجريد البلاغة)^(٧٢)، ولكن هذا الشرح لم يطبع.

٦- النجاة في القيامة في تحقيق أمر الإمامة: وهو كتاب قيم يتكلم عن موضوع الإمامة وشرائطها، وتعيين الإمام، ورد شبكات الخصوم حولها، ويقع الكتاب في مقدمة وثلاثة أبواب، ألفه باسم (أبي المظفر عبد العزيز بن جعفر النيسابوري) الذي كان والي البصرة^(٧٣)، أوله: (الحمد لله مفيض الجود، وواهب وجود كل موجود، الذي أحاط بكل شيء علمًا..)، وآخره: (وحيئذ يكون الاستنكار والاستبعاد قبيحاً، والله ولني التوفيق والعصمة...)، والكتاب حال من تاريخه، وقد قام مجمع الفكر الإسلامي في قم بطبع الكتاب طباعةً أنيقةً ومحققةً

في سنة ١٤١٧هـ وقد حققه وقدم له العالمة الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي.

٧- **قواعد المرام في علم الكلام:** ويعبر عنه في المصادر بـ(رسالة في الكلام)^(٧٤) أو بـ(مقاصد الكلام)^(٧٥)، وهو كسابقه أيضاً فقد ألفه الشيخ ميثم إلى أبي المظفر عبد العزيز بن جعفر النيسابوري الذي كان والي البصرة وماجاورها، أوله: (الحمد لله الولي الحميد، ذي العرش المجيد، الفعال لما يريد، عالم الغيب والشهادة..)، وآخره: (وإذا جاز ذلك في الطرفين فلم لا يجوز مثله في الواسطة، أعني طبقة الأولياء. وبالله التوفيق والعصمة...)، وهذا الكتاب طبعته مكتبة آية الله المرعشبي في قم المقدسة سنة ١٣٩٨هـ بتحقيق السيد أحمد الحسيني. وحينما جئنا إلى حوزة قم كان هذا الكتاب متناً دراسياً في بعض مدارسها العلمية، كما يظهر من بعض المصادر أنه كان متناً دراسياً في العصور الغابرية أيضاً، فقد درسه الشهيد الثاني حينما كان في (كرك نوح)^(٧٦).

وقد جاء في ذيل النسخة الخطية (اتفاق فراغ مصنفه ومؤلفه ملك العلماء عالمة الدهر مفتی الطوائف، کاشف الحقائق واللطائف، کمال الملة والدين میثم بن علی بن میثم البحراںی - تغمدہ اللہ برحمتہ، وأسكنہ بحبوحة جنتہ - بمدينة السلام في العشرين من ربيع الأول سنة ست وسبعين وستمائة، ووقع الفراغ من كتابته ظهر يوم العشرين من رجب المرجب لسنة سبع عشر وسبعمائة، في سلطانية - رحم اللہ محدثها - علی یدی صاحبہ أبي الفتوح احمد بن أبي عبد اللہ بلکو بن أبي طالب الاوی)^(٧٧)، ولكن هذا التاريخ (أی سنة ٦٧٦هـ) ربما لا يخلو من تصحیف، فإن عبد العزيز بن جعفر النيسابوري، الذي ألف الكتاب من أجله توفي في منتصف ذی القعدة سنة ٦٧٢هـ ویظهر من مقدمة هذا الكتاب أنه كان حياً حينما شرع الشيخ

ميشم بتأليفه، ومن بعيد جداً أن يطول تأليف هذا الكتاب المختصر بحيث يتنهى منه مؤلفه سنة ٦٧٦هـ ولهذا فالرجح هو وقوع تصحيف في هذا التاريخ، أو أن يكون هذا التاريخ هو تاريخ تبييض هذه النسخة على يد مؤلفها بعد أن كتبها كمسودة في وقت سابق.

٨- آداب البحث: نسبه إليه الشيخ فخر الدين الطريحي في مجمع البحرين^(٧٨)، وذكره الشيخ الطهراني في الذريعة^(٧٩)، وقال بأن الشيخ سليمان المحوزي قد ذكره في كتاب السلافة البهية وفي كتاب تراجم علماء البحرين، ولكنه اشتباه منه، حيث إن الذي ذكره هو الشيخ الطريحي، وأما المحوزي فلم يذكره في أي من كتبه، وعلى أي حال فلم أجده هذا الكتاب في فهارس المكتبات الخطية، ولعله اندثر نتيجة الإهمال كما هو الحال بالنسبة للكثير من الكتب.

٩- الدر المنشور: ولم يذكره أكثر من ترجم للشيخ ميشم، ولعل أول من أشار إليه هو الشيخ علي بن محمد بن الشيخ حسن صاحب المعالم على ما نسب إليه^(٨٠)، ثم ذكرته المصادر بعد ذلك مثل هدية العارفين^(٨١)، وقد رأينا نسخة مصورةً من هذا الكتاب في مكتبة مركز إحياء التراث الإسلامي في مدينة قم المقدسة، ولكن هذه النسخة خالية من اسم المؤلف والناسخ، ومن أي تاريخ للتأليف أو النسخ، ولكن في فهارس المكتبة وأشاروا إلى أنها من مؤلفات الشيخ ميشم، وأول النسخة: (الحمد لله الذي هدانا بتوفيقه إلى جادة طريقه، وفضلنا بتوحيده على كافة عبيده...) إلى أن يقول: (وبعد فهذه كلمات محفوظة الأسانيد مرتبة على حروف المعجم مروية عن مولانا وسيدنا أمير المؤمنين وإمام المتقيين أبي الحسن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) ثم يبدأ بسرد كلمات أمير المؤمنين، وأولها: (الدين يعصم، الدنيا

وسلم) وفي آخر النسخة: (ينبغي لمن رضي بقضاء الله أن يتوكّل عليه، تم بعون الله). وقد تكرر في وسط النسخة أيضاً الإشارة إلى أمير المؤمنين عَلِيُّ بْنُ ابْرَاهِيمَ (كرم الله وجهه)، وعلى أي حال فمثل هذا التعبير ليس من ديدن الشيخ ميشم ولا غيره من الشيعة، ولعله من تصرفات الناسخ كما قد يتفق ذلك أحياناً.

١٠- استقصاء النظر في إمامية الأئمة الاثني عشر: لعل أول من ذكر هذا الكتاب هو الشيخ يحيى بن الحسين بن عشيرة البحرياني^(٨٢)، وتبعه الشيخ الطريحي^(٨٣)، وذكره بعدهما المحدث البحرياني في المؤلفة وقال عنه(ذكره بعض مشايخنا المحققين من متأخري المتأخرین)^(٨٤) ويظهر من كلامه أنه لم ير الكتاب، كما ذكره إسماعيل باشا البغدادي^(٨٥) والشيخ الطهراني في الذريعة^(٨٦)، ولعل هذا الكتاب متعدد مع كتاب(غاية النظر)^(٨٧)، وكتاب (الإمامية)^(٨٨) الذين ذكرهما الشيخ الطهراني أيضاً، ورغم البحث إلا أنها لم نجد هذا الكتاب في فهارس المكتبات الخطية، ولعله اندرأ أيضاً.

١١- البحر الخضم: في الإلهيات، ذكره الشيخ سليمان الماحوزي في رسالته التي كتبها في تراجم علماء البحرين^(٨٩)، وذكره إسماعيل باشا البغدادي في إيضاح المكنون^(٩٠)، والشيخ الطهراني في الذريعة^(٩١)، ولكنني لم أجده هذا الكتاب في فهارس المكتبات الخطية، والظاهر أنه قد اندرأ كغيره.

١٢- المعراج السماوي: وهذا الكتاب غير موجود في فهارس المكتبات الخطية، ولكن الشيخ سليمان الماحوزي ذكره في السلافة البهية، وقال: بأن السيد صدر الدين محمد الشيرازي (توفي سنة ١٠٥٠هـ) قد (أكثر النقل عنه في حاشية شرح التجريد، فيما في مبحث الجواهر والأعراض، والتقط فرائد التحقيقات التي

أبدها^(٩٢)، وذكره في الدرية قائلاً: (والسيد علي خان المدني ينقل عنه كثيراً^(٩٣)، وما ذكره صاحب الدرية هنا صحيح فإن السيد علي خان المدني (توفي سنة ١١٢٠هـ) قد نقل عنه كثيراً في شرحه للصحيفة السجادية.

١٣- رسالة في الوحي والإلهام: لم نشر على هذا الكتاب في فهارس المكتبات الخطية، ولعل أول من ذكره الشيخ سليمان الماحوزي في السلافة البهية^(٩٤)، ثم ذكره السيد إعجاز حسين في كشف الحجب^(٩٥)، كما ذكره الشيخ الطهراني في الدرية^(٩٦).

١٤- شرح حديث المنزلة: هذا الكتاب رأه الشيخ علي البلادي، فقد ذكره في ضمن مصنفات الشيخ ميثم قائلاً: (ومنها رسالة عجيبة في شرح حديث المنزلة، وأنه وحده كاف في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام لم نحتاج إلى غيره، وهو قوله عليه السلام في الصحيح المتفق عليه: (ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي) وما هو بمعناه، فأثبتت النبي عليه السلام له جميع المنازل التي لهارون من موسى عليه السلام ولم يستثن منها إلا النبوة، ومن جملة منازل هارون الخلافة يقيناً بنص القرآن في قوله تعالى ﴿أَخْلُقْنِي فِي قَوْمِي﴾^(٩٧)، وقد ذكره السيد الأمين نقاً عنه^(٩٨).

١٥- شرح رسالة العلم: (رسالة العلم) من مؤلفات الشيخ أحمد بن علي بن سعيد بن سعادة البحرياني، والمعروف أن تلميذه الشيخ علي بن سليمان البحرياني أرسلها إلى نصير الدين الطوسي ليشرحها، ولكن في بعض المصادر نسب أصل الكتاب إلى الشيخ ميثم^(٩٩)، وقد يستفاد من مصادر أخرى أن الشيخ ميثم البحرياني

هو الذي طلب من نصير الدين الطوسي شرحها^(١٠٠)، وقال الشيخ علي البلادي: (وأما شرح رسالة العلم التي ذكرها شيخنا الشيخ سليمان وغيره ونسبوه للمحقق الخواجة نصير الدين فهو عندنا ساقط من أول خطبه قليل إلا أن أسلوب الخطبة والديباجة معين أن الشرح المذبور للشيخ الجليل الرباني الشيخ ميثم البحرياني رحمه الله التمس منه الخواجة نصير الدين أن يشرحه لا أنه للخواجة ويتحمل أن يكون هذا شرحاً ثانياً للشيخ كمال الدين الشيخ ميثم إلا أنني لم أقف لأحد النسبة إليه وإنما ينسبونه في جملة من الكتب والإجازات للخواجة نصير الملة والدين)^(١٠١)، وأما المحدث البحرياني فقد ذكر أن الكتاب كان عنده ثم فقده في بعض الواقع، ونسب متن الكتاب إلى الشيخ علي بن سليمان البحرياني وأشار إلى أن شرح المحقق الطوسي كان بالتماس الشيخ ميثم البحرياني^(١٠٢)، وقد يجد الباحث بعض الاختلافات الأخرى في المصادر، علمًا بأن هذا الكتاب رأه جملة من الأعلام ونقلوا عنه عدة مقاطع من ديباجته^(١٠٣).

وقد سعينا لحل هذه المسألة فبحثنا عن هذا الكتاب وعثرنا على صورة من إحدى نسخه الخطية^(١٠٤)، وقارناها بما نقلته المصادر عن ديباجة هذا الكتاب فوجدناه متطابقاً، وفيه تصريح بأن المتن للشيخ أحمد بن سعادة البحرياني وأن الشرح للخواجة نصير الدين الطوسي، ولكننا لم نجد تصريحاً باسم الشيخ علي بن سليمان البحرياني، بل وجدنا تصريحاً باسم الشيخ ميثم البحرياني، حيث جاء في الصفحة الثانية: (قال الإمام كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحرياني بسم الله الرحمن الرحيم...) إلى أن قال: (أما بعد فإن الله سبحانه لما وفقني فيما مضى من الأيام، وألقي زمامي بيد الإمام الهمام سيف الإسلام علامة الأنام لسان الحكماء

والمتكلمين جمال (المحقين و) المحققين كمال الملة والدين أبي جعفر أحمد بن علي بن سعيد بن سعادة، تلقاه بأكمل الوفادة...)، ومع الأسف أنّا لم نظر في هذه العجلة بنسخة خطية أخرى لقارنها بهذه النسخة، والغريب أن المصادر التي نقلت عن هذه الديباجة لم تشر إلى وجود اسم الشيخ ميثم فيها، والظاهر أنه من زيادات هذه النسخة، وعلى أي حال فالذى نكاد نطمئن له هو أن الشيخ علي بن سليمان هو الذي أرسل الكتاب إلى نصير الدين الطوسي وطلب منه شرحه، وربما كان هذا الإرسال بواسطة الشيخ ميثم.

١٦- رسالة في إبطال الترجيح بلا مرجح والدور والتسلسل: بحسب تتبعنا للمصادر لم نجد من يذكر هذا الكتاب في ضمن مؤلفات الشيخ ميثم، ولكن ذكره المكbas في كتاب (فوائد الأسفار) ونسبة إلى الشيخ ميثم البحرياني، وقال أنه يقع في ثلاث صفحات، أوله: (أمرتني - متع الله الإسلام وأهله بمقامك - أن أشير إلى تقرير القواعد الثلاثة المشهورة، وهي بطلان الترجح من غير مرجع وبطلان الدور والتسلسل، وإيفاء القول فيها بضرورة أو برهان..)، وآخره: (وإنما ينقطع بانقطاع الاعتبار الذهني وبالله التوفيق)، وقال أيضاً أنه متواجد في مكتبة السيد الگلبايگانی في قم^(١٠٥)، ولكن ورغم البحث لم نعثر عليه في ضمن مجلدات فهرست المكتبة المذكورة.

١٧- مصادرات إقليدس: لم نجد من ذكره في ضمن مؤلفات الشيخ ميثم البحرياني سوى الشيخ المكbas حيث ذكره في فوائد الأسفار ونسبة إلى الشيخ ميثم، وقال أنه يقع في ثمان ورقات، أوله: (قوله: الحدود هذه الأقاويل يسميها بعض الناس حدوداً وبعضهم يسميتها رسوماً..)، وآخره: (كما أشرنا إليه في صدر

المقالة الخامسة)، ولم يذكر مصدر هذه النسخة التي رآها^(١٠٦)، ولعل تصحيفاً حصل في النسخة التي رآها؛ إذ أن (مadoras إقليدس) عنوان لكتب عديدة لمؤلفين مختلفين، ومن ضمن هؤلاء العالم المعروف بابن الهيثم^(١٠٧)، وهو أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم البصري، المتوفى سنة ٤٣٠هـ وقد رأينا كتابه مطبوعاً بإحدى المطابع المصرية قبل مدة، ولا يحضرنا الآن لمقارن بين بدايات الكتاب وخرواتيه، فمن المحتمل وقوع التصحيف في اسم المؤلف، فصحف (ابن الهيثم) إلى (ابن ميثم)، كما يحتمل أن يكون هذا كتاباً آخر للشيخ ميثم البحرياني ولم تشر إليه المصادر، حيث إن هذا العنوان كتب فيه كثيرون كما أشرنا، ومن ضمن من كتب فيه المحقق الشيخ نصير الدين الطوسي.

١٨- شرح إشارات الواصلين: وهو شرح لكتاب أستاذه الشيخ علي بن سليمان البحرياني الذي اسمه (إشارات الواصلين إلى علوم العميان وتنبيهات أهل العيان من أرباب البيان)^(١٠٨)، ذكره الشيخ سليمان الماحوزي بقوله: (وكتاب شرح إشارات أستاذه العالم الكامل قدوة الحكماء وإمام الفضلاء الشيخ السعيد الشيخ علي بن سليمان البحرياني وهو في غاية المتنانة والدقة على قواعد الحكماء المتألهين)^(١٠٩)، كما ذكره الشيخ الطهراني في الذريعة^(١١٠).

١٩- العزيّة في شرح المقالة النصيرية: وهذا الكتاب لم تذكره المصادر في ضمن مؤلفات الشيخ ميثم البحرياني، ومتنا الكتاب للشيخ نصير الدين الطوسي، وتوجد نسخة من هذا الشرح في المكتبة الرضوية، وليس عليها اسم الشارح لكنه معاصر للخواجة نصير الدين، وذكره الشيخ الطهراني في ذريعته، ونقل عن فهرس المكتبة الرضوية احتمال كونه للشيخ ميثم وأنه ألفه لعبد العزيز بن جعفر

النيسابوري^(١١)، ولعل وجہ هذا الاحتمال هو معاصرة الشیخ میشم لنصیر الدین الطوسي، مضافاً إلى أن الشیخ میشم ألف بعض کتبه باسم عبد العزیز بن جعفر النيسابوري، إلا أن ذلك لا یفید الجزم بنسبة الكتاب إليه.

٢٠- المراسلة: وهي رسالة كتبها الشیخ میشم البحاراني إلى الخواجة نصیر الدین الطوسي، وقد ذکرها الشیخ الطهراني في ذریعته^(١٢)، وعندنا نسخة مصورة من مخطوطة هذه الرسالة تقع في أربع صفحات، وقد طبعها الشیخ المکباس مؤخراً ضمن كتابه (مراسلات علماء البحرين)^(١٣)، وهذه الرسالة خالية من التاريخ، إلا أن الشیخ میشم أورد فيها أبياتاً شعريةً متفرقةً لبعض الشعراء المتقدمين، كما صدرها ببیتين من إنشائه، وختمتها بقصيدة مدح فيها الخواجة نصیر الدین الطوسي، وسنذكر هذه الأبيات ضمن أشعار الشیخ میشم، قال ابن الفوطي في ترجمته للشیخ میشم: (...وسألته عن مشايخه فذكر أنه قرأ على جمال الدين علي بن سليمان البحاراني، وطلب مني رسالته التي كتبها إلى حضرة مولانا نصیر الدین فكتبتها له، وصنف...)، والضمير في قوله: (كتبها) مبهم، فمن المحتمل أن يكون مقصوده هذه الرسالة التي كتبها الشیخ میشم للخواجة نصیر الدین، أو أن يكون مقصوده رسالة العلم التي أرسلها أستاده علي بن سليمان البحاراني إلى الخواجة نصیر الدین.

٢١- كتاب الأوصياء: نسبه إلى الشیخ يحيى بن عشيرة البحاراني، حيث قال: (...وله كتاب استقصاء النظر في إمامية الأئمة الاثني عشر، وله كتاب الأوصياء)^(١٤)، ولم نجد من ذكره غيره.

كتب نسبت إليه وليس له:

١- **كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة**: وهذا الكتاب نسب إلى الشيخ ميشم، وبحسب المصادر التي بين أيدينا فإن أول من نسبه إليه هو الشيخ يحيى بن الحسين بن عشيرة البحرياني^(١٥)، وتبعد على ذلك الطريحي^(١٦) والمجلسي^(١٧)، وغيرهما، ولكن التحقيق عدم صحة هذه النسبة، حيث إن هذا الكتاب لمؤلف آخر، وهو الشريف علي بن أحمد بن موسى بن الإمام الجواد عاشِلَيَّة، وقد نبه على ذلك عدد من الأعلام^(١٨).

٢- **النهج المستقيم على طريقة الحكيم**: والصحيح أن هذا الكتاب من كتب الشيخ علي بن سليمان البحرياني، وربما تنسبه بعض المصادر - اشتباهاً - إلى تلميذه الشيخ ميشم البحرياني أيضاً، كما أشار إلى ذلك الشيخ آقا بزرگ الطهراني في الدررية^(١٩).

الهوامش:

(١) هذا المقال كتبته في الأساس للمؤتمر الدولي الثاني لتكريم الشيخ ميشم البحرياني، والذي انعقد في طهران في ٢٥ و ٢٦ ذي الحجة ١٤٢٧هـ، وتتجدر الإشارة إلى أن الجهة المنظمة للمؤتمر عرضت خلال المؤتمر نسخة مترجمة عن هذا المقال باللغة الفارسية، والمترجم - حسبما هو مذكور على النسخة - اسمه سيد حميد رضا مهاجراني، ولكن - ومع الأسف الشديد - كانت الترجمة مختصرة جداً وغير دقيقة، كما تم حذف الهوامش بشكل شبه كامل، ونتيجة لذلك فقد صار حجم النسخة المترجمة أقل من ثلث النسخة الأصلية التي باللغة العربية.

(٢) أكثر المصادر لم تذكر سوى اسم جده الأول (ميشم) ولم تشر للجد الثاني (المعلى)، ولكن جملةً من علماء البحرين نصصوا على اسمه ومنهم المحدث الشيخ عبد الله بن صالح السماهيجي البحرياني

(المتوفى سنة ١١٣٥هـ)، فقد ذكر وفاة الشيخ سليمان الماحوزي ثم قال: ودفن في مقبرة الشيخ ميثم بن المعلى، جد الشيخ ميثم العلامة المشهور. انظر: الإجازة الكبيرة للسماهي^{٧٥}: وقد نقل عنه ذلك المحدث البحرياني في كتابه لؤلؤة البحرين: ٨.

(٣) انظر كتاب (السلافة البهية في الترجمة المياثمية) المطبوع ضمن كشكول المحدث البحرياني ١: ٤٥. ولكن في الكشكول المطبوع: (... في ترجمة ميثم أحمد بن الحسن المياثمي ما نصه: هو منسوب...) والظاهر زيادة كلمة ميثم، إذ لا يوجد في المصادر سوى أحمد بن الحسن المياثمي، ولهذا حذفنا كلمة ميثم.

(٤) معجم الألقاب ٤: ٢٦٦.

(٥) انظر المصادر التالية:

- ١- كتاب العين للخليل الفراهيدي ٣: ٢٢١. ٢- الصاحح للمجواهري ٢: ٥٨٥.
- ٣- لسان العرب ٢: ٤٢. ٤- مجمع البحرين ١: ١٥٧.
- ٥- معجم مقاييس اللغة ١: ٢٠٣. ٦- شرح شافية ابن الحاجب ٢: ٨٢.
- ٧- الوافي بالوفيات للصفدي ١: ٤٤. ٨- معجم البلدان ٢: ٢٦٣.

(٦) انظر: الإجازة الكبيرة للسماهي^{٧٥}: ٧٥، وأنوار البحرين: ٧٥.

(٧) أنوار البحرين: ١٣٢.

(٨) مجلة تراثنا، العدد ٢٩، السنة السابعة، شوال ١٤١٢هـ ، صفحة ٨.

(٩) النجاة في القيامة في تحقيق أمر الإمام: ٣٨.

(١٠) حاضر البحرين: ٥٩.

(١١) فهرست علماء البحرين: ٦٣.

(١٢) انظر: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ١: ٣٧٩، ومعجم البلدان ١: ٣٤٧.

(١٣) وصفه بذلك تلميذه السيد محمد بن الحسن بن محمد بن أبي الرضا العلوبي، و ذلك في إحدى الإجازات التي كتبها إلى السيد شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي المعالي الموسوي. انظر: بحار الأنوار ١٠٤: ١٧٢.

(١٤) أنوار البحرين: ١٣٢.

(١٥) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٢: ٩٨.

(١٦) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٢١: ٣٢٩.

(١٧) قال السيد محسن الأمين بأنه رأى هذا الكتاب في مكتبة الشيخ فضل الله النوري في طهران. انظر: أعيان الشيعة: ٨: ٢٤٨.

(١٨) إجازة العلامة لبني زهرة، وهي مطبوعة ضمن إجازات البحار، انظر: بحار الأنوار ٤: ٦٥.

(١٩) انظر: بحار الأنوار ٥: ١١، وختامة المستدرك ٢: ٤١٢.

(٢٠) انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة ج ٣ ص ٣٥٢، وج ٣ ص ٣٩٠، وج ٤ ص ٥٠، وج ٤ ص ١٣، وج ٤ ص ٢٨٧.

(٢١) انظر: فهرست علماء البحرين: ٦٠. وقد جاء هذا الكلام في هوامش النسخة التي حققتها، وقد طُبعت سنة ١٤٢١هـ.

(٢٢) قال الشيخ يحيى بن عشيرة البحرياني في كتابه (مشايخ الشيعة) - الذي لا زال مخطوطاً - عند ترجمة الشيخ نصير الدين الطوسي: (وشيخه في الفقه ميثم البحرياني).

(٢٣) ذكر الشيخ الطريحي بأن الشيخ ميثم البحرياني (شيخ نصير الدين الطوسي في الفقه)، وظاهر عبارته أنه يريد به التلمذ لا الإجازة في الرواية. انظر: مجمع البحرين ٤: ١٧١، مادة (ميثم). وربما يكون الشيخ الطريحي أخذ ذلك من كتاب (مشايخ الشيعة) للبحرياني، لأنه متاخر عنه.

(٢٤) قال الشيخ سليمان المحوزي: (ووجدت بخط بعض الأفاضل المعتمدين أن الخواجة تلمذ على الشيخ كمال الدين ميثم في الفقه والشيخ كمال الدين ميثم تلمذ على الخواجة في الحكمة). انظر كتاب (السلامة البهية في الترجمة المياثمية) المطبوع في ضمن كشكول البحرياني ١: ٤٧.

(٢٥) قال السيد أحمد الحسيني الإشكوري: رأيت على بعض نسخ كتابه (محضر مصباح السالكين) ما نصه: (وقد رأيت إجازة الشيخ ميثم (رحمه الله عليه) للشيخ نصير الدين شيخ المتكلمين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي في المنقولات، ورأيت إجازة الشيخ نصير الدين له في المعقولات). انظر: تراجم الرجال ٣: ٤٩٦.

(٢٦) ذكر ذلك السيد علي بن طاووس في كتاب (الدرود الواقعية: ٧٨) وقال إن ذلك كان في مسكنه بالجانب الشرقي من دار السلام في صفر سنة خمس وثلاثين وستمائة.

(٢٧) انظر: هدية العارفين ١: ٢٠٥.

(٢٨) فقد قال في كتابه (مشايخ الشيعة) – الذي ما زال مخطوطاً - عندما ترجم الشيخ ميثم البحرياني:

(وشيخه أبو السعادات)، كما قال في ترجمة الشيخ أسعد بن عبد القاهر الأصفهاني: (وتلميذه الشيخ نصير الدين الطوسي والشيخ ميثم بن علي البحرياني).

(٢٩) قال في كتابه (مجمع البحرين) في ترجمة الشيخ ميثم البحرياني: (وشيخه أبو السعادات)، انظر: مجمع البحرين ٤: ١٧١، مادة (مثم).

ولعله نقلها عن كتاب (مشايخ الشيعة) للبحرياني؛ لأنه متاخر عنه، وهي نفس تلك العبارة.

(٣٠) قال الشيخ الحر العاملي في ترجمة الشيخ أسعد بن عبد القاهر: (يروي عنه علي بن موسى ابن طاووس، وقرأ عنده المحقق نصير الدين الطوسي وميثم بن علي البحرياني)، انظر: أمل الآمل ٢: ٣٣.

(٣١) قال السيد أحمد الحسيني الإشكوري: رأيت على بعض نسخ كتابه (مختصر مصباح السالكين) ما نصه: (وقد رأيت إجازة الشيخ ميثم (رحمه الله عليه) للشيخ نصير الدين شيخ المتكلمين محمد ابن محمد بن الحسن الطوسي في المنشولات، ورأيت إجازة الشيخ نصير الدين له في المنشولات، ورأيت إجازة الشيخ أبي السعادات هبة الله البحرياني الذي صنف كتاب [رشح الولاء في شرح الدعاء] لهما في المنشولات والمنشولات). انظر: تراجم الرجال ٤٩٦: ٣.

ومن الواضح حصول خلط هنا لدى هذا الكاتب، حيث إن الشيخ أبي السعادات لم يكن بحرانياً بل كان أصفهانياً كما هو معلوم، مضافاً إلى أن هبة الله اسم لأحد أجداده، وليس اسمه له كما توهمه الكاتب.

(٣٢) الدرية إلى تصانيف الشيعة ٦: ٢١٦.

(٣٣) نقله عنه ابنه المجلسي الثاني في بحار الأنوار ١٠٧: ٥٦.

(٣٤) لؤلؤة البحرين في الإجازة لقرتي العين: ٢٧٢.

(٣٥) تاريخ الحلة ٢: ١٦.

(٣٦) معجم البلدان ٤: ٣٧٢، تحت عنوان (قطربيل).

(٣٧) لؤلؤة البحرين في الإجازة لقرتي العين: ٢٧٣.

(٣٨) نقله عنه ابنه المجلسي الثاني في بحار الأنوار ١٠٧: ٥٦.

(٣٩) الأعلام ٤: ١٣٥.

(٤٠) ذكر ذلك في إحدى الإجازات التي كتبها والتي أوردها العلامة المجلسي في البحار.
انظر: بحار الأنوار ١٠٤: ١٧٢.

(٤١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ج ٦ ص ١٩٤، وج ١٧ ص ١٧٦، وج ٣ ص ٣٢١، وج ٧ ص ٢١٤، وج ٢٣ ص ١٧٢، وج ٦ ص ١٨٢.

(٤٢) عوالى الالائى العزيزية ١: ١١.

(٤٣) بحار الأنوار ١٠٥: ٧٢.

(٤٤) رجال ابن داود: ١٣٠.

(٤٥) مجمع الآداب ٢: ٤٤٢.

(٤٦) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ج ١٦ ص ١٥٩، وج ١٤ ص ٢٣٣.

(٤٧) وردت مقاطع من هذه الإجازة في ضمن الإجازة الكبيرة التي كتبها صاحب المعالم للسيد نجم الدين بن محمد الحسيني. راجع: بحار الأنوار ١٠٦: ١٣ - ١٤.

(٤٨) أمل الآمل ٢: ١٧٩.

(٤٩) بحار الأنوار ١٠٦: ١٣.

(٥٠) رياض العلماء ٤: ٧٣.

(٥١) لولوة البحرين في الإجازة لقرتي العين: ٢٤٧.

وكتاب (السلافة البهية في الترجمة الميسمية) الذي نقل عنه هنا مطبوع في ضمن كشكول البحرياني،
لاحظ: (كشكول البحرياني ١: ٤٧).

(٥٢) لولوة البحرين في الإجازة لقرتي العين: ٢٤٥، وانظر: بحار الأنوار ١٠٤: ٦٢.

(٥٣) بحار الأنوار ١٠٤: ٦٣.

(٥٤) وهو غير صفي الدين ابن الأعسر الذي سأطى الحديث عنه وعن ضيافته للشيخ ميثم البحرياني.

(٥٥) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٤: ٤٥٠.

(٥٦) بحار الأنوار ١٠٤: ١٧٢.

(٥٧) روضات الجنات ٧: ٢٢١.

(٥٨) لاحظ لولوة البحرين: ٢٢٧ و ٢٦١ و ٢٦٥.

(٥٩) انظر المقدمة التي كتبها الدكتور محمد هادي الأميني لكتاب (اختيار مصباح السالكين)، حيث ذكر الشيخ سعيد الدين يوسف بن علي الحلي من ضمن تلامذة الشيخ ميشم، كما في ص ١٨، ثم عاد في هامش ص ٢٣ فأكده ادعائه بأن الذي يروي عن الشيخ ميشم هو والد العلامة يوسف، لا العلامة الحسن.

راجع: اختيار مصباح السالكين.

(٦٠) بحار الأنوار ١٠٥: ٩٨.

(٦١) ذكرته أكثر المعاجم، انظر: الذريعة إلى تصنیف الشیعه ١٤: ١٤٩.

(٦٢) ذكرته أكثر المعاجم، انظر: الذريعة إلى تصنیف الشیعه ١٤: ١٤٩.

(٦٣) أمل الآمل ٢: ٣٣٢.

(٦٤) السلافة البهية في الترجمة الميمية، مطبوع ضمن كشكول البحرياني ١: ٤٥.

(٦٥) لاحظ ما ذكره الشيخ آقا بزرگ الطهراني في الذريعة ١٤: ١٥٠.

(٦٦) أمل الآمل ٢: ٣٣٢.

(٦٧) الذريعة إلى تصنیف الشیعه ١٤: ٤١، والذريعة ٢٣: ١٦٨.

(٦٨) الذريعة إلى تصنیف الشیعه ٣: ٣٥٢.

(٦٩) أصول البلاغة: ٩.

(٧٠) أصول البلاغة: ١٠.

(٧١) أصول البلاغة: ٧٨.

(٧٢) الذريعة إلى تصنیف الشیعه ٣: ٣٦٠.

(٧٣) ستأتي ترجمة هذا الشخص عند الحديث عن علاقات الشيخ ميشم بشخصيات المجتمع.

(٧٤) الذريعة إلى تصنیف الشیعه ١٨: ١٠٨.

(٧٥) الذريعة إلى تصنیف الشیعه ١٧: ١٧٩.

(٧٦) أعيان الشیعه ٧: ١٤٧.

(٧٧) قواعد المرام في علم الكلام: ١٥.

(٧٨) مجمع البحرين ٤: ١٧١.

- (٧٩) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١: ١٤.
- (٨٠) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٨: ٧٧.
- (٨١) هدية العارفين ٢: ٤٨٦.
- (٨٢) ذكره في كتاب (مشايخ الشيعة) الذي لا زال مخطوطاً، ولدينا نسخة مصورة منه.
- (٨٣) مجمع البحرين ٤: ١٧١.
- (٨٤) لؤلؤة البحرين في الإجازة لقرتي العين: ٢٦٠.
- (٨٥) إيضاح المكنون ١: ٧٢.
- (٨٦) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢: ٣٢.
- (٨٧) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١٦: ٢٤.
- (٨٨) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢: ٣٣٨.
- (٨٩) أنوار البدرين: ٦٤. وهذه الرسالة التي ألفها الماحوزي غير كتاب (فهرست علماء البحرين) وغير (جواهر البحرين)، وقد نقل أكثرها الشيخ علي البلادي في كتاب أنوار البدرين، وقد حفقت الكلام حولها عندما حفقت كتاب الفهرست في سنة ١٤٢١هـ، لاحظ النسخة المحققة من كتاب (فهرست علماء البحرين: ٣٥).
- (٩٠) إيضاح المكنون ١: ١٦٤.
- (٩١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٣: ٣٧.
- (٩٢) السلافة البهية في الترجمة الميسمية المطبوع في ضمن كشکول المحدث البحرياني ١: ٤٢.
- (٩٣) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢١: ٢٣٠.
- (٩٤) السلافة البهية في الترجمة الميسمية المطبوع في ضمن كشکول المحدث البحرياني ١: ٤٥.
- (٩٥) كشف الحجب والأستار عن أسماء الكتب والأسفار: ٢٩١.
- (٩٦) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢٥: ٦١.
- (٩٧) أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والإحساء والبحرين: ٦٦.
- (٩٨) أعيان الشيعة ١٠: ١٩٨.
- (٩٩) انظر أمل الآمل ٢: ٢٩٩ و ٣٣٢، وانظر: كشف الحجب والأستار: ٣٣٥.

- (١٠٠) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٢: ٢٨.
- (١٠١) أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والإحساء والبحرين: ٦١.
- (١٠٢) لؤلؤة البحرين في الإجازة لقرتي العين: ٢٦٤.
- (١٠٣) انظر: الكنى والألقاب: ٢: ٥٩٥، وخاتمة المستدرك: ٤١٢.
- والذرية: ١٣: ٢٨٧، وأعيان الشيعة: ٣: ٤٣، وجواهر البحرين للماحوزي: ٩٢.
- (١٠٤) أخذت صورة من هذا الكتاب من مكتبة مركز إحياء التراث الإسلامي، الذي يرأسه السيد أحمد الحسيني في مدينة قم، وهو في قسم النسخ المصورة، ورقم النسخة ١٦/٨٨٨.
- (١٠٥) فوائد الأسفار في وصف مخطوطات علماء البحرين الأبرار: ٥٦.
- (١٠٦) فوائد الأسفار في وصف مخطوطات علماء البحرين الأبرار: ١٢٧.
- (١٠٧) انظر: هداية العارفين: ٢، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٥٥٩، والوافي بالوفيات: ١١: ٣٢٢.
- (١٠٨) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٢: ٩٨.
- (١٠٩) انظر: (السلافة البهية في الترجمة الميشمية) المطبوع في ضمن كشكول البحرياني: ٤٥.
- (١١٠) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٣: ٩١.
- (١١١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٥: ٢٦٢.
- (١١٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٢٠: ٢٩٧.
- (١١٣) مراسلات علماء البحرين: ٤٣.
- (١١٤) ذكر ذلك في كتاب (مشايخ الشيعة) الذي لا زال مخطوطاً، ولدينا نسخة مصورة منه.
- (١١٥) ذكر ذلك في كتاب (مشايخ الشيعة) الذي لا زال مخطوطاً، وعندنا نسخة مصورة منه.
- (١١٦) مجمع البحرين: ٤: ١٧١.
- (١١٧) بحار الأنوار: ١: ١٩.
- (١١٨) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٢: ٢٨.
- (١١٩) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٤: ٢٤.

ضبط تاريخ واقعة الطاف

محمد علي العربي

ذكر بعض الإخوة حَفَظَهُ اللَّهُ أَنَّهُ حَوْلَ تَارِيخَ وَاقْعَدَ الطَّفَ من تاريخها الهجري القمري إلى التاريخ الميلادي، فتبين أنها تقع في فصل الشتاء، وعليه، فلا يتصور أن يكون الحر شديداً والعطش كذلك، مع أن ما بأيدينا من مرويات ونقوّلات تؤكّد وقوعها في حر وعطش شديدين!

ومثله في ذلك ما ذكر في إحدى المنشورات التخصصية في التحقيق التاريخي باللغة الفارسية من تكذيب المروي متواتراً عن العطش الشديد والحرج الواقع على الإمام الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ. وقد تصدى له جماعةٌ - مشكورين - بالجواب، إلا أنهم اقتصروا على القرائن التاريخية، وبعض الأخبار المتواترة - معنى أو إجمالاً - المفيدة للتبعد بصحة النقل ووقوع الحر و العطش في تلك الواقعة الأليمة.

أقول وبه نستعين:

قد قمت بمراجعة بعض برامج التحويل التي تعتمد على المعادلات المخصوصة المذكورة في بعض الكتب كالمنجد، فتبين أن كلامه حَفَظَهُ اللَّهُ أَنَّهُ خَرِيفاً غير صحيح؛ فإن العاشر من شهر محرم عام واحد وستين، يعادل اليوم التاسع من الشهر العاشر لعام ٦٨٠ من الميلاد (٩-٦٨٠ م)، وهو آخر أشهر الحر في تلك النواحي، رغم كونه خريفاً بحسب الفصول الأربع، هذا.

أما لو كان حسابنا بحسب ما اشتهر من أن التاريخ الميلادي قد تم اعتبار أربع سنين زيادة على عدده، وكانت واقعة الطف من أحداث سنة ٦٨٤ لليوم والشهر المذكورين (١٠-٩ ٦٨٤). لكن هذا التاريخ - الميلادي - لا يطابق تاريخ الواقعة بحسب التاريخ الهجري القمري؛ لأنها ستكون - على هذا - في الرابع والعشرين من شهر صفر لسنة خمس وستين للهجرة الشريفة (٢٤- صفر - ٦٥ هـ) - على مهاجرها وآلها آلاف التحية والسلام - ولا يمكن قبوله؛ لمعارضتها مع تاريخها القطعي وهو العاشر من محرم الحرام.

إلا أنه يمكن - مع الاعتماد على هذه الفرضية - تصحيح وتطبيق التاريحين، ليتطابق تاريخاً الواقعه يوماً وشهراً وسنةً، لا بما ذكرنا أولاً - من وقوعها في الشهر العاشر الميلادي من سنة ٦٨٠م وهو آخر أشهر الحر في تلك النواحي - بل بمعونة ما ذكره صاحب كتاب (The Anglo-Saxon Chronicle)، الذي يؤرخ أحداث الأمة الإنجليزية منذ عهد المسيح عليه السلام، ويدرك ضمنها أحداث سنة ٦٨٥م، فيقول:

٦٨٥:(In this year in Britain it rained blood, and milk and butter were turned into blood) ^(١).

فيكون العاشر من شهر محرم واقعاً في سنة ٦١ للهجرة الشريفة - بعد طرح أربع سنوات من التاريخ الميلادي المذكور في الكتاب حسب ما فرض - الموافق للسادس عشر من الشهر الثامن لسنة ٦٨٥م (١٦-٨ ٦٨٥م) بعد التحويل وإضافة الناقص من السنوات، وهو أشد أشهر الصيف حرارةً. فحفظنا تاريخ الواقعة

المنصوص عليه عندنا، موافقةً لما هو المشهور من زيادة في السنة الميلادية، ومؤيداً لأنباء العطش والحر الشديدين في صيف سنة ٦١ لهجرة النبي ﷺ، وقتل الله من قتلهم، وجعل لنا سبيلاً لنيل مرضاتهم والطلب بتأثرهم، مع الحاضر المستور والعلم المشهور، والنور المنشور على شاهق الطور، برهان الخالق وصاحب الحقائق، روحى وأرواح العالمين له ولآلته الفداء.

ثمرة أخرى: استحباب إقامة مآتم الحزن بحسب التواريخ الأخرى.

وهل تستحبب إقامة المآتم في هذا اليوم من السنة الميلادية أو غيرها من السنين والتاريخ المتبعة بين الناس، أو يحرم إقامتها؛ للبدعة والتشريع المحرم، أو هو مباح دون تحريم ولا كراهة؟ وجوه، المتعين منها الأول.

فإن إقامة مجالس البكاء للبكاء على مصابه عاشلية لا يخلو عن ثلاثة حالات:

١) إما أن يقترن البكاء عليه عاشلية مع نية كونه وارداً بالخصوص في هذا التاريخ، ليلحقه حكمه من الرجحان والاستحباب.

٢) أو يقترن مع نية عموم الرجحان واستحباب البكاء عند مرور ذكره في أي

وقت يرتبط به عاشلية، لا كونه منصوصاً بعينه في تاريخ.

٣) أو لا يقترن بأحد الأمرين، بل يقع مطلقاً لم يلحظ فيه الورود أو عدمه.

أما الأول: - وهو إقامة العزاء بنية وروده بالخصوص - فلا شك في كونه إدخالاً في الدين ما ليس له مما هو ثابت.

ويدل عليه المؤوثق عن الرّضا عاشلية في حديث: (فَعَلَى مِثْلِ الْحُسَيْنِ فَلَيْبِكِ

الْبَأْكُونَ فِإِنَّ الْبُكَاءَ عَلَيْهِ يَحْطُطُ الذُّنُوبَ الْعَظَامَ، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ: كَانَ أَبِي عَلَيْهِ إِذَا دَخَلَ شَهْرَ الْمُحَرَّمَ لَا يُرَى ضَاحِكًا وَ كَانَتِ الْكَابَةُ تَغْلِبُ عَلَيْهِ حَتَّى تَمْضِي عَشْرَةُ أَيَّامٍ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْعَاشِرِ كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمًا مُصِيبَتِهِ وَحُزْنِهِ وَبُكَائِهِ وَيَقُولُ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ الْحُسَينُ عَلَيْهِ). (٢). إِنْ فَعَالَهُمْ عَلَيْهِ ظَاهِرٌ فِي الرِّجْهَانِ وَالْاسْتِحْبَابِ الشَّرِعيِّ، وَإِنْ قِيلَ إِنْ فَعَالَهُمْ لَا يَدْلِي عَلَى الْوَجْبِ أَوِ الْاسْتِحْبَابِ فِي نَفْسِهِ، إِلَّا أَنْ ظَاهِرُ أَفْعَالِهِمْ عَلَيْهِ فِي خَصُوصِ هَذِهِ الْمَوَارِدِ لَا خَلَافٌ فِي كُونِهَا ظَاهِرَةً فِي الْاسْتِحْبَابِ.

وَأَدَلُّ مِنْهُ مَا فِي كِتَابِ الْعُلُلِ وَالْمَجَالِسِ وَالْعَيْوَنِ مِنَ الْمَوْثِقِ بَابِ فَضَالِّ عَنْ أَيِّهِ عَنْ أَبِي الْحَسْنِ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: (مَنْ تَرَكَ السَّعْيَ فِي حَوَائِجِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ قَضَى اللَّهُ لَهُ حَوَائِجَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ كَانَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ يَوْمًا مُصِيبَتِهِ وَحُزْنِهِ وَبُكَائِهِ يَجْعَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ فَرَحَهِ وَسُرُورِهِ وَقَرَّتْ بِنَا فِي الْجَنَانِ عَيْنُهُ وَمَنْ سَمَّى يَوْمَ عَاشُورَاءَ يَوْمَ بَرَكَةً وَادَّخَرَ لِمَنْزِلَهِ فِيهِ شَيْئًا لَمْ يُبَارِكْ لَهُ فِيمَا ادَّخَرَ وَحُشِّرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ يَزِيدَ وَعُمَيْدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ وَعُمَرَ بْنِ سَعْدٍ لَعَنْهُمُ اللَّهُ إِلَى أَسْفَلِ دَرْكٍ مِنَ النَّارِ).

فَإِنَّهَا صَرِيقَةٌ فِي اسْتِحْبَابِ جَعْلِ يَوْمِ عَاشُورَاءِ يَوْمًا مُصِيبَةً وَحُزْنًا وَبُكَاءً. إِلَّا أَنْ يَقَالُ: أَنَّ اسْتِحْبَابَ مَنْصَبٍ عَلَى تَارِيخِ الْمُصِيبَةِ مَطْلُقًا بِأَيِّ عَامٍ شَائِعِ التَّدَاوِلِ، وَتَخْصِيصِهِ بِيَوْمِ عَاشُورَاءِ مِنَ الشَّهْرِ الْهَلَالِيِّ إِنَّمَا هُوَ لِغَلْبَةِ اسْتِعْمَالِهِ بَيْنِ الْمُتَخَاطِبِينَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، فَلَا مُوضِوعَيَّةُ لَهُ.

وهو غير سالم عن التأمل والرد؛ فإن قضية غلبة استعمال التاريخ الهلالي هو انصراف اللفظ له بالخصوص، بل لم يعهد منهم عليه التوصية بغيره من التواريХ، مع كثرة أصحابهم وتوزعهم في البلدان والأقطار الكثيرة، مع تعدد تاريخ السنة في كل قطر، وشیاع أكثر من تاريخ في بعضها كبلاد فارس والروم.

وأما الثاني: - وهو نية عموم الاستحباب عند مرور ذكره عليه في أي وقت وزمان وبأي تاريخ كان - فلا إشكال يعتريه، بل النصوص عليه واضحة ناصحة، وهي كثيرة متواترة، منها الصحيح المروي في قرب الإسناد وثواب الأعمال عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال للفضيل: (تجلسون وتحذرون؟ فقال: نعم. فقال: إن تلك المجالس أحبها فأحبوها أمرنا فرحم الله من أحيا أمرنا، يا فضيل من ذكرنا أو ذكرنا عنده ففاضت عيناه ولو مثل جناح الذباب غفر الله ذنبه ولو كانت مثل زبد البحر). وغيره كثير.

وعليه يصح بل يرجح ويستحب.

وأما الثالث: - وهو إيقاعه مطلقاً غير ملحوظ، بل مجردًا عن الاقتران بنية التاريخ المرتبط والمنسوب إليه عليه السلام - فلا إشكال كذلك في رجحانه، وإن كان ثوابه وكماله أقل من سابقه كما لا يخفى، إلا أنه خارج عن محل الكلام.

وجملة القول في أصل المسألة وفرعها:

إن تاريخ واقعة الطف هو العاشر من شهر محرم الحرام لعام ٦١هـ والموافق تقريباً للسادس عشر من الشهر الثامن لسنة ٦٨٥م (١٦-٨-٦٨٥)، وهو أشد أشهر

الصيف حرارةً، ولو سلم وقوعه في الشهر العاشر الميلادي، فهو كذلك من الشهور الحارة في تلك النواحي، وكلا الفرضين غير مكذبين لنصوص العطش في كربلاء، هذا أولاً.

وثانياً: إن من المستحب إقامة ما تم الحزن والبكاء على هذه المصيبة العظمى في كل آن وحين، وتزيد رجحانه عند ارتباط الذكرى أو التاريخ بصاحبها عليه السلام حتى لو كان بغير الأشهر الهلالية، كما الفرض وهو السادس عشر (متقدماً قليلاً أو متأخراً) من الشهر الثامن من السنة الميلادية الشمسية لكل عام، لكن بغير نية الصدور من الشارع الأقدس. ومن غير الجائز ظاهراً إقامتها بنية كونها - أي استحباب إقامتها - واردةً في تاريخها المحول من الهلالي إلى الشمسي أو غيره، بل هو تشريعٌ محرم، وعملٌ بخلاف ظاهر الأخبار، ملحقٌ بالابتداع، والله أعلم، وهو الموفق لكل خير والهادي للمختلف فيه بإذنه والحمد لله أولاً وأخيراً.

المواهش:

The Anglo-Saxon Chronicle p³⁵.(1)

وفاتنا أن نذكر أن المصادر التاريخية والأخبار عن المعصومين عليهما السلام قد أشارت إلى هذا المعنى، وأنه من خصائص هذا اليوم العظيم، وآثار الفاجعة على التكوين.

(2) الوسائل ج ١٤، ص ٥٠٥ ح ١٩٦٩٧.

(3) وسائل الشيعة ج ١٤، ص ٥٠١ ح ١٩٦٩١.

مَهَالِمُ النَّهْجَ

علي جعفر الماحوزي

بِمَثَابَةِ تَمَهِيدٍ:

إن مما ينبغي معرفته والوقوف على خباياه وأصوله بشكل متين وقوى هو فهم النهج والمسير المبارك الذي حدد الإمام الخميني حَفَظَ اللَّهُ عَنْهُ عِلْمَ الْأَوَّلِ عبر أصول ومعالم عَبَرَ عنها في خطاباته وبياناته وأفعاله وموافقه، وقد اختزل الإمام الخميني حَفَظَ اللَّهُ عَنْهُ عِلْمَ الْأَوَّلِ هذا النهج المبارك عبر نظرية ((ولاية الفقيه المطلقة)), ولا شك ولا ريب أن هذا النهج المبارك هو عبارة عن فهم سماحة الإمام لحركة الأئمة وأهل بيته النبوة - سلام الله عليهم أجمعين - في وسط الأفهام المتعددة في دائرة الفقهاء العظام - أعلى الله كلمتهم -، وكل ذلك عبر الأدوات المعرفية الأصيلة والمتعارفة، ومفردة ولاية الفقيه - التي يلورها الإمام في قالب نظري عبر بحثه القيم (الحكومة الإسلامية)، وأخرجها من بطون الكتب إلى أرض الواقع - هي عصارة جهد الفقهاء على طول عصر الغيبة، بل إنه كان يشكل حلم الأنبياء وآل خاتمتهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحلم كم ليس بقليل من الفقهاء، وإذا بالحلم يتحقق ويصبح حقيقة في إطار جمهورية إسلامية فتية.

ولاية الفقيه هي كما عبر عنها سماحة الإمام حَفَظَ اللَّهُ عَنْهُ عِلْمَ الْأَوَّلِ بأنها (من أعظم النعم الإلهية علينا في هذا العصر)، أو كما يعبر في موطن آخر بتعبير ملكوتني لطيف انساب على شفتيه الشريفتين بقوله (ولاية الفقيه هدية إلهية).

أهمية هذا البحث:

ويبقى أن لهذا النهج السياسي والفكري والأخلاقي - الذي يعبر عنه بـ (خط الإمام) أو (الإسلام المحمدى الأصيل) والذي هو نفس الإسلام وعین ما أراده أهل البيت بحسب فهم الإمام - أصول ومعالم ومرتكزات، وأهمية الاطلاع على هذه الأصول من باب (السائل على غير بصيرة لا تزيد كثرة المسير إلا بعداً) و(أول الطريق معرفته)، والإشارة هنا تأتي لبيان أهمية المعرفة، فبدون المعرفة لا يكون السلوك لأي طريق أو خط أيا كان، فكيف يمكن لمحبي سماحة الإمام عليه السلام الذين يمثلون السواد الأعظم من شيعة آل محمد عليه السلام افتقاء نهجه بدون المعرفة؟! والتي يفتقد لها للأسف الشديد كثير من خواص الأمة وعوامها من الذين أرادوا نهج الإمام بشكلٍ أو آخر بدون معرفة كافية فأخذتُم الطريق وأضاعتموه.

ويبقى أن لالتزام بهذا النهج درجات، فمنهم الملتزِم بالأحكام الولائية والأحكام السياسية والاجتماعية للولي القائد واللجوء إليه حال الخصومات، ومنهم - إضافةً لذلك - من يصل إلى أعلى مراتب الالتزام بهذا النهج، وهو الذوبان بكل طاقته ووجوده في شخص ومشروع الولي الفقيه القائد، كما أوصى بذلك الشهيد السيد محمد باقر الصدر حيث قال: (ذوبوا في الإمام الخميني كما ذاب هو في الإسلام)، والمتأمل في كلام السيد الشهيد يرى قمة الإخلاص في أنه دمجَ مشروعه وتلامذته وكل ما كان يملك في خدمة نهج الإمام، بل ولعل إبراز ما كان يتميز به السيد الشهيد هو هذا الإخلاص - بل قمة الإخلاص - حتى أنه لتكاد هذه الميزة تفوق نابغتيه وفكره العملاق، حتى لكان المرء يقف مبهوراً أمام قمة الإخلاص هذه أكثر مما يقف أمام تراث الشهيد الفكري والمعرفي وأن في ذلك درس وعبرة لكل

الحركات الإسلامية وأربابها من المصلحين ولكل الباحثين عن الحقيقة دون تعصب أو مواراة.

إن أهمية مثل هذا البحث - الذي يرمي إلى تسلط الضوء على أهم معالم وأصول نهج الإمام - تكون في أن تناهى ما أمكننا المجتمع الأجوف الناتج عن فقدان المعرفة بالإسلام والرؤية التوحيدية له ولنهج الإمام عليه السلام، إن أي مجتمع محب لنهج الإمام وهو في الآن نفسه لا يقوم على المعرفة - وعندما نقول هنا المعرفة فإننا نقصد جوهر المعرفة وكلياتها لا جزئياتها فقط - لا يمكن أن يكون مجتمعاً (ولائياً) ولا مجتمعاً (توحيدياً)؛ لأن الحب لوحده ليس كافياً إذا لم يقترن بالمعرفة، وأول من يطالب بالمعرفة خواص الأمة قبل عوامها لكي يقوم الخواص بتصدير هذه المعرفة فيكون في النتيجة (مجتمعاً ولائياً) على كافة الأصعدة السياسية والاجتماعية منها وغيرها، ولا يخفى أن موضوع هذا البحث يخاطب الباحثين عن نهج الإمام المتعطشين لمعينه، حيث إن غير المسلم بصحة هذا النهج وضرورة اتباعه يحتاج إلى مقدمات عدة، وهذا البحث يتجاوز تلك المقدمات ولغة الاستدلال، فالمحاطب إذن هم محبو الإمام والباحثون عن نهجه المتمثل في الإسلام المحمدي الأصيل.

إذن فلنوعل قليلاً ولنقترب من هذه الأصول ولنستعرض بعضها معتمدين بعون الله تعالى على كلمات وخطابات الإمام الراحل عليه السلام وتلميذه القيم على نهجه الإمام الخامنئي (حفظه المولى) فإليها.

المعلم الأول:

التكليف الشرعي محور العمل وداعمه:

ويتضح ذلك من كلمات سماحة الإمام حَفَظَهُ اللَّهُ عَنْهُ وموافقه التي كان يقول فيها: (نحن نعمل من أجل أداء التكليف الشرعي ولسنا معنيين بتحقيق النصر)، ولا يعني ذلك أن الإمام لم يكن يريد النصر أو أنه لا يتمناه، أو أنه حَفَظَهُ اللَّهُ عَنْهُ لم يكن يخطط ويستعين بالإدارة ونظم الأمر كما يتصور البعض، وإنما ما أراده الإمام ورمى إليه هو أن الهدف من كل تحرّكنا وثورتنا ليس النصر، وأن العمل من عدمه ليس متوقفاً على النتيجة، بل إن العمل كل العمل كان متوقفاً على تعين التكليف لا غير، ولو (بلغ ما بلغ) بتعبير الإمام.

كان منطق الإمام وموافقه تجسد الآية الشريفة القائلة ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، فالعمل بالتكليف هو الغاية لا النصر، وغاية الغاية هو الله جل شأنه، حتى أن الإمام كان يؤكّد تكراراً ومراراً على أننا ليس من المهم أن ندرك النصر، فلتدرك الأجيال القادمة النصر، فمتى ما شاء الله أن ينزل نصره على عبيده المؤمنين أنزله، ومما يذكر هنا أنّ أداء التكليف الشرعي لا يخلو من الصعاب والنكبات الظاهرة المادية، وبالتالي فإنّ أداء التكليف يتطلب الحزم والثبات الخالي من التردد على الإطلاق، وهذا ما كان يتسم به الإمام وحده في مسيرة الثورة، وقلة قليلة معه ثبتت بثباته، حتى أن بعض المقربين من الإمام كثيراً ما كانوا يشكّلون على الإمام أو يضغطون عليه أن خفف من وطأة الثورة وحدتها، وأن لا بد من المسايسة والمسايرة بعض الحين، لكن الإمام كان حازماً وكان يجيبهم دائماً أن مهمتنا هي

الاستمرار في أداء التكليف الشرعي، بل كان يقول أحياناً: (إنني سأستمر بالعمل بالتكليف ولو بقيت وحدي دون ناصر).

وقد يأخذ التكليف الشرعي عدة أشكال، وتشخيص ذلك راجع[ُ] للولي الفقيه القائد، فتارةً يأخذ شكل المواجهة وال الحرب كما كان في زمن الحرب المفروضة على الجمهورية الإسلامية، وتارةً يأخذ شكل الصلح وتجرع مراته وغضته كما كان في قبول الإمام بالقرار القاضي بإيقاف إطلاق النار وتوقف الحرب.

مصدر تحديد التكليف الشرعي:

والعمل بالتكليف والأخذ به من أهم أصول وأسس خط الإمام عليه السلام، بل هو أصل الأسس، فلا بد من رعاية الدقة فيأخذ التكليف الشرعي من قناته المقررة المتمثلة في الولي الفقيه، وهو في الوقت الحالي سماحة الإمام الخامنئي (دام عزه)، حيث تشخيص التكليف الشرعي بيده في شتى القضايا السياسية والاجتماعية، سواء كان ذلك بالأصلية أم بالتفويض، وأما ما يرتبط بالمسائل الفردية المحسنة فهذا يرجع إلى المرجع الذي يرجع إليه المكلف في حال تقليده غير الولي، فكل مكلف يرجع إلى من يقلد ليأخذ منه تكليفه فيما يرتبط بالمسائل الفردية.

المعلم الثاني:

الامتزاج بين السياسة والعرفان:

الارتباط أو الامتزاج المشار إليه لا يقبل الانفكاك بأي حال من الأحوال في فكر سماحة الإمام وممارسته السياسية، بل في كل مواقفه، وحقيقة هذا البعد لا يقف عليها إلا المتبع لموافق الإمام وخطاباته بحيث لا يكاد يخلو خطاب من

خطابات الإمام السياسية من النكبات العرفانية، بل إن خطابات الإمام ومجمل مواقفه قائمة على الرؤية الكونية المبنية والمتأثرة بالمدرسة العرفانية التي ينتمي إليها الإمام، والتي ينتمي إليها أيضاً الخُلُص من تلامذته ممن فهموه بعمق وبصيرة كالشهيد مطهرى فَاتِحٌ.

إن الامتزاج في منهج الإمام بين السياسة والأخلاق والعرفان هو الباعث على الثبات والسداد والحكمة في اتخاذ المواقف وإدارة الثورة والبلاد والمجتمع، وبدونه تضحي السياسة - إلى حد ما - غير موفقة وغير مسددة، وأدنى تأمل في مسيرة الثورة ونبي الحرب المفروضة على الجمهورية الإسلامية وبقاء الجمهورية الإسلامية إلى يومنا هذا يلمس بوضوح مدى التوفيق والتسييد الذي صاحب الإمام خَلِيلَ اللَّهِ عَنْهُ ولا زال يصاحب خليفته بالحق الإمام الخامنئي (دام عزه)، وأيضاً التوفيق والتسييد الذي صاحب حركة حزب الله لبنان، حيث نرى أن مثل هذا التوفيق والتسييد مما تفتقر إليه الحركات الإسلامية الأخرى، وهذا يدعوه كل الحركات الإسلامية إلى الالتصاق والذوبان بنهج الإمام في هذا بعد وغيره لدرك بعدها سر التوفيق والتسييد فيصاحبها بعدها في كل شؤونها.

وكنموذج للرؤية السديدة والبصيرة النافذة لسماعة الإمام خَلِيلَ اللَّهِ عَنْهُ نقول: إننا كثيراً ما نراه يؤكّد ويكرّر عبارته المعروفة في شتى المواقف السياسية والاجتماعية فيقول: (الخير فيما وقع)، وكان كثيراً ما يهتز ويرتكب حواريه وتلامذته إلا الإمام، فإنه لم يكن يكتفي بالثبات فقط، ولم يكن يكتفي كونه ج بلاً شامخاً في وسط العواصف السياسية فقط، بل كان يردد ويقول بكل طمأنينة وبصيرة نافذة ونظرة ملوكية يقتبسها من نور الله تعالى: (الخير فيما وقع)، وهذه العبارة بعد التأمل فيها لا

تعني التفويض - أي تفويض الأمر لله تعالى والتوكل عليه والرضا بقضاءه - فقط، ولا تعني الوثوق بالخير المنظور مستقبلاً من هذه الواقعة أو تلك فقط، بل مما تعنيه أيضاً أن الإمام كان يرى عين هذا الخير ونفس هذا الخير ويدركه وينظر إليه كما ينظر أحدنا إلى الشمس في رابعة النهار، ومما تعنيه أيضاً هذه العبارة أن الإمام كان يرى كل شيء وكل ما في الوجود خيراً حتى جهنم، وهذا كله أخذه من المدرسة العرفانية التي ينتمي إليها الإمام.

ومن ثمار هذا المزج بين السياسة والعرفان أن الإمام حَفَظَهُ اللَّهُ عَنْهُ قد فتح فتحاً مبيناً في هذا المجال لم يسبقه إليه أحد، وذلك بأن جعل طريق العرفان في متناول الجميع من عشاقه ومحبيه كما يشير إلى ذلك الفقيه المتأله عبد الله الجوادى الأملى، فقبل مجىء الإمام كان العرفان حكراً على فئة معينة.

وقد تجلت ثمار هذا الفتح المبين للإمام الراحل بالشهداء و كانوا من أبرز مصاديقه، فالشهداء هم العرفاء، فلا يكون الشهيد إلا عارفاً، حتى أن الله تعالى يرزقهم مقام الشفاعة بعد الأنبياء والأولياء، وللإمام كلمات كثيرة في حق الشهداء على أنهم هم العرفاء الحقيقيون وأنهم لا ينالون مرتبة الشهادة إلا وكونهم عرفاء قد عرروا الله حق معرفته، ويكتفي التأمل في وصايا وكلمات الشهداء في سنوات الدفاع المقدس - مثال ذلك وصية الشهيد جمران - لنرى كيف أنهم حيثما مزجوا السياسة بالعرفان، وكانت الشمرة هي لقاء الله تعالى في الدنيا قبل الآخرة، ذلك لم يكن ليحصل لو لا تأثرهم بالإمام وانتمائهم لنهجه المبارك، فلنقتصر إذن آثارهم علينا نبلغ

ما بَلَغُوا.

ويقى أن نشير في نهاية بيان هذا الركن الوثيق من أركان نهج الإمام السياسي إلى أن الإمام عند اختياره وانتخابه لأستاذه في العرفان فإنه اختار عارفاً شجاعاً يمارس السياسة بكل جرأة، فكان عرفانه خليفة عرفاً متحركاً ممزوجاً بالسياسة. وهذا ما وفقت إليه، وسوف يلي ذلك بإذن الله تعالى الجزء الآخر من هذا البحث إذا ما وفقني الله سبحانه.

نَحْنُ نَعْمَلُ مِنْ أَجْلِ أَدَاءِ
الْتَّكْلِيفِ الشَّرِعيِّ وَلَسْنَا
مَعْنِيَّينَ بِتَحْقيقِ النَّصْرِ .

الإمام الخميني قده

اللَّهُر.. لِقَيْقَتِهِ وَلِثَرْعَيْتِهِ

(القسم الأول)

قصي الشيخ علي العربي

﴿ هل ذُكِر السحر في القرآن الكريم؟

❖ نعم، ذُكِر السحر في الآيات القرآنية الشريفة، منها: قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السُّحْرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِيَابَلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بَهِ بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارَّينَ بَهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضْرُبُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لِمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١)

ومنها قوله تعالى:

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِي وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرْهُبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسُحْرٍ عَظِيمٍ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنَّ الْقَوْمَ عَصَاكَ إِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغَلَبُوا هُنَالِكَ وَأَنْقَلَبُوا صَاغِرِينَ وَأَلْقَيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾^(٢)

ومنها قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ

لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسْخَرُهُنَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ، قَالُوا أَجْئَنَا لِنَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا
عَلَيْهِ آبَاءِنَا وَتَكُونُ لَكُمَا الْكُبْرَيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ، وَقَالَ فَرْعَوْنُ
إِنْ تُؤْنِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ، فَلَمَّا جَاءَ السَّاحِرَةَ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَقْتُلُوْمَا أَنْتُمْ مُلْفُونَ
فَلَمَّا أَقْتُلُوْمَا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّاحِرُ إِنَّ اللَّهَ سَيْطِنُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ
الْمُفْسِدِينَ^(٣)

ومنها قوله تعالى:

﴿وَإِنْ يَكُادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُرْلَقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ
لَمَجْنُونٌ، وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(٤)

❖ ما هي حقيقة السحر؟ أي: ما معنى السحر؟

❖ يمكن القول بالنسبة لمعنى السحر: إنه نوع من الأعمال الخارقة للعادة، أي:
إن أساس السحر هو: التأثير في الخيال في الطرف الثاني لكي يزعم شيئاً معيناً غير
الحقيقة.

فإذن نفهم من معنى السحر أنه: يؤثر في وجود الإنسان وهو أحياناً نوع من
المهارة والخفة في الحركة وإيهام للأنظار، كما أنه أحياناً ذو طابع نفسي خيالي.
وبتعبير آخر لتوضيح حقيقة السحر، نقول باختصار: إن السحر في الأصل يعني
كل عمل وكل شيء يكون مأخذته خفياً، إلا أنه يقال في التعبير المألوف للأعمال
الخارقة للعادة التي تؤدي باستعمال الوسائل المختلفة، فتسمى سحراً أيضاً.
فأحياناً يتخذ جانب الحيلة والمكر وخداع النظر والشعوذة، وأحياناً يستفاد من
عوامل التلقين والإحياء.
وأحياناً يستفاد من خواص الأجسام والمواد الفيزيائية والكيميائية المجهولة.

وكل هذه الأمور جمعت واندرجت في ذلك المفهوم اللغوي الجامع.

إننا نواجه على طول التاريخ قصصاً كثيرةً حول السحر والسحرة، وفي عصرنا الحاضر فإن الذين يقومون بهذه الأعمال ليسوا بالقليلين، إلا أن كثيراً من خواص الأجسام وال موجودات التي كانت خافيةً على الناس فيما مضى قد اتضحت في زماننا الحاضر، بل كتبوا كتاباً في مجال آثار الموجودات المختلفة العجيبة، فكشف كثيراً من سحر الساحرين وسلبته من أيديهم.

فمثلاً إننا نعرف في علم الكيمياء الحديثة أجساماً كثيرةً وزنها أخف من الهواء، وإذا ما وضعت داخل جسم فإن الممكن أن يتحرك ذلك الجسم، ولا يتعجب من ذلك أحد، فحتى الكثير من وسائل لعب الأطفال اليوم ربما كانت تبدو سحراً في الماضي!

اليوم يعرضون في السيرك فعاليات تشبه سحر السحرة الماضين بالاستفادة من كيفية الإضاءة وتوليد النور، والمرآيا، وخواص الأجسام الفيزيائية والكيميائية، ويحدثون مشاهد غريبة وعجيبة بحيث يفتح المترجون أفواههم أحياناً من التعجب.

طبعاً، إن أعمال المرتاضين الخارقة للعادة لها قصة أخرى عجيبة جداً. وعلى كل حال، فإنه لا مجال لإنكار وجود السحر، أو اعتباره خرافات، سواء في الأزمنة الماضية أو هذه الأيام.

والملاحظة التي تستحق الانتباه، هي أن السحر ممنوع في الإسلام، ويعد من الذنوب الكبيرة، لأنه في كثير من الأحيان سبب لضلال الناس وتحريف الحقائق وتزلزل عقائد السذج، ومن الطبيعي أن لهذا الحكم الإسلامي - ككثير من الأحكام

الأخرى - موارد استثناء، ومن جملتها تعلم السحر لإبطال ادعاء المدعين للنبوة، أو لإزالة أثره من رأوا الضرر والأذى. وقد تحدثنا حول هذه المسألة في ذيل الآيتين الكريمتين (١٠٣-١٠٢) من سورة البقرة فيما سبق.

❖ ما هو معنى السحر في اللغة؟

❖ للسحر معنيان في اللغة:

الأول: الخداع والشعوذة والحركة الماهرة.

الثاني: كل ما لطف ودقّ.

❖ ماذا يستنتج للمتتبع من دراسة أكثر من خمسين موضعًا من مواضع ذكر الكلمة (سحر) في القرآن الكريم؟

❖ يستنتج من ذلك: أن السحر ينقسم في رأي القرآن الكريم على قسمين أو أكثر:

١- استخدام الخداع والشعبنة وخفة اليد، وليس له حقيقة كما جاء في قوله

تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعَصِيَّهُمْ يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سَحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾.^(٥)

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْمَنَ النَّاسَ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسَحْرٍ عَظِيمٍ﴾^(٦)، ويستفاد من هذه الآيات أن السحر ليس له حقيقة موضوعية حتى يمكنه التأثير في الأشياء، بل هو خفة حركة اليد ونوع من خداع البصر فيظهر ما هو خلاف الواقع.

أو بتعبير أجل: إن هذا السحر الخيالي قد يكون عن طريق بعض أنواع الشعوذة لخداع الناس، فيحدثنا التاريخ أن بعض ألوان السحر كانت تمارس عن طريق الاستفادة من خواص المواد الكيميائية والفيزيائية غير المعروفة لكل الناس في

سبيل إقناع الآخرين بغير الحقيقة، مثل ما فعله سحرة فرعون حيث وضعوا الزئبق في أجسام لينة تشبه العصي كالحبال ثم القوها، فكانت تتحرك بتأثير حرارة الشمس أو أية حرارة أخرى، وتحتاج للمشاهد أنها حية، وهذا اللون من السحر ليس بقليل في عصرنا الراهن.

٢- يستفاد من آيات أخرى أن السحر أثراً واقعياً، كقوله تعالى: ﴿فَيَعْلَمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفْرِقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ مَا يَضْرُبُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾.^(٧)

٣- إن السحر قد يكون عن طريق غسيل الدماغ الذي يستخدمه العلم الحديث، أو عن طريق الدعایات الباطلة.

﴿هل إن للسحر تأثيراً نفسياً فقط، أم يتعدى ذلك إلى الجسم أيضاً؟﴾

❖ طبعاً لم تشر الآيات القرآنية الشريفة لذلك، ويعتقد بعض الناس أن هذا التأثير النفسي لا غير^(٨). ويقول صاحب الجوهر^{رحمه الله} حول تأثير السحر: (بل إن تأثيره أمر وجداني شائع بين الخلق قديماً وحديثاً)^(٩).

ويقول العالمة المجلسي^{رحمه الله}: (الذي ظهر لنا مما مضى من الآيات والأخبار والآثار، أن للسحر تأثيراً ما في بعض الأشخاص والأبدان كإحداث حب أوبغض أو هم أو فرح، وأما تأثيره في إحياء شخص أو قلب حقيقة إلى أخرى كجعل الإنسان بهيمة، فلا ريب في نفيهما وأنهما من المعجزات).^(١٠)

﴿متى ظهر السحر بين الناس؟ أي: هل للسحر تاريخ؟﴾

❖ من المواضيع التي تذكر في مسألة السحر، هو تاريخ ظهور السحر بين الناس، رغم أن القرآن لم يكن بصدده بيان ذلك، إلا أنه يكفياناً أن جذوره ضاربة

في أعماق التاريخ، ولكن بداياته وتطوراته التاريخية غير جلية لنا، بل يلفها الغموض ولا يمكن تشخيص أول من استعمل السحر.

إلا أنه يمكننا الاستفادة - كما يرى البعض - من الآية ١٠٢ من سورة البقرة أن السحر كان موجوداً على عهد النبي سليمان عليه السلام، ويستخدم من آيات أخرى أن السحر كان رائجاً رواجاً كثيراً على عهد النبي موسى عليه السلام، ﴿وَقَالَ فَرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ، فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةَ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ (١١).

بل يستفاد من القرآن الكريم أن السحر كان موجوداً في زمن جميع الأنبياء من دون استثناء، ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْحُونٌ﴾ (١٢).

❖ ما هو رأي فقهاء الإسلام في ممارسة السحر؟

❖ أجمع فقهاء الإسلام على حرمة تعلم السحر وممارسته، ولقارئي الكريم بعض الأقوال:

أولاً: ذكر الإمام الخميني (قدس الله عز وجل عنه): (عمل السحر وتعلمه وتعلمته والتکسب به حرام، والمراد به ما يعمل به من كتابة أو تكلم أو ذخنه أو تصوير أو نفث أو عقد ونحو ذلك يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله فيؤثر في إحضاره أو إنامته أو إغماهه أو تحبيبه أو تغييضه) (١٣).

ثانياً: ذكر صاحب الجواهر (قدس الله عز وجل عنه): (ومنه - أي المحرمات لنفسها - تعلم شيء من السحر للعمل وتعلميته كذلك وعمله، بلا خلاف أجده فيه - في الجملة - بين المسلمين فضلاً عن غيرهم، بل هو من الضروريات التي يدخل منكرها في سبيل الكافرين، والكتاب والسنّة قد تطابقا على حرمتها وأنه من عمل المفسدين الذين لا

يفلحون...)(١٤).

ثالثاً: ذكر الشهيد الثاني فَلَيْلَةَ الْمَحْرُومِ: (السحر هو كلام أو كتابة أو رقية أو أقسام وغرائم ونحوها يحدث بسببها ضرر على الغير،... ومنه استخدام الملائكة والجن واستنزال الشياطين في كشف الغائبات وعلاج المصاب،... فتعلم ذلك وشاهده وعمله وتعلمه كله حرام والتكسب به سحت)(١٥).

رابعاً: قال الإمام الخامنئي (دامت بركاته):(يحرم تعليم وتعلم السحر، إلا إذا كان لغرض عقلائي مشروع وكان بالطرق المحللة شرعاً).

خامساً: (تحضير الأرواح والملائكة والجن - على فرض صدقه وصحته - يختلف حكمه باختلاف الموارد والوسائل والأغراض)(١٦).

سادساً: (لا مانع من تعليم وتعلم التنويم المغناطيسي إذا كان لغرض عقلائي، كما لا مانع من استخدامه إذا كان برضى من يُراد تنويمه ولم يكن فيه ضرر معننى به وكان بالطرق المحللة شرعاً)(١٧).

﴿ هل يجوز تعلم السحر لإبطال دفع سحر السحر؟ ﴾

❖ طبعاً قلنا - كما تقدم - إن الفقهاء قد أجمعوا على حرمة تعلم السحر وممارسته، ولكن هل يجوز دفع السحر بالسحر، وكذا تعلمه لذلك؟

يقول الفقهاء: من أجل دفع كيد سحر السحرة ودفع إغواء الناس يجوز تعلم السحر لإبطال سحر السحرة، بل يرتفع الجواز أحياناً إلى حد الوجوب الكفائي لإحباط كيد الكائدين والحيلولة دون نزول الأذى بالناس من قبل المحتالين.

وعلى كل حال، يدل على جوازه ما ورد في قصة هاروت وماروت في القرآن الكريم، كما في الآية الكريمة الأولى في السؤال الأول، وهي الآية (١٠١) من

سورة البقرة.

❖ ما هو التوضيح التفسيري للآية الأولى في جواب السؤال الأول من البحث
- كما يرى المفسرون -؟

❖ بعد مرحلة القوة جاءت مرحلة الضعف في أمة بنى إسرائيل، وبعدها كانت العنصرية، ومن ثم تأتي مرحلة الخرافية المتمثلة في السحر والشعوذة. حيث إن الأمة العنصرية تنغلق على ذاتها ﴿وَقَالُوا فُلُونَا غُلْفٌ﴾، وتبتعد عن توجيهات الله، وعن سنن التاريخ، وتجارب الناس، وتستكبر على الحق، وليس أمامها بعدها إلا الهبوط إلى حضيض السحر والشعوذة.

فيتناول القرآن الكريم هذه المرحلة بإيجاز حيث يقول تعالى في الآية التي سبقت الآية مورد بحثنا ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١٨). فيبدأ سبحانه وتعالى بالحديث عن ترك بنى إسرائيل للكتاب بعد أن كان أخبار اليهود يبشرؤن الناس قبلبعثة النبي النبوية بالرسول الموعود ويذكرون لهم علاماته وصفاته، فلما بعث النبي الإسلام أعرضوا عما جاء في كتابهم، وكأنهم لم يروا ولم يقرؤوا ما ذكرته التوراة في هذا المجال.

هذه هي النتيجة الطبيعية للأفراد الغارقين في ذاتياتهم، هولاء - حتى في دعوتهم إلى حقيقة من الحقائق - لا يتجردون عن ذاتياتهم، فإن وصلوا إلى تلك الحقيقة ووجدوها لا تنسجم مع أهوائهم، أعرضوا عنها ونبذوها وراء ظهورهم. من هنا، فمن لا يمتلك تفسيراً صحيحاً للحياة ورؤيا علمية إلى أهدافها، يضطر بالنتيجة إلى البحث عن تفسيرات غيبية ورؤى باطلة فيتشبث حينئذ بالسحر.

وحيث يتحدث عن السحر ينفي القرآن الكريم قصةً مختلفةً من بنى إسرائيل تزعم أن السحر من الله تعالى، وينهي الحديث ببيان أن التمسك بالكتاب أفضل لهم من التشبث بالسحر.

وفي هذه الآية المباركة أبحاثٌ تفيدنا وهي:

١- وصف القرآن الكريم هنا بكونه (مصدقاً) بما أن حقيقة القرآن واحدة مع حقيقة النبي ﷺ؛ لذا أطلقت على النبي ﷺ.

٢- لما نبذ بنو إسرائيل كتاب الله وراء ظهورهم في الدنيا، ولما كان يوم القيمة يوم تنسجم الأفعال، لذا فإنهم يعطون كتابهم وراء ظهورهم ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، فَسَوْفَ يَدْعُو تُبُورًا﴾^(١٩). وإنهم سينبذون في الحطمة ﴿كَلَّا لَيَنْبَذَنَّ فِي الْحُطْمَةِ﴾^(٢٠).

٣- إن العلم لا يكفي وحده في سلوك الصراط المستقيم، فعلماء بنى إسرائيل لم يكن لديهم قلة في العلم، بل لديهم علمٌ ومعرفةٌ بما يجري حولهم، فرغم معرفتهم بالرسول ﷺ لكنهم لم يؤمنوا به.

٤- إن العلم الذي لا يُعمل به يشبه الجهل، لذا قيل للعلماء الذين لا يعملون بعلمهم وأخروا ما عندهم من الحقائق: (كأنهم لا يعلمون).

٥- إن سوء العاقبة خطر على مستقبل الإنسان، فالذين كانوا بالأمس مبلغين يتظرون النبي الذي سيبعث، فلما ظهر الإسلام، أصبحوا من أعدائه ومخالفيه^(٢١).

٦- إن حفظ ظاهر الكتاب وعدم العمل به ورعاية مضمونه وإيكال أمره إلى الجهل نبذ لكتاب الله، رويَ عن الإمام الباقر ع: (وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرّقوها حدوده...، وكان من نبذهم الكتاب أن ولّوه الذين لا

يعلمون) (٢٢).

❖ وعواداً على بدء نسأل هذا السؤال: ما هو التفسير التوضيحي للأية الشرفية
١٠٢) التي ذكرت في السؤال الأول من سورة البقرة؟

❖ يفهم من الأحاديث أن مجموعة من الناس مارست السحر في عصر النبي سليمان عليه السلام فأمر سليمان بجمع كل أوراقهم وكتاباتهم، واحتفظ بها في مكان خاص، ولعل الهدف من أمر سليمان عليه السلام بالاحتفاظ بها يعود إلى إمكان الاستفادة منها في إبطال سحر السحرة.

بعد وفاة سليمان عمّدت جماعة إلى إخراج هذه الكتابات، وبدؤوا بنشر السحر وتعليمه، واستغلت فئة هذه الفرصة فأذاعت أن سليمان لم يكننبياً أصلاً، بل كان يسيطر على ملكه ويأتي بالأمور الخارقة للعادة عن طريق السحر.

وبتعمير أجلى: يلوح من الآية أن اليهود كانوا يتناولون بينهم السحر وينسبونه إلى سليمان، زعماً منهم أن سليمان عليه السلام إنما ملك الملك وسخر الجن والإنس والوحش والطير وأتى بغرائب الأمور وخوارقها بالسحر الذي هو بعض ما في أيديهم، وينسبون بعضه الآخر إلى الملائكة ببابل هاروت وماروت، فرد عليهم القرآن بأن سليمان عليه السلام لم يكن يعمل بالسحر، كيف والسحر كفر بالله وتصرف في الكون على خلاف ما وضع الله العادة عليه وأظهر على خيال الموجودات الحية وحواسها! ولم يكفر سليمان عليه السلام وهونبي معصوم، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانٌ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلَّمُونَ النَّاسَ السُّحْرَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾.

فسليمان عليه السلام أعلى شأنًا وأقدس مقاماً من أن يُنسب إليه السحر والكفر، وقد

استعظام الله قدره في مواضع من كلامه في عدة من السور المكية النازلة قبل هذه السورة، كسور الأنعام والأنبياء والنمل وسورة ص، وفيها أنه كان عبداً صالحاً ونبياً مرسلاً آتاه الله العلم والحكمة ووهب له من الملك مالا ينبعي لأحد من بعده، فلم يكن بساحر، بل هو من القصص الخرافية والأساطير التي وضعتها الشياطين وتلوها وقرؤوها على أوليائهم من الإنس وكفروا بإضلائهم الناس بتعليم السحر.

فجاءت مجموعة من بني إسرائيل سارت مع هذه الموجة وبسبب هذا النبذ الذي ذكرته الآية السابقة وجد فراغ في حياتهم الثقافية فالتفتوا ولجأوا إلى السحر والشعوذة والأفكار الغبية الباطلة، فلم يجدوها إلا عند الشياطين بعد تركهم للتوراة. عندما ظهر النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجاءت آيات القرآن مؤيدةً لنبوة سليمان، قال بعض أخبار اليهود: ألا تعجبون من محمد؟ يقول: سليمان نبي وهو ساحر! وجاءت الآية ترد على مزاعم هؤلاء وتنفي هذه التهمة الكبرى عن سليمان علَّمَهُ اللَّهُ (٢٣).

فقوله تعالى: (واتبعوا) الضمير هنا قد يعود إلى المعاصرين للنبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي: اتبعت اليهود الذين جاؤوا بعد عهد سليمان من باب: يتوارث الخلف عن السلف، أو قد يعود الضمير إلى أولئك اليهود المعاصرين لسليمان، أو لكلا الفريقين. (ما تتلو) أي، أن الشياطين كانت تكذب على ملك سليمان. والمقصود بكلمة (الشياطين) قد يكون الطغاة من البشر أو من الجن أو من كليهما.

والمحصل من هذا نقول في توضيح الآية بلباس ثان: قوله تعالى: **﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَنْلُوُ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾** من السحر، ذلك أن سليمان كان نبياً من بني إسرائيل وملكًا، وكانت الشياطين تخدمه، وقد خلفت وراءها مجموعة من الأفكار

الباطلة.

هؤلاء تركوا الكتاب المنزل من الله الذي كان هو الحق مصدقاً لما بين أيديهم وما خلفهم ثم ذهبوا أو اتبعوا أفكار الشياطين، هذه نهاية العنصرية، إنها لا تفرق بين أفكار شياطين الملك إن كانت من نفس العنصر وبين الأفكار الصحيحة التي يأتي بها نبي مرسى من الله.

والمشكلة أنهم قالوا: ما دامت هذه الأفكار من بنات فكر الشياطين الذين كانوا حول سليمان، ومadam سليمان نبى الله، فإذاً هذه الأفكار هي من الله سبحانه، ولكن الله نفى بشدة هذه المعادلة الباطلة.

ثم تؤكد الآية على نفي الكفر عن سليمان: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانٌ﴾ أي: والحال أن سليمان عليه السلام لم يلجأ إلى السحر حتى يكفر، ولم يحقق أهدافه عن طريق الشعوذة، ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا بِعِلْمٍ مِّنْ أَنَّا سَخَّرْنَا لَهُمْ وَيَضْلُّونَهُمْ﴾ ويضلونهم، فهو لا يهود لم يستغلوا ما تعلموه من سحر الشياطين فحسب، بل أساووا الاستفادة أيضاً من تعليمات هاروت وما روت، ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بَيْبَلَ هَارُوتَ﴾ أي: وما أنزل السحر - الذي هو الكفر لأنه يربط الحياة بقوى غيبية غير الله سبحانه وتعالى - أبداً كما تدعى هذه الطائفة العنصرية، على الملائكة بابل هاروت وماروت، وللذان كانوا ملائكة إلهيin جاءا إلى الناس في وقت راج السحر بينهم وابتلاوا بالسحر والشعوذة، وكان هدفهم تعلم الناس سبل إبطال السحر، وكما أن إحباط مفعول القنبلة يحتاج إلى فهم لطريقة فعل القنبلة، كذلك كانت عملية إحباط السحر تتطلب تعلم الناس أصول السحر، ولكنهما كانوا يقرنان هذا التعليم بالتحذير من السقوط في الفتنة بعد تعلم السحر، (وما يعلمان) روي أنه شاع السحر في أرض

بابل وأدى إلى إخراج الناس وإزعاجهم، فبعث الله ملكين بصورة البشر، وأمرهما أن يعلما الناس أصول السحر كمقدمة لتعليمهم طريقة إبطال مفعول السحر، فاستغلت مجموعة هذه الأصول فانخرطت في زمرة الساحرين، وأصبحت مصدر أذى للناس، مع أنها إذا أرادا تعليم أحد لا يعلمان من أحد حتى يحذرها من الإيذاء به وقالا له: إنما نحن فتنة لك وامتحان تمحن بما نعلمك، فلا تكفر بالله باستعماله، لهذا يقول تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَنَّ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فَتَنَّةٌ فَلَا تَكُفُّرُونَ﴾ أي: هل من المعقول أن يبعث الله ملكين بصورة البشر يخدعون الناس؟! (فلا تكفر) إذ أن نسبة السحر إلى الله هو كفر بذاته، والسحر لا يمكن أن يكون من قبل الله لأنه يخالف مسيرة رسالته ويتناقض معها تناقضاً كلياً، إذ أن رسالت الله دعوة إلى الترابط والاتفاع في الحياة، بينما هؤلاء يتعلمون من السحر ما يضر ولا ينفع، كما هو حال اليهود الذين سقطوا في فخ الفتنة، وتغلبوا في انحرافهم، فزعموا أن قدرة سليمان لم تكن من النبوة، بل من السحر والسحرة، وهذا هو دأب المنحرفين دائماً، يحاولون تبرير انحرافاتهم باتهام العظماء بالانحراف.

هؤلاء القوم لم ينجحوا في هذا الاختبار الإلهي، فأخذوا العلم من الملائكة واستغلوه في طريق الإفساد لا الإصلاح، لكن قدرة الله فوق قدرتهم وفوق قدرة ما تعلموه.

﴿فَيَعْلَمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ﴾

ولكن هذه التفرقة ليست حتمية، إذ أن السحر لا يؤثر تأثيراً أكيداً في الحياة بل الله وسننه، وإرادة الإنسان هي التي تؤثر في الحياة، فقيل مثلاً: أي: يوجدون به جها وبغضاً بينهما، وقيل إنهم يغرون أحد الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك،

فيفرق بينهما اختلاف الملة والنحلة، وقيل إنهم يسعون بينهما بالنميمة والوشية فيؤول إلى الفرقة.

﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي أنهم لا يضرُونَ أي أحد بالسحر إلا عبر قوانين الله، فالله ورسالته أجرد بالاتباع، عموماً، السحر يضر ولا ينفع، بينما رسالت الله تنفع ولا تضر.

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾، أي: لقد تهافتو على اقتناه هذا المتع الدنيوي وهم عالمون بعقولهم أن من استبدل السحر بكتاب الله وبدينه الذي ينسليخ عنه بتعلمه ماله في الآخرة من نصيب، لهذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾، أي أن أي نصيب لا يملكه الساحر في الآخرة لطبيعة أعماله المنافية للدين في الدنيا.

بل إن رسالت السماء هي التي تنفع الإنسان في الآخرة، بينما السحر لا ينفع هنالك شيئاً.

﴿وَلَبَئِسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، أي: لقد باعوا شخصيتهم الإنسانية بهذا الشيء التافه والمتع الرخيص، لو كانوا يعلمون بعلمهم، فإن العلم إذا لم يهد حامله إلى مستقيم الصراط كان ضلالاً وجهلاً لا علمأً^(٢٤).

✿ هل في الآية رقم (١٠٢) من سورة البقرة فوائد وأبحاث تستفيد منها مختصر؟

❖ نعم، حيث تستفيد منها ما يلي:

- ١- أظهر السحرة سليمان عليه السلام ساحراً لكي يبرروا عملهم.
- ٢- إن الله سبحانه وتعالى يدافع عن الأنبياء أمام تهم الآخرين، ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾.

- ٣- ليس العلم مفيداً دائماً، فربما يكون مضرًا أحياناً ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾.
- ٤- ينبغي للمعلم أن يشير إلى أعماله السلبية أثناء التعليم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فَتَّنَّهُ﴾.
- ٥- من الممكن أن تكون الملائكة معلمة للإنسان ﴿وَمَا يُعَلِّمَنَّ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا﴾.
- ٦- إن من يسعى وراء السحر والتفرقة فإنما باع شخصيته بشيء تافه ﴿لَبِسْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾.
- ٧- إن ذلك دليل على أنه في زمان الحاكم الرباني أيضاً لا يصلح جميع الناس، بل يبقى هناك منحرفون في المجتمع ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾.
- ٨- لا منافاة بين الحكومة والنبوة؛ لأن بعض الأنبياء كانوا حكامًا إلى جانب تبليغ وبيان الرسالة السماوية والأحكام الإلهية ﴿مُلْكٌ سُلَيْمَانٌ﴾^(٢٥).
- ٩- عبر القرآن الكريم عن السحر بأنه أسوأ من الخمر والقمار؛ لأنه عبر عن الخمر والميسر بأنّ فيهما نفع وإثم ولكن الإثم أكبر ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾^(٢٦). ولم يقل عن السحر إنه لا نفع فيه بل قال إنه يضر ولا ينفع ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾^(٢٧). حيث - كما قلنا - إن السحر يضر ولا ينفع، بينما رسالات الله تنفع ولا تضر.

﴿ما هي قصة هاروت وماروت؟﴾

❖ كما تقدم - لقارئي الكريم - أن أشرنا إشارةً بسيطةً وقصيرةً لقصة هاروت

وماروت فلإيضاها نورد ما يلي:

كثر الحديث بين أصحاب القصص والأساطير عن هذين الملkin، واختلطت الخرافة بالحقيقة بشأنهما، حتى ما عاد بالإمكان استخلاص الحقائق مما كتب بشأن هذه الحادثة التاريخية، ويظهر أن أصح ما قيل بهذا الشأن وأقربه إلى الموازين العقلية والتاريخية والأحاديث الشريفة هو ما يلي:

شاع السحر في أرض بابل وأدى إلى إخراج الناس وإزعاجهم، فبعث الله ملkin بصورة البشر، وأمرهما أن يعلما الناس طريقة إحباط مفعول السحر ليتخلصوا من شر السحرة. كان الملkan مضطرين لتعليم الناس صور السحر باعتبارها مقدمةً لتعليم طريقة إحباط السحر، واستغلت مجموعة هذه الأصول، فانخرطت في زمرة الساحرين، وأصبحت مصدر أذى للناس. الملkan حذرا الناس - حين التعليم - من الوقوع في الفتنة، ومن السقوط في حضيض الكفر بعد التعلم، لكن هذا التحذير لم يؤثر في مجموعة منهم^(٢٨).

وهذا الذي ذكرناه ينسجم مع العقل والمنطق، وتأكيده أحاديث أئمة آل البيت عليهما السلام، منها ما ورد في كتاب عيون أخبار الرضا علیه السلام، وقد أورده في أحد طرقه عن الإمام الرضا علیه السلام، وفي طريق آخر عن الإمام الحسن العسكري علیه السلام^(٢٩).

أما ما تتحدث عنه بعض كتب التاريخ بهذا الشأن فمشوب بالخرافات والأساطير، وبعيد كل البعد عمّا ذكره القرآن، من ذلك مثلاً أن الملkin أرسلوا إلى الأرض ليثبت لهما سهولة سقوطهما في الذنب إن كانوا مكان البشر، فنزلوا وارتکبا أنواع الآثام والذنوب والكبائر والنص القرآنى بعيد عن هذه الأساطير ومنزه منها^(٣٠).

﴿ هنا سؤال قد يحاكي ذهن قارئي الكريم، وهو حول الرابطة التي تجمع بين الملك والإنسان، أي: كيف يمكن للملك أن يكون معلماً للإنسان؟

❖ طبعاً الآيات الكريمة المذكورة تصرح بأن هاروت وماروت علما الناس السحر، وهذا تمّ طبعاً من أجل إحباط سحر السحرة في ذلك المجتمع، فهل يمكن للملك أن يكون معلماً للإنسان؟

الحقيقة كما في الأحاديث الواردة بشأن الملائكة تجيب على هذا السؤال، وتقول إن الله بعثهما على شكل البشر - كما تقدم - وهذه الحقيقة يمكن فهمها من الآية التاسعة لسورة الأنعام أيضاً، حيث يقول تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ (٣١). أي: لو بعث الله ملائكةً لجعله يشبه الناس حتى في ملابسه حتى يستطيع أن يتفاهم معهم ويهديهم.

﴿ لا يخفى لدى قارئي الكريم أن مادة الفقه الإسلامي توضح للإنسان المسلم طريق العمل، وتبين له واجباته ومسؤولياته وما يحرم عليه وما يباح له بشكل قانوني محدد؛ لذا - إضافةً لما تقدم في جوابي السؤال السابع والثامن من بحثنا المتواضع حول حرمة السحر - نسأل هذا السؤال: ما هي أدلة فقهاء الأمة الإسلامية في حرمة السحر من خلال آيات القرآن الكريم؟

❖ يقول الفقهاء: إن حرمة السحر على سبيل الإجمال مسلمةً ومعلومةً لدى المحققين، وقد اتفقت عليه كلمات علماء الإسلام، بل قد يقال إنها من ضروريات الدين، وليس بعيد، ويدل على حرمتها آيات من كتاب الله عزّ وجلّ: منها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَنَّا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَّلِكَ نَطْبِعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ، ثُمَّ بَعَنَّا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى

وَهَارُونَ إِلَى فَرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ
الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسُحْرٌ مُبِينٌ، قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ
أَسْحَرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٣٢﴾.

ويقول المفسرون في تفسير هذه الآيات الشريفة - حتى توصلوا للحكم بحرمة

السحر - ما يلي:

ومضت رسالات الله على ذات السنة، حيث - بعد الانتهاء من قصة نوح عليهما السلام -
بعث الله - كما تشير الآية الأولى - الأنبياء الكرام الذين جاؤوا بعد نوح وقبل
موسى عليهما السلام بالبيانات لهداية الناس كإبراهيم وهود صالح ولوط ويوسف عليهما السلام
فقالت: ﴿ثُمَّ بَعْثَنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فقد كانوا
مسلحين كنوح بسلاح المنطق والإعجاز والبرامج البناءة، إلا أن الذين سلكوا طريق
العناد وكذبوا الأنبياء السابقين، كذبوا هؤلاء الأنبياء أيضاً ولم يؤمنوا بهم ﴿فَمَا
كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلِ﴾ أي: أنهم رفضوا الإيمان كما رفضه الأسبقون،
وذلك لتمرسهم بالاعتداء والظلم، وكان ذلك نتيجةً للعصيان والتمرد وعداء الحق
الذي أوصى تلك القلوب ﴿كَذِلِكَ نَطْبِعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِلِينَ﴾.

فحينما استمرت سلسلة الرسالات حتى جاء دور موسى عليهما السلام حيث بعثه الله
تعالى وهارون إلى فرعون ومملئه بآيات الله، استكبر فرعون وكبار المفسدين ممن
حوله، ورفضوا الهداية ومارسوا عملياً الجرائم بحق المستضعفين، واتهموا
موسى عليهما السلام بأنه ساحر، كما اتهموا رسالته الحقة بأنها سحر واضح، وتميّز
موسى عليهما السلام غضباً كيف يقولون للحق إنه ساحر بينما الساحر لا يفلح ولا ينتصر؟
ولكنهم كانوا لا يسلمون أمام دعوة أينبي ومصلح، واستمروا في الثبات على

موقفهم، ولم تكن تؤثر فيهم دعوة الأنبياء المتكررة أدنى أثر، بل اتخذوا موقفاً عدائياً بالرغم من دحض باطلهم.

وهكذا تكررت سيرة نوح عند موسى وهارون باختلاف بعض التفاصيل، ولكن بذات المحتوى.

فماذا يمثل خط الرسالة؟

طبعاً - كما يعلم قارئي الكريم - إن رسالات الله تشكل خطأً مستمراً عبر العصور، كما أن الجاهلية التي تقف أمام الرسالات تشكل خطأً ثابتاً في جوهره، وعلىينا البحث عن خط الرسالات الذي يجسد اليوم واقع الرسالات السابقة بجوهرها فنتنمي إليه.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلِهِ﴾، فكما الرسالات خط ومنهج، كذلك الجاهلية خط ومنهج مستمر معها، فإن قوم نوح عليهم السلام كذبوا رسالته، وكذب قوم إبراهيم عليهم السلام برسالته، وقد تساءل عزيزي: لماذا؟

نقول: لاشتراكهم جميعاً في دوافع التكذيب، ومنها الاعتداء الذي هو تجاوز الحقوق، والإسراف في النعم، والذي جاءت رسالات الله من أجل إنقاذ البشر منه، وكما جاء في آية قرآنية أخرى حيث قال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُولَمَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(٣٣).

إيقامة القسط والعدالة في الأرض وفق القيم الإلهية أحد أهم وأبرز الأهداف التي تنزلت من أجلها رسالات الله، وسعى إليها الأنبياء والرسل، كما أن منع الإسراف في الشهوات وتوجيه الغرائز، وبالتالي مقاومة ما يسمى بالظلم الذاتي

هدف آخر للرسالات، كما ينبغي أن يسعى إليها كل مؤمن بل كل إنسان، ولا يجوز أن يتضرر رسولًا يبعثه الله ليتحملها.

وإذا رفع راية العدالة شخص أو تجمع فإن على سائر الناس أن ينصروه إن وثقوا منه ومن أهدافه، ولا يدعوه وحده في مواجهة الظالمين، وطبيعي في هذه الحالة أن يقف المعتدون الظالمون للناس أمام الرسالة، ذلك لأن الظلم ظلمان، فظلم في القلب، وظلم في السلوك السيء يعكس سلبيًا على النفس، ويحجب عنها نور العقل. ﴿كَذَلِكَ نَطْبُعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِلِينَ﴾

فالمعتدون تنغلق قلوبهم عن الاهتداء، وهذه سنة من سنن الله سبحانه وتعالى، وكمثل على هذه الحقيقة يستشهد به القرآن الكريم ليعطينا رؤيةً واضحةً تجاه ما يمكن أن يكرر يومياً في حياة الناس هو النموذج البارز في قصة موسى وهارون عليهما الله برسلاته إلى فرعون الطاغوت ومائه، أي كبار معاونيه المفسدين في الأرض، ولكن بسبب ممارساتهم الجريمة والظلم والاعتداء، وبسبب انعكاس سلوكيهم الفاسد على فكرهم، وعدم امتلاكهم لروح التواضع، فإنهم لم يلتقطوا إلى الحقائق الواضحة في دعوة موسى عليهما السلام واستكروا عن قبول الرسالة، ﴿ثُمَّ بَعْثَنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فَرْعَوْنَ وَمَلِئَهُ بَايَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾، ولكن يا ترى كيف استكروا؟ وهل اعترفوا بالحقيقة وهي أن ظلمهم للناس هو سبب استكبارهم وضلالتهم؟

كلا.. بل ببرروا رفضهم للرسالة بتبريرات باطلة، مما يمكن أن يتكرر في كل عصر وزمان. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسْحَرٌ مُّبِينٌ﴾ إنهم رفضوا التسليم للحق الذي هو من عند الله خالقهم، والذي كان واصحاً لا ريب فيه، ونسبوا

الحق إلى السحر حينما أحسوا بجاذبية دعوة موسى عليه السلام الخارقة من جهة، ومعجزاته الباهرة من جهة أخرى، وتزايد نفوذه بصورة محيرة من جهة ثالثة، دفعت الفراعنة إلى التفكير في حل لهذه المسألة، فلم يجدوا وسيلةً أفضل من رمي بالسحر، فأعلنوا أنه ساحر وأن عمله سحر ليس إلا، والناس البسطاء لا يميزون بين السحر والرسالة، إذ كلاهما خارق لعاداتهم ولا يعرف الناس مغزاهما، لذلك تلبس الأمر على الناس، وهكذا أضلوا الناس، وكذلك يمكن أن يتكرر الأمر مع الناس في كل عصر، فالطاغوت ومَلُوئُه حين يخالفون الحق لا يعترفون بالدowافع الحقيقة لمخالفتهم من استكبارهم، وتمرسهم بالجريمة والظلم، بل يتهمون الحق ببعض التهم التي تضل الناس البسطاء وتفتنهم، وتلبس الحق بالباطل، وتشبه الرسالة بالسحر، والثورة بالفوضى، والإصلاح بتعكير صفو الأمان والمطالبة بالحرية والمساواة بالتمرد على القيم و...وهكذا.

فعلى المجتمع الإسلامي أن يتسلح بالوعي الكافي للتمييز بين الأقوال التي ينطق بها أصحاب الرسالة أو أنصار الطاغوت، ولا يرفضوا الرسالة بالتأثير بالشبهات التي تشيرها أجهزة الطغاة ضدها، وهذا من عبر القصص القرآنية حول الرسل.

فماذا كان الرد الرسالي؟

طبعاً كما كانت شبهة الطغاة حول الرسالة متناسبة مع بساطة الجماهير، فإن رد هذه الشبهة من طرف الرسل كان بلغة مفهومها لدى الجماهير الساذجة أيضاً مما كشف زيف الشبهة لهم.

﴿قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسْحَرُ هَذَا﴾، فلقد نفى موسى أن يكون كلامه سحراً، وأوضح أنه حق، والحق واضح المعالم بعيداً عن من ينطق به،

فإذا جاءكم الحق - سواء عن طريقي أو بطريق آخر - لابد لكم أن تقبلوه وتطيعوه،
وربما تشير الآية إلى أن الحق هذا كان مقبولاً عندهم إذا بقي بعيداً عنهم، فكل
الناس حق الطغاة منهم يتفوهون بالحق ويعتقدون به، بل يطالبون الآخرين بتحقيقه،
فمن الذي لا ينطق بالعدالة ولا يطالب بالتقدم والتطور؟

ولكن إذا جاءه الحق وعارض مصالحه رفضه ونسبه إلى السحر، بينما الحق
نفسه لما كان عنده غير كان مقبولاً ولا يسمى بالسحر، أو ليس هذا الدليل البسيط
والمفهوم عند الناس كافياً لدحض شبهتهم؟

ولم يكتفى موسى بهذا الدليل بل تابع مضيفاً: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ مؤكداً
أنه يرفض مهنة السحر، بينما السحرة يفتخرن بها، وهذا وحده كاف للدلالة على
أنه غير ساحر، ثم إن الساحر لا يبلغ أهدافه لأنه لا يتبع الحق، بل يجري وراء
مصالحه وتراه في صفات الظالمين والطغاة، ولا يتسم سلوكه الشخصي بالقيم
الإنسانية، بل تجده عادةً متوجلاً في الرذائل المنبوذة عند الناس، وبالتالي تجد
الساحر بسبب مواقفه السياسية وسلوكه الشخصي مكروهاً عند الناس، ولا يقدر
على تحقيق أهدافه من إمامته الناس وقيادة المجتمع، بينما الرسول يدعوا إلى فطرة
الحق، ويقف إلى جانب المستضعفين، ويطبق تعاليم السماء في توجيه الناس إلى
الخير، وسلوكه الشخصي سلوك مثالي، مما يجعله قريباً إلى تحقيق أهدافه منتصراً
سعياً، وهذا واضحٌ للناس جميعاً، فالناس أئن كانوا رأوا أو سمعوا المصلحين وفي
طليعتهم الرسل، وعرفوا السحرة آئنْ يمكنهم أن يعرفوا الفرق بين هذين الطرازين
من الناس، بأدنى توجيه وتنذكرة. ويستفيد الفقهاء من قوله تعالى: ﴿أَسْحِرْ هَذَا وَلَا
يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ كما تقدم، حرمة السحر.

هذا ويدل على حرمة السحر كذلك قوله تعالى:

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (٣٤).

ولتوسيع هذه الآية الشريفة نحتاج لتوسيع ما سبقها من أربعة آيات كريمة وما يليها من آيات كريمة، وهذا ما نوكله إلى أجوبة الأسئلة القادمة إن شاء الله تعالى.

وخلال هذه المراد من الآية الشريفة أن ما قام به السحر من جلب الحال والعصي وخلقوا أجواءً صاخبةً توحى بأنها تسعى، فسحروا أعين الناس، ولكن هذا العمل لا يعود أن يكون مجموعة من الخطط الماكرة الباطلة، التي لا تثبت أن تنتهي بوجه الحقيقة، كما الظلام ينهزم أمام النور، وباستطاعة الإنسان المتصل بالله أن يتتجاوز تأثيرات السحر الوهمية، فما قام به السحر لم يكن ذلك إلا ضررًا من السحر.

أما الحقيقة كل الحقيقة فإنها كانت تمثل في عصا موسى عليه السلام، فقد ابتلت ذلك السحر مرةً واحدةً، وآمن السحرة بموسى وخرروا لربه وربهم ساجدين.

وهكذا فالسحر لا يؤثر فيمن يؤمن بالله حقًا، وقد قال عنه تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ﴾ كما أشرنا لتوسيع هذه الآية سابقاً، وإضافةً لذلك، إن ذات الساحر لا يفلح، لأن عمله هذا يكسر فيه الانحراف عن خط الفطرة والحياة في الدنيا، من هنا حرم الفقهاء التعامل بالسحر لما يخالف من أضرار للجميع، ويسبب العذاب في الآخرة. هذا ودل على حرمة السحر كذلك قوله تعالى فيما ورد في قصة هاروت وماروت وأهل بابل:

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانٌ وَلَكِنَ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلَّمُونَ النَّاسَ السُّحْرَ﴾، وقد تقدم

ضمن جواب السؤال رقم (١٠)، فإن ظاهره^(٣٥) كون السحر نوعاً من الكفر.

❖ وما هو دليل الفقهاء على حرمة السحر من خلال السنة الشريفة؟

❖ إن ما دل على حرمة السحر من السنة روایات كثيرة أوردها صاحب الوسائل في الباب ٢٥ و ٢٦ من أبواب ما يكتسب به، والباب ١٥ و ٣ من أبواب بقية الحدود والتعزيرات، منها ما يلي:

١- عن الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام عن أبيه عليهما السلام قال رسول الله عليهما السلام: (ساحر المسلمين يقتل وساحر الكفار لا يقتل)، قيل: يا رسول الله لم لا يقتل ساحر الكفار؟ قال: لأن الشرك أعظم من السحر؛ لأن السحر والشرك مقرنونان^(٣٦).

٢- قد ذكرنا فيما تقدم في جواب السؤال الخامس أن الفقهاء قد أجمعوا على حرمة تعلم السحر وممارسته ولكن كما ذكرناه يجوز تعلم السحر لإبطال سحر السحرة، فهذا جائز، بل يرتفع إلى حد الوجوب الكفائي أحياناً، لإحباط كيد الكائدين والحيلولة دون نزول الأذى بالناس من قبل المحتالين، والدليل على ذلك، ما ورد عن الإمام جعفر الصادق عليهما السلام: (كان عيسى بن شقفى ساحراً يأتيه الناس ويأخذ على ذلك الأجر، فقال له: جعلت فداك أنا رجلٌ كانت صناعتي السحر وكانتْ آخذ عليه الأجر وكان معاشي، وقد حججت منه، ومن الله على بلقائك وقد تبت إلى الله عزوجل، فهل لي في شيء من ذلك مخرج؟ فقال له أبو عبد الله عليهما السلام: حل ولا تعقد)^(٣٧).

فدل هذا الحديث الشريف على حرمة السحر فيما يعقد، أما إذا كان من أجل فتح وحل عقد السحر لا إشكال فيه، كما تقدم.

٣- ومثل هذا الحديث ما رواه الصدوق: (إن توبة الساحر أن يحل ولا

يُعَدُّ(٣٨).

٤- ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام في حديث قال: (وأما هاروت وماروت فكانا ملكين علما الناس السحر ليحتزروا به سحر السحرة ويبطلوا به كيدهم، وما علما أحداً من ذلك شيئاً حتى قالا: إنما نحن فتنة فلا تكفر، فكفر قومٌ باستعمالهم لما أمروا بالاحتراز منه، وجعلوا يفرقون بما تعلموه بين المرء وزوجه)، قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَإِذْنَ اللَّهِ﴾، يعني بعلمه (٣٩).

٥- عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام في حديث: (نحن أهل بيت عصمنا الله من أن تكون فتانين أو كذابين أو ساحرين أو زنائين، فمن كان فيه شيءٌ من هذه الحال، فليس منا ولا نحن منه) (٤٠).

❖ ما حكم من عمل بالسحر؟

❖ قال الإمام الخميني قده: (من عمل بالسحر يُقتل إن كان مسلماً، ويؤدب إن كان كافراً، ويثبت ذلك بالإقرار، والأحوط الإقرار مرتين، وبالبينة، ولو تعلم السحر لإبطال مدعى النبوة فلا بأس به، بل ربما يجب) (٤١).

يقول الفقهاء: يدل على وجوب قتل من عمل بالسحر فيما لو كان مسلماً، وتأدبه إن كان كافراً، روایات عدة، وقد تقدم بعضها:

منها: أن علياً عليه السلام قال: (من تعلم شيئاً من السحر قليلاً أو كثيراً فقد كفر، وكان آخر عهده بربه، وحده أن يُقتل إلا أن يتوب) (٤٢).

ومنها ما عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (الساحر يضرب بالسيف ضربةً واحدةً على رأسه) (٤٣).

ومنها ما رواه زيد بن علي عن أبيه عن آبائه قال: سُئل رسول الله صلوات الله عليه وسلم عن

الساحر فقال:(إذا جاء رجالاً عدلاً فشهاداً بذلك فقد حلّ دمه)(٤٤).
 هذا وقد ذكرنا فيما تقدم - في جواب السؤال السابع - رأي السيد الإمام
 الخميني فقيه بالنسبة لعمل السحر.

المواهش:

- (١) سورة البقرة، الآية ١٠٢.
- (٢) سورة الأعراف، الآية من ١١٦ إلى ١٢٠.
- (٣) سورة يونس عليه السلام، الآيات من ٧٦ إلى ٨١.
- (٤) سورة القلم، الآيات ٥١ و ٥٢.
- (٥) سورة طه عليه السلام، الآية ٦٦.
- (٦) سورة الأعراف الآية ١١٦.
- (٧) سورة البقرة، من الآية ١٠٢.
- (٨) نقلًاً من تفسير الأمثل ج ١، ص ٢٣١ بتصريف.
- (٩) جواهر الكلام ج ٤٢ ص ٣٣.
- (١٠) بحار الأنوار ج ٦٣ ص ٣٩.
- (١١) سورة يونس عليه السلام، الآية ٥٢.
- (١٢) سورة الذاريات، الآية ٥٢.
- (١٣) تحرير الوسيلة للإمام الخميني فقيه ج ١ ص ٤٩٨.
- (١٤) جواهر الكلام ج ٢٢ ص ٧٥.
- (١٥) بحار الأنوار ج ٦٣ ص ٣١ نقلًاً من كتاب نخبة التفاسير ص ٣٢١.
- (١٦) الإمام الخميني فقيه، حرام مطلقاً - كما تقدم -
- (١٧) منتخب الأحكام المطابقة لفتاوي آية الله العظمى السيد الخامنئي (دامت برకاته) تنظيم الشيخ حسن محمد فياض العاملی ص ١٨٢.
- (١٨) سورة البقرة، الآية ١٠١.
- (١٩) سورة الانشقاق، الآيات ١٠-١١.
- (٢٠) سورة الهمزة، الآية ٤.

- (٢١) نقلًا من تفسير نخبة التفاسير حول الآية الشريفة.
- (٢٢) نور الثقلين ج ١ ص ٢٠٦.
- (٢٣) مجمع البيان في تفسير الآية مع قليل من الاختلاف.
- (٢٤) استفدنا هذا التفسير من تفاسير متعددة حول الآية الشريفة.
- (٢٥) نقلًا من تفسير نور بالفارسية ج ١ ص ٢١٤-٢١٦.
- (٢٦) سورة البقرة، الآية ٢١٩.
- (٢٧) نقلًا بتصرف من تفسير نخبة التفاسير.
- (٢٨) مجمع البيان في تفسير الآية المذكورة.
- (٢٩) وسائل الشيعة ج ١٢ ص ١٠٧-١٠٦.
- (٣٠) بتصرف من تفسير الأمثل ج ١ ص ٢٢٨.
- (٣١) سورة الأنعام، الآية ٩.
- (٣٢) سورة يونس ﷺ، الآيات من ٧٤ إلى الآية ٧٧.
- (٣٣) سورة الحديد، الآية ٢٥.
- (٣٤) سورة طه ﷺ، الآية ٦٩.
- (٣٥) كما عند سماحة آية الله العظمى الأستاذ الشيخ ناصر مكارم الشرازي (دام ظله) في كتابه أنوار الفقاهة ضمن أبحاثه القيمة في المكاسب المحرمة.
- (٣٦) وسائل الشيعة ج ١٢ ص ١٠٦، الباب ٢٥، من أبواب ما يكتسب به، حديث رقم ٢.
- (٣٧) وسائل الشيعة ج ١٢، ص ١٠٥، الباب ٢٥، من أبواب ما يكتسب به، حديث رقم ١، بتصرف بسيط.
- (٣٨) المصدر السابق ص ١٠٦ الحديث رقم ٣.
- (٣٩) المصدر السابق ج ١٢ ص ١٠٧ الحديث رقم ٥.
- (٤٠) المصدر السابق ص ١٠٨.
- (٤١) تحرير الوسيلة للسيد الإمام الخميني قده ضمن كتاب الحدود.
- (٤٢) وسائل الشيعة ج ١٢ ص ١٠٧ الباب ٢٥ حديث رقم ٧.
- (٤٣) المصدر السابق ج ١٨ ص ٥٧٦، الباب ١، من أبواب بقية الحدود، حديث رقم ٣.
- (٤٤) المصدر السابق، الباب ٣ من أبواب بقية الحدود ج ١.

فصل الإسلام عن علمائه فصل للرَّأْسِ مِنْ لِبْسِهِ

عبد الله على أحمد الدقاقي

هناك مقوله ترى عدم لزوم قيمومة العلماء على العمل الإسلامي، فالتفكير الإسلامي فكر واسع وعميق يتسع لجميع أفراد الأمة الإسلامية، وبالتالي فإن لكل مسلم مثقف حق قيادة الحركة الإسلامية ولو بمعزل عن الفقهاء والعلماء، كما أن له حق تشخيص التكليف من قيام وتحرك وغير ذلك ولو خالف ذلك رأي الفقهاء والعلماء، فحق التنظير وتقرير المصير هو لمن يتحرك من أبناء الأمة الإسلامية ولو كان بمعزل عن العلماء، حيث إن مجرد تصديه للحركة يعطيه حق حسم المواقف مما اختلفت الرؤى والينابيع، والخلاصة إن هذه المقوله تدعى صواب فكرة (إسلام بلا علماء).

وفي مقام مناقشة هذه الفكرة وبيان سقمها نقدم مقدمة، وهي أن نسبة أي فكرة ومفهوم إلى فكر معين ومدرسة بعينها لا بد أن يكون مستندًا إلى المصادر الأصيلة والأساسية لذلك الفكر، فلو أردنا نسبة مفهوم معين إلى المذهب الرأسمالي أو الاشتراكي أو غيرهما من المذاهب والأفكار نكون ملزمين ببيان مصادر ذلك المذهب التي استندنا إليها في مقام نسبة ذلك المفهوم إليه.

ولكي نرى أن فكرة (إسلام بلا علماء) صحيحة أم لا، لابد من الرجوع إلى المصادر الإسلامية الأصيلة لنرى أنها هل تقرر هذه الفكرة أم لا؟

أولاً : القرآن الكريم:

نلاحظ من مجموع عدّة آياتٍ قرآنية أن القرآن الكريم أشار إلى لزوم الرجوع

إلى أهل العلم والمعرفة وذمّ من ينحرفون عن هذا السبيل، ونحن هنا نشير إلى خمس طوائف من الآيات يُرشد مجموعها إلى ذلك وهي كما يلي:

(١) بعض الآيات أشارت إلى أهل الاختصاص ولزوم الرجوع إليهم بالسؤال وغير ذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوهُ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١)، فالآية تشير إلى رجال خصهم الله بالوحي وأمر الناس بالرجوع إليهم وسؤالهم.

(٢) بعض الآيات نهت النبي عن اتباع الآخرين بعد أن جاءه العلم كما في قوله تعالى ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمْنَ أَظَالَّمِينَ﴾^(٢)، ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَالِكٌ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٣)، ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَالِكٌ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقِ﴾^(٤).

(٣) بعض الآيات نهتانا عن اتباع أي شيء واقتداء أثره من دون علم كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، فإذا نهينا عن اتباع شيء من دون علم فمن باب أولى يكون خوضنا وتنظيرنا لشيء ليس من اختصاصنا مورداً للنهي.

(٤) أدّبنا القرآن بالإقرار بعدم العلم في مقابل أهله، وذلك يتجلّى في خلق الملائكة عندما عرضت عليهم المسألة حيث ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَمْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(٥).

(٥) أشارت بعض الآيات إلى وجود حالة لدى الكثير من الناس وهي أنهم يجادلون بعد تبيان معالم العلم وتجليها ولذا استنكرون عليهم لعدم توفرهم على العلم كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ

بَغْيًا بَيْنَمٌ^(١)، **فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ**^(٧)، **مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعُ الظَّنِّ**^(٨).

فلو جمعنا هذه الطوائف الخمسة من الآيات لرأينا أنها تشير إلى لزوم تقدم أهل العلم وعدم جواز ركونهم إلى من لا يمتلكون ذلك الرصيد العلمي، كما أنها نهت غير أهل العلم عن عدم اتباع العلماء وذمتهم وأمرتهم بالرجوع إليهم.

ثانياً: السنة المطهرة:

توجد الكثير من الروايات التي تحت على قيادة العلماء نقتصر على ذكر خمسة منها اختصاراً:

١) قال رسول الله ﷺ: (العلماء قادة والمتقوون سادة)^(٩).

٢) قال الإمام علي عليه السلام: (العلماء حكام على الناس)^(١٠).

٣) قال الإمام علي عليه السلام في الخطبة الشقشيقية قبل الخلافة بعد انهيال الناس عليه لبيعته أنه ما قبل البيعة إلا لـ(ما أخذ الله على العلماء ألا يقادما على كفالة ظالم ولا ساغ مظلوم)^(١١).

٤) قال الإمام الحسين عليه السلام: (مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله، الأماء على حاله وحرامه)^(١٢).

٥) قال الإمام الصادق عليه السلام: (الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك)^(١٣).

فهذه النصوص الشريفة تنص على حاكمية خط العلماء على جميع الناس بلا استثناء.

ثالثاً: العقل:

فالعقل يدرك ضرورة الأخذ بكلام أهل الاختصاص لاسيما فيما لو تعارض كلامهم مع كلام غير المختصين، بل نلاحظ أن العقلاً يرجعون إلى الأعلم فيما لو اختلفت رؤى أهل الاختصاص مع بعضهم البعض، فإننا نلاحظ أن المريض يرجع إلى الطبيب لا إلى المهندس، كما أنه لو اختلف الأطباء فيما بينهم لرأينا أن العقلاً يأخذون بكلام أحدهم وأعلمهم، وهكذا الأمر بالنسبة إلى السياسة والتحرك، فمن المقطوع به أن السياسة جزء لا يتجزأ من الدين، فلا بد فيها من الرجوع إلى أهل الدرية الكاملة للدين وهم العلماء الذين هم أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا، وفيما لو تعارضت أقوالهم أخذ بقول أفقهم وأعلمهم وأبعدهم عن زخارف الدنيا. قد يقال إن أمر الشريعة الناسَ باتباع العلماء والسير خلفهم أمرٌ مسلم في الكتاب والسنة كما أن العقل يدرك ذلك، إلا أنها نلاحظ عملياً أن العلماء لا يتحركون بل إن البعض منهم يقف ضد التحرك، كما أن من يتحرك منهم ليس لديه الإمام الكافي. كقول السياسة والاقتصاد وما آلت إليه المجتمع الدولي من تطور وتشعبات، فهم ليسوا أكفاء لذلك في واقعنا العملي، فهل يقف المسلم المثقف مكتوف الأيدي متظراً ظهور ذلك المصلح في عالم الخيال والأوهام؟ إن من يتبع التاريخ في مختلف حقبه يلحظ أنه في كل عصر و مصر يظهر مصلح من العلماء يحمل على عاتقه أعباء نهضة الأمة مما يدلل على خطأ هذا التصور بضرس قاطع، وهنا نسوق بعض الملاحظات - التي تدلل على ذلك، والتي تكشف عن وجود مخطط مدروس لبث هذه الأفكار- باختصار شديد:

١) نلاحظ نجاح تجربة الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني قدس سره

علمياً، وها هي الثورة تواصل مسيرتها بقيادة الإمام الخامنئي بخطى ثابتة رغم التحديات الجمة التي واجهتها ولا زالت تواجهها، وما ذلك إلا ببركة التمسك بولاية الفقيه التي حث الإمام الخميني فَلَمَّا الشعب الإيراني على التمسك بها حتى لا يُصاب النظام بشيء، كما نلاحظ أنه فَلَمَّا قد حذر من مقوله (إسلام بلا علماء) في بيان رجب ١٤١٩ هـ الذي كتبه للحوzzات العلمية وعلماء الدين، وبين خطورتها.

(٢) إننا عندما نقول بقيادة العلماء لا نعني قيادة كل من درس العلوم الإسلامية وحسب، وإنما نعني كل من درسها وتتوفر على الورع والتقوى وحسن تدبير الأمور وإدراك الحقائق، فالعالم العامل بعلمه الذي تتحقق فيه شروط القيادة هو الأجدar بقيادة الأمة، كما أنه حين يقود الأمة لا يقودها لشخصه وذاته، وإنما يقودها لتتوفر الخصائص والخصال القيادية التي أمرت الشريعة بها واشترطتها في قائد الأمة، ولذلك فإن مجرد زوال تلك الخصال - كالعدالة - كفيل بإسقاط قيادته للأمة، كما أن توفر شخص على تلك الخصال كفيل بجعله قائداً لها، هذه الأمور كلها تلحظ مع مراعاة الظروف الخاصة والموضوعية لكل بلد وكل زمان.

(٣) هذه المقوله شبيهة بمقوله فضل الدين عن السياسة إلا أنها جاءت من باب آخر، فهي تقول إننا نقبل أن السياسة جزء من الدين إلا أنها لا نتصور أن العلماء هم أهل للسياسة، وما ذلك إلا لأن العلماء هم المنبع الذي ننهل منه من معين الدين، فإذا قضينا على المنبع أصبحنا نأخذ السياسة من غير الدين وإن كنا نقول في الظاهر إن السياسة من صلب الدين.

(٤) نلاحظ في الكثير في الدول أن من يحكمها أو يرشح نفسه لرئاستها إما عسكري أو مهندس أو متان، بل قد يتعدى الأمر في بعض الدول إلى أن ترشح

الراقصة نفسها لذلك، ولا نجد من يعترض على ذلك، ولكن حينما يتقدم المعمم لقيادة الأمة ولم جراحاتها التي هي عين اختصاصه نلاحظ أن الأصوات ترتفع من هنا وهناك مستنكرةً ذلك مما يدلل على وجود مؤامرة تحطط لعزلهم عن واقع الأمة الدامي.

٥) نلاحظ أن الطيب لا يتدخل في اختصاص المهندس، كما أن المهندس لا يتدخل في اختصاص الطيب، وهكذا لا يتدخل صاحب كل اختصاص في اختصاص الآخر، إلا أنها نلاحظ أنه حينما تصل النوبة إلى الدين فإن الكل يُشمر عن ساعد الجد لكي يُلقي الفتاوى والأراء والمفاهيم التي ينسبها للدين كأن الدين ليس له علماء يختصون بدراسته وبيان حقائقه.

المواهش:

- (١) التحل، الآية: ٤٣.
- (٢) البقرة، الآية: ١٤٥.
- (٣) البقرة، الآية: ١٢٠.
- (٤) الرعد، الآية: ٣٧.
- (٥) البقرة، الآية: ٣٢.
- (٦) آل عمران، الآية: ١٩.
- (٧) آل عمران، الآية: ٦٦.
- (٨) النساء، الآية: ١٥٧.
- (٩) راجع ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٠٨٧.
- (١٠) راجع ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٠٨٧.
- (١١) راجع ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٠٨٧.
- (١٢) راجع موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ص ٢٧٦.
- (١٣) راجع ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٠٨٧.

تحريف بـ مؤسسة عالمية

جامعة آل البيت عليهما السلام العالمية

تعتبر جامعة آل البيت عليهما السلام العالمية (AIU) أول مؤسسة علمية عربية تعتمد النظام الأكاديمي في تنظيم وتدريس المواد الحوزوية في مدينة قم المقدسة، وقد أنشئت الجامعة في ٣ ذي الحجة ١٤٢١هـ ورسمت مساراً لها عبر المؤسسات العلمية والأكاديمية.

الأهداف:

الهدف المرسوم لهذه المؤسسة العلمية هو:

- ١- إقامة نموذج دراسة حوزوية بأسلوب منهجي منظم، يختصر الفترة الزمنية للتعليم الحوزوي مع التكفل بتحقيق الوصول إلى أفضل المستويات العلمية والعملية والأخلاقية، ورعاية جميع ما يتنااسب مع متطلبات العصر، في كم وكيف المادة العلمية، وإغناء الحوزة العلمية والمجتمع ببطاقات ذات تأهيل عال على كافة المستويات العلمية.
- ٢- يهدف البرنامج التعليمي للجامعة إلى تربية طبقة من العلماء بمستوى الاجتهاد والتخصص العلمي في العلوم الإسلامية وغيرها في مدة اثنى عشر سنة، وفي ضمن مراحل أربع:
المرحلة الأولى: البكالوريوس (BA)، وتوابعها بحسب المستويات الحوزوية

إنتهاء السطح الأول.

المرحلة الثانية: مرحلة الماجستير (MA)، وتوابع السطوح العليا.

المرحلة الثالثة: الدكتوراه (PHD)، ويدرس فيها الأبحاث العالية وتوابع مرحلة أبحاث الخارج.

المرحلة الرابعة: مرحلة الاجتهد، يقتصر الطالب فيها على حضور عدد من أبحاث الخارج تحت إشراف الجامعة لغرض الحصول على المقدرة الاستنباطية ونيل درجة الاجتهد.

٣- يعتمد البرنامج النظام الدقيق، والمنهجية العلمية، والأساليب الأكاديمية النافعة، والحداثة والتجديد، كل ذلك مع الحفاظ بشدة على أصالة التعليم الحوزوي وعمقه وقداسته وتوسيع دائرة البحث والعلم.

٤- الحرص على تحلي المتخصص بالتركيبة والتهذيب الأخلاقي واليقظة والوعي العلمي والعملي إضافةً للتخصص العلمي.

٥- إحياء الاهتمام بالمعارف الإسلامية الأصلية التي لا تقل أهمية الإحاطة بها عن الاهتمام الواسع الذي حظي به علم الفقه وأصوله، نظير: علوم القرآن والتفسير، علم الحديث، علم الكلام، علم الفلسفة، علم الأخلاق والتربية وغيرها.

٦- الإمام باحتياجات العصر والاستفادة من الدعم التقني في العلوم والمعارف الإسلامية.

٧- القدرة على الإبداع العلمي وعرض معارف الإسلام الأصلية بلغة عصرية عبر مشروع جامعة آل البيت عليهم السلام الافتراضية.

٨- تخريج علماء لديهم التخصص والكفاءة العلمية والثقافية للتصدي للبدع

والأفكار المنحرفة، مع تمعتهم بالشمولية والعمق والانفتاح الفكري، وإمكانية التعامل مع طبقات المجتمع، والإشراف على الأطروحات والتيارات الفكرية والقدرة على نقدها وتحليلها، وإيجاد الأرضية الواسعة للإبداع والرقي العلمي والمعرفي.

الهيكل العام للجامعة:

- **المشرف العام للجامعة:** هو سماحة آية الله العالمة الدكتور الشيخ عبدالهادي الفضلي حفظه الله.

- **مجلس إدارة الجامعة:** وهو أعلى جهة علمية وإدارية في الجامعة، ويعنى بكل متطلبات الجامعة ووضع خططها وبرامجها المستقبلية والإشراف على التطبيق والمتابعة عبر الأجهزة التالية:

١) رئاسة المجلس.

٢) مديري الجامعة.

٣) أمانة السر.

٤) العلاقات الخارجية والاستشارات العلمية.

٥) عمادة القبول والتسجيل.

٦) الاستشارات القانونية.

٧) التخطيط والمتابعة.

٨) السكرتارية.

- **إدارة الجامعة:** وهو الجهاز الإداري العلمي الذي يتولى تنظيم سير عمل

الأستاذة والطلاب والمناهج الدراسية واعتماد المقررات ومتابعتها عبر الأقسام
التالية:

- ١- الهيئة العلمية والاستشارية.
- ٢- الكليات والمعاهد.
- ٣- قسم الشؤون التعليمية.
- ٤- إدارة الدراسات العليا.
- ٥- قسم الشؤون الإدارية والمالية.
- ٦- قسم الشؤون التربوية والاجتماعية.
- ٧- القسم الداخلي.
- ٨- إدارة المكتبات.

- الهيئة التأسيسية:

- ١- حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد باقر الناصر.
- ٢- حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد المجيد البقشي.
- ٣- حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد الله النمر.

الجانب التعليمي:

في مرحلة البكالوريوس (BA) وضمن كلية الفقه والمعارف الإسلامية يدرس الطالب ٢١٦ وحدة دراسية ضمن تسعه فصول جامعية. وفي مرحلة الماجستير (MA) ضمن ثمانية فصول جامعية يدرس الطالب ٨٦ وحدة دراسية عامة. ويختار القسم العلمي في هذه المرحلة منذ السنة الثانية والتخصصات العلمية كالتالي:

١) الفقه والأصول (٣٤ وحدة دراسية).

٢) علم الكلام الإسلامي (٢٤ وحدة دراسية).

٣) معارف القرآن (٢٤ وحدة دراسية).

٤) علم الفلسفة (٢٤ وحدة دراسية).

٥) علم الحديث (٢٤ وحدة دراسية).

ويرأس هذه الأقسام العلمية أساتذة أكفاء.

جانب البحث والتحقيق:

تتميز الجامعة بتحفيز طاقة الإبداع والكتابة لدى طلابها ضمن البرنامج التعليمي حيث يقدم الطالب بحثاً على أقل تقدير في كل فصل جامعي ويختتم الطالب مرحلته الجامعية في البكالوريوس والماجستير بأطروحة التخرج.
وتوفر الجامعة لطلابها المقهى الإلكتروني للبحث من خلال الشبكة الإلكترونية علاوةً على المكتبة الجامعية التي تحتوي على ٦٥٠٠ مجلد في ١٩٣٠ عنوان ضمن ١٤ تخصص وكذلك المكتبة الإلكترونية وببرامج الأقراص المدمجة.

الجانب التربوي والثقافي:

تهتم الجامعة بتربية طلابها على الأخلاق الإسلامية وتحليلهم باليقظة والوعي بشؤون الأمة والعالم ومن هذا المنطلق يقيم قسم الإشراف التربوي برامجه الأسبوعية ضمن دروس الأخلاق والمحاضرات المتنوعة وإقامة الاحتفالات الدينية، وإقامة الدورات التدريبية في عدة مجالات كالخطابة وتحفيظ القرآن الكريم والعلوم الإنسانية الحديثة وتعلم الحاسوب وغيرها من المعارف التي تناسب مع روح العصر.

كما ويحتضن هذا القسم نتاجات الطلاب العلمية من خلال إصدار مجلة فصلية وصحيفة جدارية وغير ذلك من أنشطة الطلبة العلمية والثقافية والاجتماعية.

العلاقات الخارجية:

على المستوى الخارجي ومن خلال مكتب العلاقات الخارجية والاستشارات العلمية تمت مراسلة ٣٠٠ جامعة عالمية وإعطاء أولوية للجامعات الإسلامية، وقد تم إرسال وفد إلى ماليزيا وعقد مذكرة تعاون مع جامعة ابن سينا، وكذا إبرام اتفاق علمي ثقافي مع جامعة وادي النيل وأكاديمية الشرق الأوسط بمصر، وكذا اتفاقية مع جامعة الكوفة واتفاق علمي وثقافي مع مركز أهل البيت عليه السلام لنشر الإسلام في عينيا وغيرها من المراكز والجامعات العالمية.

الأنشطة والمشاريع:

- ١) من أنشطة الجامعة إقامة الدورات التعليمية القصيرة (تحت برنامج معهد تنمية المجتمع) وقد أقيمت عدة دورات صيفية من بلدان الخليج، وبلغ عدد الطلاب المشاركيين ٣٠٠ طالباً من مرحلة الثانوية والجامعة ومنهم من يشتغل بالتدريس، ضمن ثلاثة مستويات تعليمية، مع تقديم بحث تخرج في نهاية الدورة.
- ٢) من خطط الجامعة المستقبلية توسيعة دائرة التعليم لتشمل التلقى عبر الشبكة العنكبوتية (الإلكترونية) وفتح جامعة آل البيت عليه السلام الافتراضية.
- ٣) مشروع تبني الحوزات العلمية خارج الجمهورية الإسلامية.
- ٤) مشروع افتتاح كلية الدراسات المقارنة (في الفقه والكلام والتفسير) وكلية الشريعة والقانون وكلية الطب الإسلامي.
- ٥) إصدار المجلة التخصصية للجامعة التي تعكس التقليل العلمي لمنسوبيها.

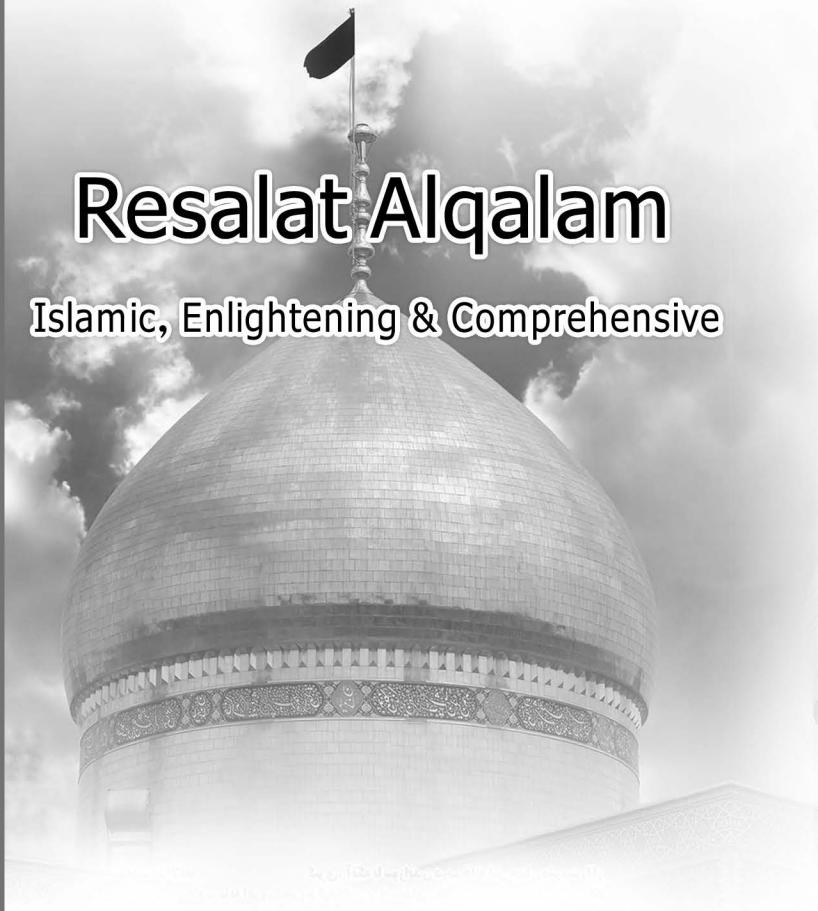


- General Supervisor & Executive Manager:
Abdulla Ali Al daqaq
- Editor in Chief:
Ali Ahmad Alkarbabadi
- Managing Editor:
Ali Ahmad Aljofairi
- Publishing Committee:
Fadhel Abduljaleel Al Zaki
Ghazi Abdulhassan
Jaffer Abdulmahdi Shehab
Saeed Hassan Al Madeh



Resalat Alqalam

Islamic, Enlightening & Comprehensive



A Periodical Magazine Issued by the
Bahraini Students
of the Educational Hawza the
Holy City of Qom